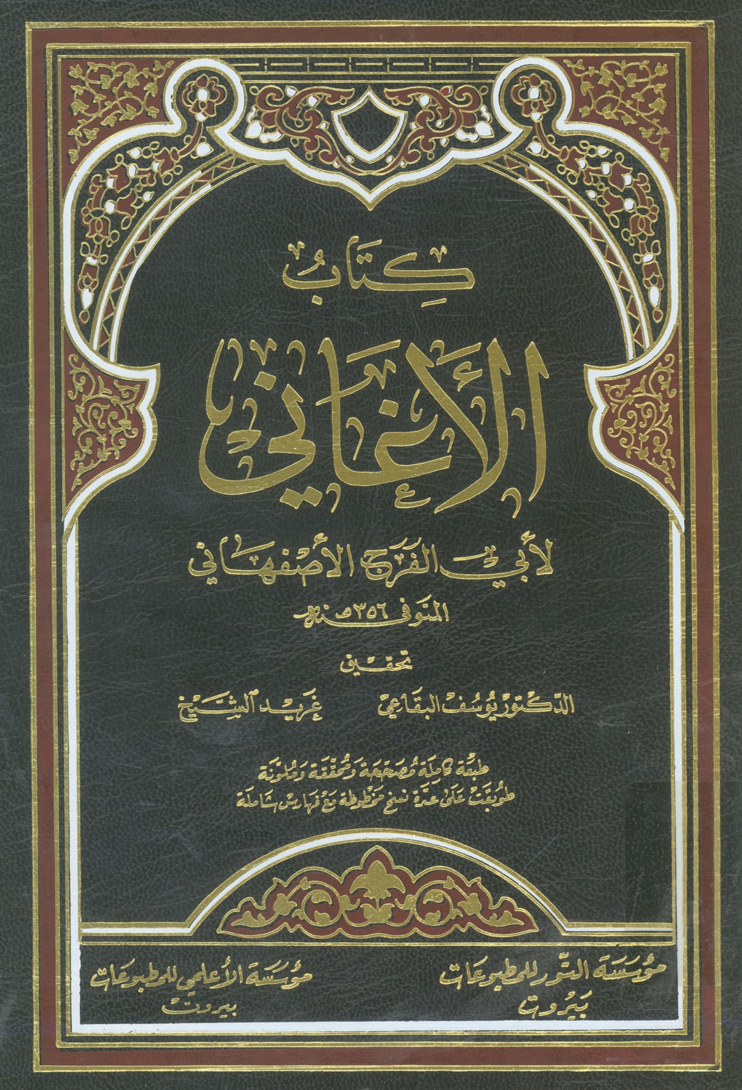
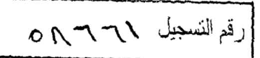
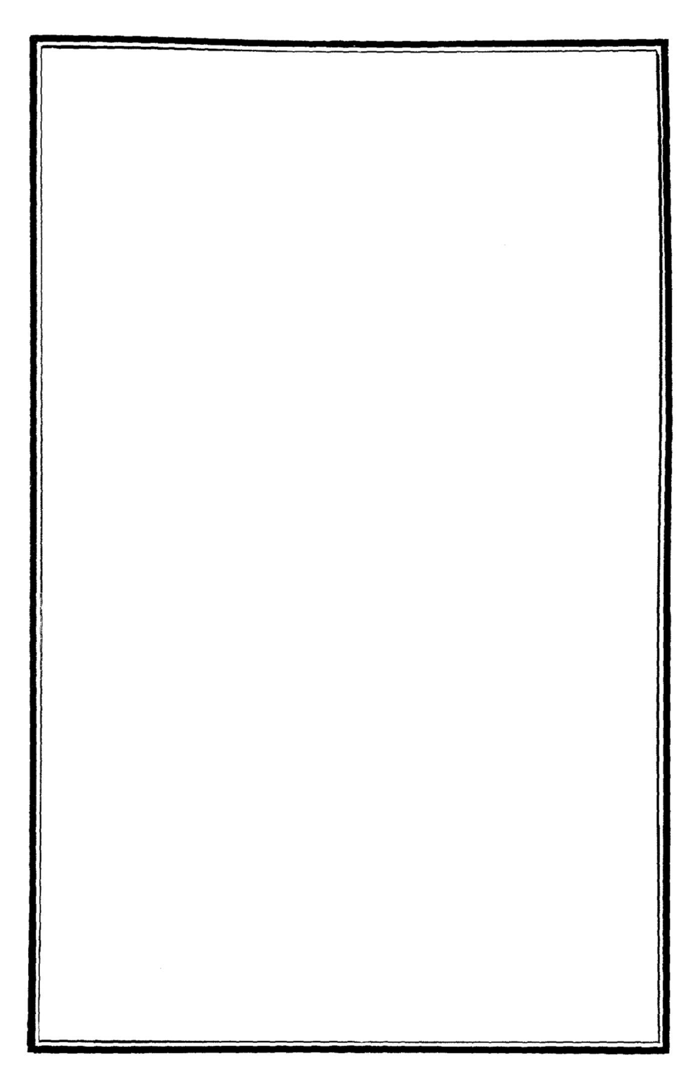

كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت






كتاب
الأغاني







كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي — غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء السادس

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الاولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .
ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخبار الصِّمَّة القُشَيريّ ونَسَبُه

[توفي نحو ٩٥ هـ/ ٧١٤ م]

[اسمه ونسبه]

هو الصِّمَّةُ بنُ عبد الله بنِ الطُّفَيْل بنِ قُرّة بنِ هُبَيْرة بن عامر بن سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن بن منصور ابن عِكْرِمة بن خَصفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار. شاعرٌ إسلاميّ بَدَوِيٌّ مُقِلّ، من شعراءِ الدّولةِ الأمويّة. ولِجَدّه قُرّة بن هُبَيرة صحبة بالنبيّ ﷺ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه ﷺ.

أخبرني بِخَبره عبيدُ الله بن محمد الرَّازي وعمّي قالا: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ وابن دَأب وغيرِهما من الرُّواة قالوا: وفد قُرّة بنُ هُبيرة بن عامر بن سَلَمةِ الخير بن قُشَيْر بن كعب بن رَبيعة إلى النبيّ ﷺ فأسلم، وقال له: يا رسول الله، إنا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرّنا؛ فقال له رسول الله ﷺ: **«نِعْم ذا عقلاً»**.

[حُبُّهُ وَزواجُه]

وقال ابن دَأب: وكان من خبر الصِّمَّة أنه هَوِي امرأةً من قومه ثم من بنات عمّه دِنْية[1] يقال لها العامريّة بنت غُطَيْف بن حَبيب بن قُرّة بن هُبَيرة؛ فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إياها؛ وخطبها عامر بن بشر بن أبي بَرَاء بن مالك بن مُلاَعِب

(١) ابنة عمه دِنْيَةً: ابنة عمه أخي أبيه.

الأسنّة بن جعفر بنِ كِلاَب، فزوّجه إياها. وكان عامر قصيراً قبيحاً؛ فقال الصِّمَّة ابن عبد الله في ذلك: [الطويل]

فإنْ تُنكِحوها عامِراً لاطّلاعِكُم إليه يُدَهْدِهْكُمْ بِرِجلَيهِ عامرُ[1]

شبّهه بالجُعَل[2] الذي يُدَهْدِهُ البعرةَ برجليه.

قال: فلما بَنَى بها زوجُها، وجَد الصِّمَّةُ بها وَجْداً شديداً وحزِن عليها؛ فزوّجه أهلُه امرأةً منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشيّ بن الطُّفَيل بن قُرّة بن هُبَيرة؛ فأقام عليها مُقَاماً يسيراً، ثم رحل إلى الشأم غضباً على قومه، وخلّف امرأته فيهم، وقال لها: [الطويل]

كُلي التَّمرَ حَتَّى تَهرَمَ النَّخلُ واضفِرِي خِطَامَكِ ما تدرينَ ما اليومُ مِنْ أمْسِ[3]

وقال فيها أيضاً: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ كُنتُمْ عَلى النأي والقِلَى بِكُمْ مثلُ ما بي إنَّكُمْ لصديق[4]
إذا زَفراتُ الحُبِّ صَعَّدْنَ في الحَشَى رُدِدنَ وَلَمْ تُنهَجْ لَهُنَّ طريقُ[5]

وقال فيها أيضاً: [الطويل]

إذا ما أَتَتْنَا الرِّيحُ من نحوِ أرضِكُمْ أَتَتْنا بِرَيَّاكُمْ فَطَابَ هُبُوبُها
أَتَتْنا بِريحِ المِسْكِ خَالَطَ عنبراً وريحِ الخُزَامَى بَاكَرَتْها جَنُوبُها[6]

وقال فيها أيضاً: [الطويل]

هل تَجْزِيَنِّي العامِرِيَّةُ مَوقِفي على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمرِ
مَرَرْنَ بأسْبابِ الصِّبا فَذَكَرْنَها فأوْمَأْتُ إذ ما مِنْ جَوابٍ ولا نُكْرِ

وقال ابن دأب: وأخبرني جماعة من بني قُشَير أنّ الصِّمَّة خرج في غَزِيٍّ[7]

---

(١) يُدَهْدِه: يُدَحرِج.
(٢) الجُعَل: ضرب من الخنافس، وجمعه جُعْلاَن.
(٣) الخِطام: حَبل يُجعل في عُنُق البعير ويثنى في خطمه. واضفِري: اجْعليه ضفيرة.
(٤) القِلَى: البُغض، قلاه يقليه قِلىً: أبغضه.
(٥) تُنهَج: تُسلَك.
(٦) الخُزامى: نبات طيِّب الريح.
(٧) غَزِيّ: اسم جمع لِغازٍ، أو جمع على وزن فعيل مثل قطين.

من المسلمين إلى بلد الدَّيْلم فمات بطَبَرِسْتان[١].

قال ابن دأب: وأنشدني جماعةٌ مِن بَني قُشَيرٍ للصِّمَّة:

صوت

[الطويل]

أَلاَ تسألانِ اللَّهَ أنْ يَسقي الحِمَى بَلَى فَسَقَى اللَّهُ الحِمَى والمَطالِيَا[٢]
وأسألُ مَن لاقيتُ هل مُطِرَ الحِمى فَهَلْ يَسْألَنْ عَنّي الحِمَى كيفَ حالِيا

الغِناءُ في هذين البيتين لإسحاق، ولَحْنُه مِن الثقيل الأول بالوسطى، وهو من مختار الأغاني ونادرها.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع وعمّي قالا: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: قال عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفري: حدّثنا عبد الله ابن إسحاق الجعفريّ عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال: حدّثني رجل من أهل طَبَرِسْتَانَ كبيرُ السنّ قال: بينا أنا يوماً أمشي في ضَيْعة لي فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأشجار، إذا أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدامٌ خُلْقان[٣]، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِيّ:

[الطويل]

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لا وَجَدِّك لا تَرَى بَشَامَ الحِمَى أُخْرَى اللَّيالي الغَوَابِرِ[٤]
كأنَّ فُؤَادي من تَذكُّرِهِ الحِمَى وأهلَ الحِمَى يَهْفُو به ريشُ طائرِ

قال: فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه، فسألت عنه فقيل لي: هذا الصِّمَّةُ بن عبد الله القُشَيريّ.

أخبرني عمِّي قال: حدّثنا الخَرّاز أحمد بن الحارث قال: كان ابن الأعرابيّ يستحسن قول الصمة:

---

(١) طبرستان: بلاد واسعة بين الريّ وقومس والبحر (معجم البلدان ٤/ ٣).

(٢) المَطالي: موضع بنجران (معجم البلدان ٥/ ١٤٧).

(٣) أهْدامٌ خُلقان: ثياب بالية.

(٤) البَشَام: شجر طيب الريح والطعم يُستاك به.

صوت

[الطويل]

أَمَا وجَلالِ اللَّهِ لو تَذْكُرينَني كَذِكْرِيكِ ما كَفكفتِ لِلْعَينِ مَدْمَعَا[1]
فقالَتْ: بلى واللَّهِ ذِكْراً لَوَ انَّهُ يُصَبُّ على صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا[2]

ـ غنّى في هذَين البيتينِ عُبيدُ اللَّهِ بنُ أبي غَسّان ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيهما لعَرِيب خفيفُ رمل ـ:

ولـمّا رأيتُ البِشْرَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا وجَالتْ بناتُ الشَّوقِ في الصَّدْرِ نُزَّعا[3]
تَلَفَّتُّ نَحو الحَيِّ حتى وَجَدْتُني وَجِعْتُ من الإِصْغاء لِيتاً وأَخْدَعا[4]

أخبرني أبو الطيِّب بن الوشّاء قال: قال لي إبراهيمُ بن محمد بن سليمان الأزْديّ: لو حَلَفَ حالِفٌ أنّ أحْسَن أبياتٍ قِيلَتْ في الجاهليّة والإسلام في الغزلِ قولُ الصِّمَّة القُشَيريّ ما حنِث: [الطويل]

حَنَنْتَ إلى رَيّا وَنفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَك مِن رَيّا وشَعْباكُما معا
فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمْرَ طائِعاً وَتَجْزَعَ أنْ داعِي الصَّبابةِ أسْمعا
بَكَتْ عَيْنِيَ اليُمنَى فلما زَجَرْتُها عن الجهلِ بَعْدَ الحلمِ أسْبلتَا معا

صوت

[الطويل]

وأذكُرُ أيّامَ الحِمَى ثم أنثني على كَبِدي من خَشْيَةٍ أن تَصدَّعا
فَلَيْسَت عشيّاتُ الحِمَى بِرَواجِعٍ عليكَ ولٰكنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

غنّت في هذين البيتين قُرَشِيّة الزَّرْقاءُ لحناً من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ. وهذه الأبيات التي أوّلها «حننتَ إلى رَيّا» تُروَى لقَيْس بن ذَرِيح في أخباره وشعرِه بأسانيدَ قد ذُكرت في مواضعها، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكرت أيضاً في أخباره. والصحيح في البيتين الأوّلين أنهما لقَيْس بن ذَريح وروايتهما له أثْبت، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق؛ والأُخَر مشكوك

---

(١) كَذِكْرِيكِ: مثل ذِكْرِي إيّاكِ وكَفْكَفْتِ للعين مَدْمَعا: امتنعْت عن البكاء.
(٢) الصَّفَا: الصخر الصَّلْد. وصُمُّ الصّفا: الصخور الأكثَر صلابة وقَساوة.
(٣) البِشْر: جبل يمتد من عُرْض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية (معجم البلدان ١/ ٤٢٦).
(٤) اللِّيت: صفحة العنُق. والأخدع: عِرْق في العنق.

فيها أهي للمجنون أم للصِّمَّة.

أنشدنا محمد بن الحسن بن دُرَيد عن أبي حاتم للصِّمَّة القُشَيريّ قال: وكان أبو حاتم يستجيدهما، وأنشدنيهما عمِّي عن الكُرَانيّ عن أبي حاتم، وأنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم: [البسيط]

إذا نَـأَتْ لَـمْ تُـفـارِقْـنـي عَـلاقـتُـهـا ... وإن دَنَتْ فَـصُـدودُ الـعـاتِـبِ الـزّارِي[1]

فـحـالُ عـيـنـيَ مِـنْ يَـومَـيْـكِ واحِـدةٌ ... تَـبْـكِـي لِـفَـرْطِ صُـدُودٍ أوْ نَـوَى دارِ[2]

[تغزله بمحبوبته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال: حدّثنا عبيد الله بن إسحاق بن سلاّم قال: حدّثني أبي عن شُعيب بن صَخْر عن بعض بني عُقَيل قال:

مررتُ بالصِّمَّة بن عبد الله القُشَيريّ يوماً وهو جالس وَحدَهُ يبكي ويخاطب نفسَهُ ويقول: لا والله ما صدَقَتْكَ فيما قالت؛ فقلت: من تَعني؟ ويْحك! أجُننتَ! قال: أَعْني التي أقول فيها: [الطويل]

أمَـا وجـلالِ الـلَّـهِ لَـوْ تَـذْكُـرِيـنَـنـي ... كَذِكْرِيكِ ما كَفْكَفْتِ لِلْعَيْنِ مَدمَعَا

فـقـالَـتْ بَـلَـى والله ذكـراً لَـوَ انّـه ... يُـصَـبُّ عـلـى صُـمّ الـصَّـفَـا لَـتَـصَـدَّعَـا

أُسَلّي نفسي عنها وأُخبِرُها أنها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي.

أخبرني عمِّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني مسعود بن عيسى ابن إسماعيل العَبْدي عن موسى بن عبد الله التَّيْميّ قال:

خطب الصِّمَّة القُشيريّ بنتَ عمّه وكان لها مُحِبّاً، فاشْتَطَّ[3] عليه عمُّه في المَهْرِ؛ فسأل أباه أن يُعاوِنَهُ وكان كثيرَ المالِ فلم يُعِنْه بشيء؛ فسأل عَشِيرتَه فأعطَوْه؛ فأتى بالإبل عمَّه؛ فقال: لا أقبل هذه في مهر ابنتي، فاسْأل أباكَ أنْ يُبْدِلَها لك؛ فسأل أباه فأبى عليه؛ فلما رأى ذلك من فِعلِهما قطع عُقُلها[4] وخَلاّها، فعاد

(١) نأت: بَعُدَت. والصُّدُود: البعاد والفِراق. والزَّارِي: العائب والمنتقص من حق المُزرى به.
(٢) فَرْط: كَثْرة. ونوى دار: بُعْدُ دار.
(٣) اشْتَطَّ: تجاوز الحدّ.
(٤) عُقُلها: جمع عقال: وهو حبل يوضع في قوائم الدابة.

كلُّ بعيرٍ منها إلى أُلاّفه[١]. وتحمَّل الصِّمَّةُ راحلاً. فقالت بنتُ عَمِّه حين رَأَتْهُ يتحمَّل: تالله ما رأيتُ كاليوم رَجُلاً باعَتْهُ عَشِيرَتُه بأَبْعِرة. ومضى من وجههِ حتى لَحِقَ بالثَّغْرِ؛ فقال وقد طالَ مُقامُه واشتاقها ونَدِم على فعله: [الطويل]

أَتبْكِي على رَيَّا ونَفْسُكَ باعَدَتْ مَزارَكَ من رَيّا وشَعْباكُما مَعا

فما حَسَنٌ أن تَأْتِيَ الأمْرَ طائعاً وَتَجْزَعَ أنْ داعِي الصَّبابَةِ أسْمَعا

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامة قال: حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ: أن الصِّمَّة خطَب ابنة عمّه هذه إلى أبيها؛ فقال له: لا أزوّجكها إلا على كذا وكذا من الإبل؛ فذهب إلى أبيه فأعلَمَهُ بذلك وشكا إليه ما يَجِدُ بها؛ فَساقَ الإبل عنه إلى أخيه؛ فلما جاء بها عدّها عمُّه فوجدها تنقُص بعيراً، فقال: لا آخذها إلا كاملةً؛ فغضِب أبوه وحلف لا يَزيدُه على ما جاء به شيئاً. ورجع إلى الصِّمَّة؛ فقال له: ما وراءك؟ فأخبره؛ فقال: تالله ما رأيتُ قطُّ ألأَمَ منكما جميعاً؛ وإني لألأَم منكما إن أقمتُ بينكما؛ ثم ركب ناقَته ورحل إلى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات. وقال في ذلك: [الطويل]

أَمِنْ ذِكْرِ دارٍ بالرَّقاشَيْنِ أصبحتْ بها عاصفاتُ الصَّيْفِ بَدْءاً ورُجَّعا[٢]

حننتَ إلى رَيّا ونَفْسُكَ باعَدَتْ مزارَكَ من ريّا وشعباكُما معا

فما حَسَنٌ أن تأتِيَ الأمرَ طائعاً وَتَجْزَعَ أنْ داعِي الصَّبابَةِ أسْمَعا

كأنَّكَ لم تَشْهَدْ وَدَاعَ مُفارِقٍ ولم تَرَ شَعْبَيْ صاحِبَيْنِ تَقَطَّعا

بكتْ عينيَ اليُسْرَى فلما زَجَرْتُها عن الجَهْلِ بعد الحِلْمِ أسبَلَتا معا

تَحَمَّلَ أهلي من قنينٍ وغادروا به أهْلَ لَيْلَى حِينَ جِيدَ وأَمْرعا[٣]

ألا يا خليليَّ اللَّذَيْنِ تَواصَيا بِلَومِي إلاّ أن أُطيعَ وأَسْمَعَا

قِفَا إنَّهُ لا بدَّ مِنْ رَجْعِ نظرةٍ يَمانيَةٍ شَتَّى بها القَوْمُ أو معا

لِمُغتَصَبٍ قد عَزَّهُ القَوْمُ أمْرَهُ حَياءً يَكُفُّ الدَّمْعَ أنْ يَتَطَلَّعا[٤]

---

(١) أُلاّف: جمع أليف: وهو الصاحب يألف صاحبَه ويأنس به.

(٢) الرَّقاشان: جَبَلان بأعلى الشُّرَيف (معجم البلدان ٣/٥٦).

(٣) قنين: لَعَلَّه اسم موضع أو مُحرّف عن قنان، ولم نجده في معجم البلدان. وَجِيْدَ: أصابه الجَوْد وهو المطر الغزير. وأَمْرَع: أخصَب.

(٤) عَزَّه: غَلَبهُ وسَلَبَهُ.

تَبَرَّضُ عَيْنَيْهِ الصَّبابَةُ كُلَّما دنا اللَّيْلُ أو أَوْفَى من الأرْض مَيْفَعا[١]
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَاوِجِعٍ إلَيْكَ وَلٰكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ [الخفيف]

قُلْ لأسماءَ أَنْجِزي المِيعادا وانظُري أن تُزَوِّدي منكِ زادا
إن تكوني حَلَلْتِ رَبْعاً من الشأ م وَجاوَزْت حِمْيَراً أو مُرَادا
أو تناءَتْ بِكِ النَّوَى فلقد قُدْ تِ فُؤادِي لِحَيْنِهِ فانْقادا[٢]
ذاكَ أَنِّي عَلِقتُ منكِ جَوَى الحُـ ـبِّ ولِيداً فَزِدتُ سِنّاً فَزَادا

الشعر لداودَ بن سَلْم. والغناء لدَحْمان، ولَحْنُه المُختارُ من الثقيل الأول بالوسطى. وقد كنا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقِّش، وطلبناه في أشعار المرقِّشَيْن جميعاً فلم نجده، وكنا نظنه من شاذٍّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم، وفي خبرٍ أنَا ذاكره في أخبار داود، وإنما نذكر ما وقع إلينا عن رُواته؛ فما وقع من غَلَطٍ فوجدناه أو وقفنا على صِحَّتِه أثبتناه وأبطلنا ما فَرَط منا غيرَه، وما لم يَجْرِ هذا المجرى فلا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يُلزِمَنا لومَ خطأ لم نتعمدْهُ ولا اخترعناه؛ وإنما حكيناه عن رواته واجتهدنا في الإصابة. وإن عرف صَواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله.

---

(١) تَبَرَّضُ: تأخذ شيئاً فشيئاً. والميفع: المكان المُشرِف.

(٢) الحَيْن: المَوْت، الهلاك.

أخبارُ داودَ بنِ سَلْمٍ ونسَبُه

[توفي نحو ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م]

[اسمه ونسبه]

داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ؛ ثم يقول بعضُ الرواة: إنّه مولى آل أبي بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طَلْحة. وهو مخضرَم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يقال له داود الآدم[١] وداود الأرمك[٢]. وكان من أقبح الناس وجهاً. وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف يستثقله؛ فرآه ذاتَ يوم يخطِر خَطْرة[٣] منكَرة فدعا به، وكان يتولّى المدينةَ، فضربه ضرباً مُبَرِّحاً[٤]؛ وأظْهَرَ أنه إنما فَعَلَ ذلكَ به من أجل الخَطْرَةِ التي تخايَلَ فيها في مِشْيَتِه. فقال بعض الشعراء في ذلك وأظُنّه ابنَ رُهَيمة: **[مجزوء الرمل]**

ضَـرَبَ الـعـادلُ سَـعْـدٌ ... إبـنَ سَـلْـمٍ فـي الـسَّـمـاجَـهْ
فَـقَـضَـى الـلّـهُ لِـسَـعْـدٍ ... مِـنْ أمِـيـرٍ كـلَّ حـاجَـهْ

أخبرني محمد بن سليمان الطُّوسي قال: حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال:

سألت محمد بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناسُ، هو مولانا، أبوه رجل من النَّبَط، وأمُّه بنتُ حَوْط مولى عمر بن عبيد الله بن مَعْمر؛ فانتسب إلى ولاء أمه. وفي ذلك يقولُ ويمدحُ ابنَ مَعْمَر:

---

(١) الآدَمْ: الأسْوَدْ، والأصل في الآدم ما كان بلون التراب.
(٢) الأرْمَك: الأسْوَد.
(٣) يَخطِر خَطْرة: يمشي مَشْيَةً.
(٤) مُبَرِّحاً: مُؤلماً.

[الكامل]

وإذا دعا الجاني النَّصِيرَ لِنَصرِهِ وَأَرَتْنِي الغُرَرُ النَّصِيرةُ مَغمرُ(١)
مُتَخازِرِينَ كأنّ أُسْدَ خَفِيَّةٍ بمقامها مُسْتَبْسِلاتٌ تزْأَرُ(٢)
مُتَجاسِرِينَ بحملِ كُلِّ مُلِمَّةٍ مُتَجَبِّرِينَ على الّذي يَتَجَبَّر
عُسُلُ الرِّضا فإذا أرَدْتَ خِصامَهم خَلَطَ السِّمامَ بفِيكَ صابٌ مُمقِر(٣)
لا يَطْبَعُونَ ولا تَرى أخلاقَهُمْ إلاّ تَطِيبُ كَما يَطِيبُ العَنبَرُ
رَفَعوا بِناءَيَ بِعَتْقِ حَوْطِ دِنِيَّةٍ جَدِّي وفضلِهم الذي لا يُنكَرُ(٤)

[صفاته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني إسحاق الموصلي قال:

كان داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مرّة، وكان يقال له: الآدم لشدّة سواده، وكان من أبخلِ الناس؛ فطَرَقَهُ قومٌ(٥) وهو بالعَقِيق(٦)، فصاحوا به: العَشَاءَ والقِرَى يابنَ سَلْم؛ فقال لهم: لا عَشَاء لكم عندي ولا قِرى؛ قالوا: فأين قولُك في قصيدتك إذ تقول فيها: [البسيط]

يا دارَ هندٍ ألاَ حُيِّيتِ من دارِ لم أَقْضِ منكِ لُباناتي وأوطاري(٧)
عُوِّدْتُ فيها إذا ما الضَّيفُ نَبَّهَني عَقْرَ العِشَارِ على يُسْرِي وإعساري(٨)

قال: لستم من أولئكَ الذين عنيتُ.

قال: ودخل على السَّرِيّ بن عبد الله الهاشمي، وقد أُصيب بابنٍ له؛ فوقف بين يديه ثم أنشده:

---

(١) وَارَتْني: غَطَّتني وسترتني. والغُرَر: جمع غُرّة: والأصل فيها هو البياض، ويَقصِدُ أفعال الخير.

(٢) مُتخازِرين: تَخازَرَ الرَّجل: ضَيَّق جفنه ليحدِّد النظر. وخَفِيَّة: قيل اسم الموضع ومثلها الشَّرَى، وقيل في الخفية: مكان كثير الشجر يتخذه الأسد عرينه. وتزأر الأسود: تُصَوِّت.

(٣) عُسُل: جمع عاسل وعسول أي: حلو. وَبِفِيك: بفَمِك. ومُمْقِر: شديد المَرَارة.

(٤) بِنَاي: بنائي، وخُفِّفَت الهمزة. وأراد عِزي.

(٥) طَرَقَه القوم: أتوه ليلاً.

(٦) العقيق: اسم موضع في المدينة المنورة (وانظر معجم البلدان ٤/١٣٨).

(٧) اللُّبَانات: جمع لُبانة، وهي الحاجة. وأوطاري: مآربي.

(٨) عَقْرُ العِشار: العقر في الأصل ضرب قوائم الجمل أو الفرس، ويريد به الذبح. والعِشار جمع عشراء: وهي من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر.

[البسيط]

يا مَنْ على الأرضِ مِن عُجْم ومن عَرَبِ اسْتَرْجِعُوا خاسَتِ الدُّنْيا بِعبّاسِ[١]
فُجِعْتُ من سَبْعَةٍ قد كُنْتُ آمُلُهُمْ مِنْ ضِنْءِ والدِهِمْ بالسَّيِّدِ الرّاسِ[٢]

قال: وداود بن سلم الذي يقول: [الخفيف]

قُلْ لأسْماء أَنْجِزي المِيعادا وانْظُرِي أن تُزَوِّدي مِنْكِ زادَا
إن تَكُونِي حَلَلْتِ رَبْعاً من الشأ مِ وجاورتِ حِمْيَراً أو مُرادا
أو تَنَاءَتْ بكِ النَّوَى فَلَقَدْ قُدْ تِ فؤادِي لِحَيْنِهِ فانْقادا
ذاكِ أنِّي عَلِقْتُ مِنْكِ جَوَى الحُـ ـبِّ وَليداً فَزِدْت سِنّاً فزادا

قال أبو زيد: أنشدنيها أبو غَسّان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود ابن سَلْم.

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء

صوت

[البسيط]

يا دارَ هِنْدٍ ألاَ حُيِّيتِ من دارِ لم أقْضِ منك لُباناتي وأوطاري

يُتَم ويُنسب.

أخبرنا الطُّوسيّ قال: حدّثنا الزبير قال: أخبرني مُصْعَب بن عثمان قال: دعا الحسن بن زيد إسحاق بن إبراهيم بنِ طلحة بنِ عمر بنِ عُبَيد الله بن مَعْمَر التَّيْميّ أيامَ كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فحبسه، فدعا مسرقين يسرقون له مغسلاً في السجن، وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه. وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد، فأرسل إليه فأُتي به، فقال: إنك تلاجَجْتَ عليّ، وقد حلفتُ ألاّ أُرْسِلك حتى تعملَ لي، فأَبرِرْ يميني، ففعل؛ فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه؛ فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال: [الخفيف]

طَلَبُوا الفِقْهَ والمُرُوءةَ والحِلْـ ـمَ وفِيكَ اجْتَمَعْنَ يا إسحاقُ

فقال: ادفعوه، فدفعوه، فنُحِّي عنه؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه؛ فأعفاه

---

(١) اسْتَرْجِعُوا: قولوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. وخاست: غدرت.

(٢) الضِّنْءُ: الولد، أو الأصل (صحاح الجوهري).

الحسنُ بنُ زيدٍ من القضاء، فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين ديناراً، وقال للرسول: قل له: يقول لك مولاك: ما حملك على أن تمدحني بشيء أَكْرَهُهُ؟ استعِن بهذه على أمرِكْ.

أخبرني الحَرَمِيُّ بنُ أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني مُحْرِز ابن سعيد قال: بينما سعْدُ بنُ إبراهيمَ في مسجد النبيّ ﷺ يقضي بينَ الناس إذ دخل عليه زيدُ بنُ إسماعيلَ بن عبدِ الله بن جعفر، ومعه داود بن سَلْم مولى التَّيْمِيِّين، وعليهما ثيابٌ ملوَّنةٌ يَجُرَّانِها؛ فأومأ أن يُؤتَى بهما، فأشار إلى زيد أن اجلِسْ، فَجَلَسَ بالقرب منه، وأومأ إلى الآخر أن يجلِسَ حيثُ يَجْلِسُ مِثلُه، ثم قال لعَوْن من أعوانه: ادعُ لي نوحَ بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله، فدُعي له فجاء أحسنَ الناس سَمْتاً[1] وتشميراً ونقاءَ ثياب؛ فأشار إليه فجلس؛ ثم أقبل على زيد فقال له: يابن أخي، تَشَبَّهْ بشيخِكَ هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه، ولا تَعُد إلى هذا اللبس، قُمْ فانصرف. ثم أقبل على ابن سَلْم وكان قبيحاً، فقال له: هذا ابنُ جعفرَ أَحْتَمِلُ هذا له، وأنت لأيّ شيء أحتملُ هذا لك؟ أَلِلؤم أصلِك، أم لسماجة وجهك! جَرِّدْ يا غلام؛ فجُرّد فضربَه أسواطاً. فقال ابن رُهَيمة: [مجزوء الرمل]

جَلَدَ العادلُ سعدٌ ... اِبنَ سَلْم في السَّماجَهْ

فقَضَى اللَّهُ لِسَعْدِ ... من أميرٍ كُلَّ حاجَهْ

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزّبَير بن بَكّار قال: حدّثني يعقوب بن حُميد بن كاسِب قال: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجُشُون عن يوسف بن الماجُشُون قال: قال لي أبي ـ وقد عُزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء ـ يا بنيّ تعجَّلْ بنا عسى أن نروحَ مع سعد بن إبراهيم، فإن القاضي إذا عُزل لم يزل الناسُ ينالون منه؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سعد بن إبراهيم، فإذا صوتٌ عالٍ، فقال لي أيُّ شيء هذا؟ أرى أنه قد أُعْجِل عليّ، ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له: أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ سَلْم أربعين سوطاً، فأقبل عليّ سعدٌ وعلى أبي، فقال: لم تَرَ مثلَ أربعين سوطاً في ظهر لئيم. قال: وفيه يقول الشاعر:

---

(١) السَّمْت: هيئة أهل الخير.

[مجزوء الرمل]

ضَـرَبَ الـعـادلُ سـعـدٌ   إبـنَ سـلْـمٍ فـي الـسـمـاجـهْ
فَـقَـضَـى الـلَّـهُ لِـسَـعْـدٍ   مـن أمـيـرٍ كـلَّ حَـاجَـهْ

[مَدْحُهُ الأمراء]

أخبرني محمدُ بنُ خَلَف وَكيع قال: قال الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني أبو يحيى الزُّهْرِي واسمه هارون بن عبد الله قال: حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال: كان الحسنُ بن زيد قد عوّد داودَ بن سَلْم مولى بني تَيْم إذا جاءته غَلّة من الخانِقين[1] أن يَصِلَه. فلما مَدَح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد، أغضب ذلك الحسنَ؛ فقدِم من حجٍّ أو عُمْرة، ودخل عليه داودُ مُسَلِّماً، فقال له الحسن: أنت القائل في جعفر: [الطويل]

وَكُنّا حَدِيثاً قَبْلَ تأمِيرِ جَعْفَرٍ   وكان المُنَى في جَعْفَرٍ أن يُؤَمَّرا
حَوَى المِنْبَرَيْنِ الطّاهِرَيْن كِلَيْهِما   إذا ما خَطَا عَنْ مِنْبَرٍ أَمَّ مِنْبرا
كأنَّ بَنِي حَوّاءَ صُفُّوا أمامَهُ   فَخُيِّرَ من أنسابِهِمْ فَتَخَيَّرا؟

فقال داود: نعم، جعلني الله فداءكم، فكنتم خِيَرة اختياره؛ وأنا الذي أقول:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ عَاقَبْتَ أو جُدْتَ مُنْعِماً   بِعَفْوٍ عن الجَانِي وإنْ كان مُعْذِرَا
لأَنْتَ بِما قَدَّمْتَ أَوْلَى بِمِدْحةٍ   وأكْرَمُ فَرْعاً إن فَخَرْتَ وعُنْصُرَا
هو الغُرَّةُ الزَّهْراءُ من فرعِ هَاشِمٍ   وَيَدْعو عَلِيّاً ذا المَعَالِي وَجَعْفَرا
وَزَيْدَ النَّدَى والسِّبْط سِبْطَ محمدٍ   وَعَمَّكَ بالطَّفِّ الزَّكِيَّ المُطَهَّرا[2]
ومَا نَال مِن ذا جَعفرٌ غيرَ مَجلِسٍ   إذا مَا نَفَاه العَزْلُ عَنْهُ تَأَخَّرا
بِحَقِّكُم نالوا ذُرَاها فأصبحوا   يَرَوْنَ بِهِ عِزّاً عليكُم ومَفْخَرا

قال: فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه، ولم يزل يَصِلُه ويُحْسِن إليه حتى مات. قال أبو يحيى: يعني بقوله: «وإن كان مُعْذِرا» أن جعفراً أعطاه بأبياته

(١) خانقين: بلدة بالكوفة، وخانقين بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، وبها عين نفط عظيمة (معجم البلدان ٢/ ٣٤٠).
(٢) الطَّف: أرض من ضاحية الكوفة (معجم البلدان ٤/ ٣٦).

الثلاثةِ ألفَ دينار، فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه.

[رِقَّةُ غَزَلِه]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِدِيّ عن ابن أبي الزِّناد قال: كُنْتُ ليلةً عند الحسنِ بنِ زيدٍ ببطحاءِ ابنِ أزهَر (على ستة أميال من المدينة، حيالَ ذي الحُلَيْفة) نصف الليل جلوساً في القمر، وأبو السائب المخزومي معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسَّماع والغَزَل، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَرِيك[1] فنحن نُصيب منه، والحسن يومئذٍ عاملُ المنصور على المدينة؛ فأنشد الحسنُ قول داود بن سَلم وجعل يَمُد به صوتَه ويُطَرِّبه:

صوت [الوافر]

فَعَرَّسْنَا بِبَطْنِ عُرَيْتِنَاتٍ ... لِيَجْمَعَنَا وفاطِمَةَ المَسِيرُ[2]
أَتَنْسَى إذْ تَعَرَّضَ وَهْوَ بَادٍ ... مُقَلَّدُهَا كَمَا بَرَقَ الصَّبِيرُ[3]
وَمَنْ يُطِعِ الهَوَى يُعْرَفْ هَوَاهُ ... وقَدْ يُنْبِيكَ بالأمْرِ الخَبِيرُ
عَلَى أَنّي زَفَرْتُ غَدَاةَ هَرْشَى ... فَكَادَ يُرِيبُهُمْ مِنّي الزَّفِيرُ[4]

ـ الغِنَاءُ للغَريض ثاني ثقيلٍ بالسَّبَّابةِ في مجرى البنْصرِ عن إسحاق. وفيه للهُذَلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وأظنُّه هذا اللحنَ ـ قال: فأخذ أبو السائب الطَّبَق! فَوَحَّشَ[5] به إلى السَّماء، فوقع الفَريكُ على رأسِ الحسنِ بنِ زيد؛ فقال له: ما لَكَ؟ وَيْحَك! أَجُنِنتَ! فقال له أبو السائب: أسألُك بالله وبقرابتكَ من رسول الله ﷺ إلاّ ما أَعَدْتَ إنشَادَ هذا الصوتِ ومَدَدْتَهُ كَما فعلتَ! قال: فما مَلَك الحسنُ نفسَه ضحكاً، وردّ الحسنُ الأبيات لاستحلافه إياه. قال ابن أبي الزِّناد: فلما خرج أبو السائب قال لي: يابنَ أبي الزِّنَاد، أمَا سمعتَ مَدَّه:

وَمَنْ يُطِعِ الهَوَى يُعْرَفْ هَوَاه

---

(١) الفَرِيك: طَعَام يُفرك ويُلَتّ بسمن وغيره.
(٢) المُعَرِّس: الذي يسير نهاره وينزل في الليل ليستريح.
(٣) الصَّبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.
(٤) هَرْشَى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة (معجم البلدان ٥/ ٣٩٧).
(٥) وَحّش: رَمىٰ.

فَقُلْتُ: نعم؛ قال: لو علمتُ أنه يقبل مالي لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات.
أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمد الرازِيّ وعمّي قالا: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَلي.

[ابن سلمٍ يُجلد في السَّماجَة، وجارية تُجلَد في الملاحةِ]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال: حدّثتني ظَبْيةُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت:

أرسلتني مولاتي فاطمةُ في حاجة، فمررتُ برَحبة القضاء، فإذا بضُبَيْعة العَبسيّ خليفة جعفر بن سليمان يَقضي بين الناس؛ فأرسلَ إليّ فدعاني، وقد كنتُ رَطَّلْت[1] شَعْري ورَبَطْتُ في أطرافه من ألوان العِهْن[2]؛ فقال: ما هذا؛ فقلت: شيء أتملَّح به؛ فقال: يا حَرَسِيّ قنِّعْها بالسَّوْط. قالت: فتناولتُ السَّوطَ بيدي وقلت: قاتلَكَ الله! ما أبْيَنَ الفَرْقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم! سعدٌ يَجلِد الناس في السَّماجة، وأنت تجلِدهم في الملاَحة؛ وقد قال الشاعر: **[مجزوء الرمل]**

جَلَدَ العادِلُ سَعْدٌ ... اِبْنَ سَلْمٍ في السَّمَاجَهْ
فقضَى اللَّهُ لِسَعْدٍ ... مِنْ أميرٍ كلَّ حَاجَهْ

قالت: فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال: خَلِّ عنها. قالت: فكان يسُوم بي، وكانت مولاتي تقول: لا أبيعُها إلاّ أن تهوى ذلك، وأقول: لا أريد بأهلي بدلاً، إلى أن مررت يوماً بالرَّحْبة وهو في مَنْظَرة[3] دارِ مَروان يَنْظُر؛ فأرسل إليّ فدعاني، فوجدتُه من وراء كِلَّةٍ[4] وأنا لا أشعُرُ به، وحازمٌ وجَرير جالسان؛ فقال لي حازم: الأمير يُرِيدُكِ؛ فقلت: لا أريد بأهلي بدلاً؛ وكُشِفتِ الكِلَّة عن جعفر بن سليمان، فارتعتُ لذلك فقلت: آه، فقال: ما لَكِ؟ فقلت: **[الطويل]**

سَمِعْتُ بِذِكْرِ النَّاسِ هِنْداً فلم أزَلْ ... أخَا سَقَمٍ حَتّى نَظَرْتُ إلى هِنْدِ

قال: فأبصرتِ ماذا؟ وَيْحَكِ! فقلتُ:

---

(١) رَطَّل الشعر: ليَّنه بالدهن ومشَّطه.
(٢) العِهْن: الصوف.
(٣) المَنْظَرَة: الكوّة والنافذة.
(٤) الكِلَّة: الستر الرقيق.

فَأَبْصَرْتُ هِنْداً حُرَّةً غَيرَ أَنَّها ... تَصَدَّى لِقَتْلِ المُسْلِمينَ عَلَى عَمْدِ

قالت: فضحك حتى استلقى، وأرسل إلى مولاتي ليبتاعَني؛ فقالت: لا والله لا أبيعها حتى تَسْتَبيعَني؛ فقلت: والله لا أستبيعُكِ أبداً.

[يَذْكُرُ الجواري الحِسان]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثنا يونس ابن عبد الله عن داود بن سَلْم قال:

كُنْتُ يَوماً جالساً مع قُثَمَ بنِ العباس قبل أن يُملَّكوا بفنائه، فمرّت بنا جارية، فأُعْجِب بها قُثَم وتمنّاها فلم يُمكِنْه ثمنُها. فلمّا وَلِي قُثَم اليمامة اشترى الجارية إنسانٌ يقال له صالح. قال داود بن سلم: فكتبتُ إلى قُثَم: [المنسرح]

يا صَاحِبَ العِيسِ ثُمَّ رَاكِبَها ... أَبْلِغْ إذا ما لَقِيتَه قُثَمَا

أَنَّ الغَزَالَ الّذي أجَازَ بِنا ... مُعَارِضاً إذ تَوَسَّطَ الحَرَمَا

حَوَّلَهُ صالحٌ فَصَارَ مَعَ الإنْـ ... ـسِ وَخَلَّى الوُحُوشَ والسَّلَمَا[1]

قال: فأرسل قُثَمُ في طلب الجارية ليشتريها، فَوَجَدَها قد ماتت.

[يَمْدحُ ذوي السُّلطان]

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثنا عبد الله ابن محمد بن موسى بن طَلْحة قال: حدّثني زُهَير بن حسن مولى آل الرَّبيع بن يونس أن داود بن سَلْم خرج إلى حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ فلما نزل به حطّ غلمانُه متاعَ دَاودَ وحَلّوا عن راحِلَتِه؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول: [المتقارب]

ولَمّا دَفَعْتُ لأَبْوابِهِمْ ... وَلاَقَيْتُ حَرْباً لَقِيتُ النَّجاحَا

وَجَدْنَاه يَحْمَدُهُ المُجْتَدون ... وَيأْبَى عَلَى العُسْرِ إلاّ سَمَاحَا[2]

وَيُغْشَوْنَ حَتّى يُرَى كَلْبُهُمْ ... يَهَابُ الهَرِيرَ وَيَنْسَى النُّبَاحَا

قال: فأجازه بجائزة عظيمة، ثم استأذنه في الخروج فأذِن له وأعطاه ألفَ

---

(١) السَّلَم: شجرة ذات شوك يُدبغ بورقها وقشرها.

(٢) المجتدُون: الطالبو المعروف.

دينار، فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه، فظنّ أن حَرْباً ساخطٌ عليه، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه؛ فقال له: سَلْهم لِمَ فعلوا بك ذلك. قال: فسألهم، فقالوا: إننا نُنْزِل مَن جَاءَنا ولا نُرْحِل مَن خَرَجَ عنا. قال: فسمع الغاضِريّ حديثَه فأتاه فحدّثه فقال: أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أحسنَ من شعرك.

[من رقيق غَزَلِهِ]

وذَكَر محمدُ بنُ داود بن الجَرّاح أن عُمَرَ بن شَبّة أنشده ابن عائشة لداود بن سَلْم، فقال: أحسَنَ والله داود حيث يقول: [الرجز]

لَجَجْتُ مِنْ حُبّي فِي تَقْرِيبِهِ ... وَعُمِّيَتْ عَيْنَايَ عَن عُيُوبِهِ
كَذَاكَ صَرْفُ الدَّهْرِ في تَقْلِيبِهِ ... لا يَلْبَثُ الحَبِيبُ عَنْ حَبِيبِهِ
أَوْ يَغْفِرَ الأعْظَمَ مِنْ ذُنُوبِهِ

قال: وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شَبيب لداود بن سَلْم قال:

[الطويل]

وَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ إلاَّ ذَكَرْتُها ... وأَذْكُرُهَا في وَقْتِ كُلِّ غُرُوبِ[1]
وأَذْكُرُها ما بَيْنَ ذَاك وَهٰذِهِ ... وَبِاللَّيْلِ أَحْلاَمِي وعِنْدَ هُبُوبِي
وَقَدْ شَفَّنِي شَوْقِي وَأَبْعَدَنِي الْهَوَى ... وَأَعْيَا الَّذِي بِي طِبَّ كُلِّ طَبِيبِ
وأَعْجَبُ أَنِّي لاَ أَمُوتُ صَبَابَةً ... ومَا كَمَدٌ مِن عَاشقٍ بِعَجِيبِ
وكُلُّ مُحِبٍّ قَدْ سَلاَ غَيْرَ أَنَّنِي ... غَرِيبُ الْهَوَى، يا وَيْحَ كلِّ غَرِيبِ
وكَمْ لاَمَ فِيها مِنْ أَخٍ ذِي نَصِيحَةٍ ... فَقلْتُ لَهُ أَقْصِرْ فَغَيرُ مُصِيبِ
أَتَأْمُرُ إِنْسَاناً بِفُرْقَةِ قَلْبِهِ ... أَتَصْلُحُ أَجْسَامٌ بِغَيرِ قُلُوبِ

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعي قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني أبو غَسّان قال: كان داودُ بنُ سَلْمٍ منقطعاً إلى قُثَم بن العباس، وفيه يقول: [السريع]

عَتَقْتِ مِنْ حِلِّي وَمِنْ رِحْلَتِي ... يَا نَاقُ إنْ أَدْنَيْتِنِي مِنْ قُثَمْ
إنَّكِ إنْ أَدْنَيْتِ مِنْهُ غَداً ... حَالَفَنِي اليُسْرُ ومَاتَ العَدَمْ

---

(١) ذَرّ: طَلَع.

فِـي وَجْـهِـهِ بَـدْر وفِـي كَـفِّـهِ بَـحْـر وَفِـي الـعِـرْنِـيـنِ مِـنْـهُ شَـمَـمْ[١]
أَصَـمُّ عَـنْ قِـيْـلِ الْـخَـنَـا سَـمْـعُـهُ ومـا عَـنِ الـخَـيْـرِ بـهِ مِـنْ صَـمَـمْ[٢]
لَـمْ يَـدْرِ مَـا «لا» و«بَـلَـى» قَـدْ دَرَى فَـعَـافَـهـا واغْـتَـاضَ مِـنْـهـا «نَـعَـمْ»

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس، قال أبو زيد عمر بن شَبّة: قال لي إسحاق: لنَظْم العَمْياء في هذه الأبيات صنعةٌ عجيبة، وكانتْ تُجيدُها ما شاءت (إذا غنتها).

(١) العِرْنين: ما صَلُبَ من عظم الأنف، ويقال: هم شُم العرانين: أعِزّةٌ أُبَاة.
(٢) الخَنَا: الفُحْشُ في الكلام.

أخبار دَحمان ونسبُه

[١٧٠ ـ ٢٤٥ هـ/٧٨٥ ـ ٨٥٩ م]

[اسْمُهُ وَلَقَبُه ونسبه وولاؤه]

دحمان لَقَبٌ لُقِّبَ به، واسمه عبد الرحمٰن بن عمرو، مَوْلَى بني لَيْث بن بكر ابن عبد مَنَاة بنِ كنَانة. ويُكْنى أبا عمرو، ويقال له دَحْمان الأشقر. قال إسحاق: كان دَحْمان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِناً للحجّ؛ وكان كثيراً ما يقول: ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء.

[شَهَادَتُه في القَضَاء]

قال إسحاق: وحدّثني الزُّبَيري أنّ دَحْمان شَهِد عند عبد العزيز بن المطَّلب [ابن عبد الله] بن حَنْطَب [المخزوميّ][١]، وهو يَلي القضاءَ لرجلٍ من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعَدّله[٢]؛ فقال له العِراقيّ: إنه دَحْمان؛ قال: أعرفه، ولو لم أعرفه لسألتُ عنه؛ قال: إنه يغنّي ويعلِّم الجواري الغِنَاء؛ قال: غفر الله لنا ولك؛ وأيُّنا لا يتغنى! اخرج إلى الرجل عن حقّه.

وفي دحمان يقول أعشى بني سُلَيم: [الهزج]

إذا مَـــا هَـــزَّجَ الـــوادِيُّ ... أو ثَـــقَّـــلَ دَحْـــمَـــانْ
سَـــمِـــعـــتَ الـــشَّـــدْوَ مِـــنْ هٰـــذا ... وَمِـــن هـــذا بِـــمـــيـــزَانْ
فَـــهَـــذا سَـــيِّـــدُ الإنْـــسِ ... وَهـــذا سَـــيِّـــدُ الْـــجَـــانْ

---

(١) عَدَّله: زَكّاه.

(٢) ما بين معقوفين زيادة عن ابن الأثير والطبري.

وفيه يقول أيضاً: [البسيط]

كَانُوا فُحُولاً فَصَارُوا عِنْدَ حَلْبَتِهِم لَمَّا انْبَرَى لَهُم دَحْمَانُ خِصْيَانَا
فَأَبْلِغُوهُ عَنِ الأَعْشَىٰ مَقَالَتَهُ أَعْشَى سُلَيم أبي عَمْرٍو سُلَيمانَا
قُولُوا يقولُ أبو عَمْرو لصُحْبَتِهِ يا لَيْتَ دَحْمَانَ قَبْلَ المَوْتِ غَنَّانَا

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال: حدّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهديّ أنه حدّثه عن ابن جامع وزُبَير بن دَحْمان جميعاً أنّ دحمان كان معدَّلاً مقبولَ الشهادةِ عند القُضاةِ بالمدينة، وكان أبو سعيدٍ مولى فائد أيضاً ممن تُقبل شهادته. وكان دَحْمان من رُواة مَعْبَد وغلمانِه المتقدّمين. قال: وكان معبد في أول أمره مقبولَ الشهادة، فلما حضر الوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات[1] وغنَّى له سقطتْ عدالته، لا لأن شيئاً بان عليه من دخول في محظور، ولكن لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال: قال إسحاق: كان دحمانُ يُكنَى أبا عمرو، مولى بني ليْث، واسمُه عبد الرحمٰن، وكان يَخضِب رأسَه ولحيته بالحِنّاء؛ وهو من غِلْمَانِ مَعْبَد. قال إسحاق: وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس، ويقول: لو كان عبداً ما آشتريته على الغناء بأربعمائة درهم. وأشبهُ الناس به في الغناء ابنُه عبد الله، وكان يفضِّل الزُّبَير ابنَه تفضيلاً شديداً على عبد الله أخيه وعلى دَحمان أبيه.

[مكانته عند المهدي]

أخبرني يحيى عن أبي أيّوب عن أحمد بن المكّي عن عبد الله بن دَحْمان قال: رجع أبي من عند المَهْدي وفي حاصلِه مائةُ ألفِ دينار.

أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: بلغني أنَّ المهديَّ أعطى دَحْمان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار؛ وذلك أنه غنَّى في شعر الأَحْوص:

(١) الهَنَات: الأشياء اليسيرة.

[مجزوء الوافر]

قَطُوفُ المَشْيِ إذ تَمْشِي تَرى في مَشْيِهَا خَرَقَا[1]

فأعجبه وطرِب، واستخفّه السرور حتى قال لدَحْمان: سلْني ما شئت؛ فقال: ضَيْعتان بالمدينة يقال لهما رَيّان وغالِب؛ فأَقْطَعَهُ إيّاهما. فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد الله وعمر بن بَزِيع راجعا المهديَّ فيه وقالا: إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلاّ خليفة، وقد استقطعهما ولاةُ العهود في أيام بني أمية فلم يُقْطَعُوهما؛ فقال: والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى؛ فَصُولح عنهما على خمسين ألفَ دينار.

نسبة هذا الصوت

[مجزوء الوافر]

سَرَىٰ ذَا الهَمُّ بَلْ طَرَقَا فَبِتُّ مُسَهَّداً قَلِقَا
كَذَاكَ الحُبُّ مِمَّا يُحْـ ـدِثُ التَّسْهِيدَ وَالأَرَقَا
قَطُوفُ المَشْيِ إذ تَمْشِي تَرَى في مَشْيِهَا خَرَقَا
وَتُثْقِلُهَا عَجِيزَتُهَا إذا وَلَّتْ لِتَنْطَلِقَا

الشعر للأَحْوَص. والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو؛ وذكر الهشَاميّ أنه لابن سُرَيج.

أخبرني إسماعيل بن يُونس قال: حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال: مرَّ دَحْمان المغنّي وعليه رداء جيّد عَدَنيّ؛ فقال له مَنْ حضر: بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو؟ قال: بـ

مَا ضَرَّ جِيرانَنَا إذ انْتَجَعُوا

(١) قَطوفُ المشي: بطيئته. وخرقاً: تحيراً وَدَهَشاً. يريد أنها حَيِيَّة.

نسبة هذا الصوت

صوت

[المنسرح]

مـا ضَـرَّ جِـيـرَانَـنَـا إذِ انْـتَـجَـعُـوا … لـو أَنَّـهُـمْ قَـبْـلَ بَـيْـنِـهِـمْ رَبَـعُـوا(١)
أَحْـمَـوْا عَـلَـى عَـاشِـقٍ زِيـارَتَـه … فَـهْـوَ بِـهِـجْـرَانِ بَـيْـنَـهُـم قُـطَـعُ(٢)
وَهْـوَ كَـأَنَّ الـهُـيـامَ خَـالَـطَـهُ … ومَـا بِـه غَـيْـرُ حُـبِّـهـا ذَرَعُ(٣)
كَـأَنَّ لُـبْـنَـى صَـبِـيـرُ غَـادِيـةٍ … أَوْ دُمْـيَـةٌ زُيِّـنَـتْ بِـهـا الـبِـيَـعُ(٤)
الـلّـهُ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَ قَـيِّـمِـهـا … يَـفِـرُّ عَـنِّـي بِـهـا وأَتَّـبِـعُ

أخبرني وَكيع عن أبي أيُّوب المَدينيّ إجازةً عن أبي محمد العامريّ الأُوَيْسي قال: كان دَحْمان جَمّالاً يُكْرِي إلى المواضع ويتَّجر، وكانت له مروءةٌ، فبينا هو ذاتَ يوم قد أَكْرَى جمالَه وأخَذ مالَه إذ سمِع رَنّة، فقام واتبع الصوتَ، فإذا جارية قد خرجتْ تَبْكي؛ فقال لها: أمملوكةٌ أنتِ؟ قالت: نعم، فقال: لمن؟ فقالت: لامرأة من قريش، وسمّتْها له؛ فقال: أتبيعك؟ قالت: نعم، ودخلتْ إلى مولاتها فقالت: هذا إنسان يشتريني؛ فقالت: ائذني له، فدخل، فسامها حتى استقر أمر الثمن بينهما على مائتي دينار، فنقَدها إياها وانصرف بالجارية. قال دَحْمان: فأقامت عندي مدةً أطرَح عليها ويطرَح عليها مَعْبَد والأَبْجر ونظراؤهما من المغنين؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشأم وقد حَذِقَتْ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أُنْزِل الأكْرياء(٥) ناحيةً، وأنزل معتزلاً بها ناحيةً في مَحْمِلٍ وأطرَح على المَحْمِل من أَغْبية(٦) الجَمّالين، وأجلس أنا وهي تحت ظلّها، فأُخرج شيئاً فنأكله، ونضع رِكْوَةً(٧) فيها لنا شراب، فنشرب ونتغنّى حتى نرحل. ولم نزل كذلك حتى قربْنا من الشأم. فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلْقي عليها لحني:

---

(١) انْتَجَعُوا: طلبوا الكلأ ومَساقِطَ الغيث.
(٢) أحْمَوا: حَظروا ومنعوا.
(٣) الذَّرَع: الطَّمَع.
(٤) الغَادية: السَّحَابة تنشأ غدوة. والبِيَع: جمع بيعة: المعبد للنصارى واليهود.
(٥) الأكْرياء: جمع كَري وهو المُكَاري.
(٦) الأغْبية: جمع عباء وهو ضرب من الأكسية.
(٧) الرِّكوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

صوت

[الكامل]

لَـو رَدَّ ذُو شَـفَـقٍ حِـمَـامَ مَـنِـيَّـةٍ   لَـرَددتُ عـن عـبـدِ الـعـزيـزِ حِـمَـامَـا
صَـلَّـى عَـلَـيْـكَ الـلَّـهُ مِـنْ مُـسْـتَـودَعٍ   جَـاوَرْتَ بُـوْمـاً فـي الـقُـبُـورِ وَهـامَـا[١]

ـ الشعر لكُثَيِّر يرثي عبدَ العزيز بن مَرْوان. وزعم بعضُ الرواة أن هذا الشعر ليس لكثيّر وأنه لعبد الصمد بن عليّ الهشامي يرثي ابناً له. والغناء لدَحْمان، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر ـ.

قال: فرددتُه عليها حتى أَخَذَتْهُ واندفعتْ تغنّيه، فإذا أنا براكبٍ قد طلَع فسلم علينا فردَدْنا عليه السلام؛ فقال أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً؟ قلنا نعم، فنزل، وعرضتُ عليه طعامَنا وشرابنَا فأجاب، فقدّمنا إليه السُّفْرةَ فأكل وشرب معنا، واستعاد الصوت مراراً. ثم قال للجارية: أتغنّين لدَحْمان شيئاً؟ قالت نعم. قال: فغنّته أصواتاً من صنعتي، وغمزتُها ألا تُعَرِّفَهُ أَنّي دَحْمان؛ فطَرِب وامتلأ سروراً وشرب أقداحاً والجارية تغنّيه حتى قَرُبَ وقتُ الرحيل؛ فأقبل عليّ وقال: أتبيعني هذه الجاريةَ؟ فقلت نعم؛ قال: بكم؟ قلت كالعابث: بعشرة آلاف دينار، قال: قد أخذتُها بها، فهلمّ دواةً وقِرْطاساً، فجئته بذلك؛ فكتبَ: «إدفع إلى حامل كتابي هذا حين تقرؤه عشرة آلاف دينار، وأستوصِ به خيراً وأعلمني بمكانه» وختمَ الكِتَابَ ودفعَه إليّ؛ ثم قال: أتدفَع إليّ الجارية أم تَمضي بها معك حتى تقبض مالك؟ فقلت: بل أدفعها إليك؛ فحملها. وقال: إذا جئتَ البَخْراءَ[٢] فَسلْ عن فلان وادفَع كتابي هذا إليه واقبضْ منه مالك، ثم انصرف بالجارية. قال: ومضيتُ، فلما وردت البَخْراءَ سألت عن اسم الرجل؛ فدُللت عليه، فإذا دارُه دارُ مُلْك، فدخلتُ عليه ودفعت إليه الكتابَ، فقبّله ووضعه على عينيه، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إليّ، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين، وقال لي: اجلس حتى أُعلم أمير المؤمنين بك؛ فقلتُ له: حيثُ كنتُ فأنا عبدُك وبين يديك، وقد كان أمر لي بأنزال[٣] وكان بخيلاً، فاغتنمتُ ذلك فارتحلتُ؛ وقد كنت أُصِبت بجملين، وكانت عدّةُ أجمالي خمسة عشرَ فصارت ثلاثة عشرَ.

---

(١) الْهَام: الصدى، واحِدُه هَامَة.
(٢) البخْراء: أرض وَمَاءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز (معجم البلدان ٢/٣٥٦).
(٣) الأَنْزَال: جمع نُزُل وهو ما هُيّء للضيف أن يَنْزِل عليه.

قال: وسأل عنّي الوليدُ، فلم يَدْرِ القَهْرَمانُ[١] أين يطلُبني؛ فقال له الوليد: عدّةُ جماله خمسة عشَر جملاً فارددْه إلي؛ فلم أُوجَد، لأنه لم يكن في الرُّفْقة من معه خمسة عشرَ جملاً، ولم يَعْرِف اسمي فيسألَ عنّي، قال: وأقامت الجارية عنده شهراً لا يَسأل عنها، ثم دعاها بعد أن استُبرئت[٢] وأُصلح من شأنها، فظلَّ معها يومَه، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها: غنِّيني لدَحْمان فغنّت؛ وقال لها: زيديني فزادت. ثم أقبلت عليه فقالت: يا أمير المؤمنين، أوَ ما سمعتَ غناء دَحْمان منه؟ قال لا؛ قالت: بلى والله؛ قال: أقول لك لا، فتقولين بلى والله! فقالت: بلى والله لقد سَمِعْتَه؛ قال: وما ذاك؟ وَيْحَكِ! قالت: إنّ الرجل الذي اشتريتني منه هو دحمان؛ قال: أوَ ذَلِكَ هو؟ قالت: نعم، هو هو؛ قال: فكيف لم أعلم؟ قالت: غَمزَني بألاّ أُعلمك. فأَمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان، فحُمل فلم يزل عنده أثيراً[٣].

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حَماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا ابن جامع قال:

تذاكروا يوماً كِبَرَ الأُيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القول؛ ثم قال بعضهم: إنما يكون كبر أيْر الرجل على قَدْر حِر أمّه، فالتفت الأميرُ إلى دَحمان فقال: يا دَحْمان، كيف أيرك؟ فقال له: أيها الأمير، أنت لم تُرد أن تعرف كبر أيري، وإنما أردتَ أن تعرف مقدار حِر أمّي. وكان دَحْمان طيّباً ظريفاً.

أخبرني إسماعيل بن يُونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال:

أوّل ما عُرف من ظَرْف دَحْمان أنّ رجلاً مرّ به يوماً، فقال له: أيْر حماري في حِرِ أمّك يا دُحَيم، فلم يفهم ما قاله، وفَهِمَهُ رجل كان حاضراً معه فضحك؛ فقال: ممّ ضحكت؟ فلم يُخْبِره، فقال له: أقسمتُ عليك إلاّ أخبرتني، قال: إنه شتمك فلا أُحبّ استقبالك بما قاله لك؛ فقال: والله لتخبرنّي كائناً ما كان، فقال له قال: كذا وكذا من حمارِي في حِرِ أمّك فضحك ثم قال: أعجبُ والله وأغلظ عليّ من

(١) القَهْرَمان: الوَكِيل.

(٢) اسْتبرأ الرجل الجارية: لم يمسّها بعد ملكها حتى يَتَبيَّن حَالها أهي حامل أم لا.

(٣) الأثِير: المُكَرَّم.

شَتْمِه كِنَايتُك عن أيْر حمارِه وتصريحُك بحِر أمّي لا تكْني.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حدّثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلّبيّ قال: حدّثني إسحاق الموصليّ قال: حدّثنا عبد الله بن الرَّبيع المَديني قال: حدّثني الرَّبَعِيّ المغنّي قال:

قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة: اغْدُوا على قصري بالعَقيق غداً؛ وكنت أنا ودَحْمان وعَطَرَّد، فغدوتُ للموعد، فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة[1] فإذا هو وعَطَرَّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها، وإذا السماءُ تَبْغَش[2]، فأذكرتُهما الموعدَ، فقالا: أما ترى يومَنا هذا ما أطيَبه! اجلس حتى نأكل من هذه القِدْر ونُصيبَ شيئاً ونستمتعَ من هذا اليوم؛ فقال: ما كنت لأفعل مع ما تقدّم الأمير به إليّ؛ فقالا لي: كأنّا بالأمير قد انحلَّ عزمُه، وأخذك المطرُ إلى أن تبلغ، ثم ترجع إلينا مبتلاً فتقرَع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذٍ. قال: فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت، وإذا جعفرٌ مُشرِف من قصره والمَضَارِب[3] تُضرَب والقدور تُنصَب؛ فلما كنت بحيث يَسْمَعُ تغنَّيتُ: **[الطويل]**

وَأَسْتَصْحِبُ الأَصْحَابَ حَتّى إذا وَنَوْا وَملُّوا من الإِدْلاَجِ جِئْتُكُمْ وَحدِي[4]

قال: وما ذاك؟ فأخبرتُه، فقال: يا غلام، هات مائتي دينار أو أربعمائة دينار ـ الشك من إسحاق الموصلي ـ فانثرها في حِجْر الرَّبَعيّ، اذهب الآن فلا تُحلّ لها عُقْدةً حتى تُرِيَهُمَا إياها؛ فقلتُ: وما في يدي من ذلك! يأتيانكَ غداً فتُلْحِقهما بي؛ قال: ما كنتُ لأفعل؛ قلتُ: فلا أمضي حتى تحلف لي أنك لا تفعل، فحلَف فمضيتُ إليهما، فقَرعتُ الباب فصاحا وقالا: ألم نقل لك إن هذه تكون حالَك؛ فقلت: كلاّ! فأرَيتُهما الدنانيرَ؛ فقالا: إنّ الأمير لحيٌّ كريم، ونأتيه غداً فنعتذرُ إليه فيدعوه كرمُه إلى أن يُلْحِقَنا بك؛ فقلت: كذَبَتْكما أنفسُكما، والله إني قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الأيمان ألاّ يفعل؛ فقالا: لا وصلتْكَ رَحِم.

---

(١) جُهينة: قرية من نواحي الموصِل على دِجْلة (معجم البلدان ٢/ ١٩٤).

(٢) بغَشَت السماء تَبْغَش: أمطرت مطراً ضعيفاً.

(٣) المضارِب: جمع مضرب وهو الفسطاط العظيم.

(٤) الإِدْلاج: السّير ليلاً.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن منصور بن أبي مُزَاحِم قال: أخبرني عبد العزيز بن الماجشُون قال: صلّينا يوماً الصبحَ بالمدينة، فقال قوم: قد سال العقيق، فخرجنا من المسجد مُبَادِرين إلى العقيق، فانتهينا إلى العَرْصة[1] فإذا من وراء الوادي قُبَالتَنا دَحْمانُ المغني وابن جُنْدب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو: [الخفيف]

أَسْكُنُ البَدْوَ ما سَكَنْتِ بِبَدْوٍ فإذا ما حَضَرْتِ طَالَ الحُضُورُ

وإذا أطيبُ صوتٍ في الدنيا. قال: وكان أخي يكره السَّماع؛ فلمّا سمعه طرب طرباً شديداً وتحرّك؛ وكان لغناء دَحْمان أشدَّ استحساناً وحركة وٱرتياحاً؛ فقال لي: يا أخي، اسمع إلى غناء دحمان، والله لكأنّه يسكُب على الماء زيتاً.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الخفيف]

أَوْحَشَ الجُنْبُذَانِ فَالدَّيْرُ مِنْها فَقُرَاها فالمَنْزِلُ المَحْظُورُ[2]

أَسْكُنُ البَدْوَ ما أَقَمْتِ بِبَدوٍ فإذا ما حَضَرْتِ طَابَ الحُضُورُ

أَيُّ عَيْشٍ أَلَذُّهُ لَسْتِ فِيهِ أَوْ تُرَى نَعْمَةٌ بِهِ وسُرورُ[3]

الشعر لحَسّان بن ثابت. والغناء لابن مِسْجَح رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

[دحمان ينافس المغنيات ويغني جميل الشعر]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال: حدّثني أحمد بن عبد الرحمٰن عن أبي عثمان البَصْري قال: قال دحْمان: دخلتُ على الفضل بن يحيى ذات يوم؛ فلما جلسنا، قام وأومأ إليّ فقمتُ، فأخذ بيدي ومضى بي إلى مَنْظَرة له على الطريق،

(١) العَرْصة: بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. وبالعقيق عرصتان (معجم البلدان ٤/ ١٠١).

(٢) الجُنبُذان لم نجد الجنبذان وإنما وجدنا: الجنابذ وهي ناحية من نواحي نيسابور (معجم البلدان ٢/ ١٦٥).

(٣) ألذُه: أجده لذيذاً.

ودعا بالطعام فأكلنا، ثم صِرنا إلى الشراب؛ فبينا نحن كذلك إذ مرّت بنا جارية سوداء حِجَازيّة تغنّي:

[مجزوء الرمل]

اهجُريني أوْ صِلِيني ... كَيْفَمَا شِئْتِ فَكُونِي
أنتِ واللّهِ تُحَبِّـ ... ـنِي وإنْ لم تُخبريني

فطَرِب وقال: أحسنتِ! ادخلي فدخلتْ، فأمر بطعام فقُدِّم إليها فأكلتْ، وسقاها أقداحاً، وسألها عن مواليها فأخبرتْه؛ فبعث فاشتراها، فوجدها من أحسن الناس غناءً وأطيبِهم صوتاً وأملحِهم طبعاً؛ فغلبتْني عليه مدّةً وتناساني؛ فكتبتُ إليه:

أَخْرَجَتِ السَّوداءُ ما كَانَ في ... قَلْبِكَ لِي مِنْ شِدَّةِ الحُبّْ
فَإنْ يَدُمْ ذَا مِنْكَ لا دَامَ لِي ... مِتُّ مِنَ الإعْرَاضِ وَالكُرْبِ

قال: فلمّا قرأ الرُّقعة ضحك، وبعث فدعاني وَوَصَلَنِي، وعاد إلى ما كان عليه من الأُنْس.

قال مؤلف هذا الكتاب: هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر، وأظنّه غلطاً؛ لأنّ دَحْمان لم يُدرك خلافة الرشيد، وإنما أدركها ابناه زُبَير وعبد الله؛ فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى.

ومّما في المائة المختارة من صنعة دَحْمان

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى [الطويل]

وإنّي لآتِي البَيْتَ مَا إنْ أُحِبُّهُ ... وأُكْثِرُ هَجْرَ البَيْتِ وَهْوَ حَبِيبُ
وأُغْضِي على أشياءَ مِنكُم تَسُؤُني ... وأُدْعَى إلى ما سَرَّكُم فَأُجِيبُ
وَأَحْبِسُ عَنْكِ النَّفْسَ والنَّفْسُ صَبَّةٌ ... بِقُرْبِكِ والمَمْشَى إلَيكِ قَرِيبُ

الشعر للأَحْوَص. والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ. وقد تقدّمَتْ أخبارُ الأحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب.

صوت

من المائة المختارة

[الرمل]

حَـيِّـيَـا خَـوْلَـةَ مِـنِّـي بـالـسَّـلاَمْ ... دُرَّةَ الـبَـحْـرِ ومِـصْـبَـاحَ الـظَّـلاَمْ

لاَ يَـكُـنْ وَعْـدُكِ بَـرْقـاً خُـلَّـبـاً ... كَـاذِبـاً يَـلْـمَـعُ فِـي عُـرْضِ الـغَـمَـامْ

واذْكُـرِي الـوَعْـدَ الّـذي وَاعَـدْتِـنـا ... لَـيْـلَـةَ الـنِّـصْـفِ مِـنَ الـشَّـهْـرِ الـحَـرَامْ

الشعر لأعشى هَمْدان. والغناء لأحمد النَّصْبيّ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وعروضه من الرَّمَل. والخُلَّب من البرق: الذي لا غيث معه ولا يُنتفع بسحابه. وتَضرِبُ المثلَ به العربُ لمن أخلف وعدَه؛ قال الشاعر: [الرمل]

لا يَـكُـنْ وَعْـدُكِ بَـرْقـاً خُـلَّـبـاً ... إنَّ خَـيْـرَ الـبَـرْقِ مـا الـغَـيْـثُ مَـعَـهْ

وعرض السحابة: الناحية منها.

أخبار أعشى هَمْدان ونسبُه

[توفي ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م]

[اسمه ونسبه]

اسمه عبد الرحمٰن بن عبد الله بن الحارث بن نِظَام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ بن جُشم بن حاشد بن جُشم بن خَيْران بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن نِزار بن أوْسِلة بن ربيعة بن الخيار بن مالِك بن زيد بن كهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، ويُكنَى أبا المصَبّح، شاعرٌ فصيح، كوفيّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوجَ أخت الشَّعبيّ الفقيه، والشعبيُّ زوجَ أخته، وكان أحَدَ الفقهاء القُرّاء، ثم ترك ذلك وقال الشعر، وآخَى أحمد النَّصْبي بالعَشِيريّة[1] والبَلَديّة، فكان إذا قال شعراً غنَّى فيه أحمدُ. وخرج مع ابن الأشْعث، فأُتِي به الحَجّاج أسيراً في الأسرى، فقتله صَبْراً[2].

أخبرني بما أذكره من جملة أخباره الحَسَنُ بن عليّ الخَفّاف قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ عن محمد بن معاوية الأسَدي أنه أخذ أخباره هذه عن ابن كُنَاسة عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية وعن غيرهم من رُوَاة الكوفيين. قال: حدّثنا عمر بن شَبّة وأبو هِفّان جميعاً عن إسحاقَ الموصليّ عن الهَيْثم بن عدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانِيّ. قال العَنزيّ: وأخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعي، وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفرداً.

---

(١) العَشِيريّة: نسبة إلى العشير أو العشيرة وهم قبيلة الرجل.

(٢) قُتل صَبْراً: أي حُبس على القتل حتى يُقتل.

[بداية شِعْرِه]

أخبرني المهلَّبي أبو أحمد حَبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالا: حدّثنا عمر ابن شَبّة وأبو هِفّان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْداني قال: كان الشَّعْبيّ عامرُ بنُ شَراحيل، زوجَ أخت أعشى هَمْدان، وكان أعشى هَمْدان زوجَ أخت الشعبي؛ فأتاه أعشى همدان يوماً، وكان أحدَ القُرّاء للقرآن، فقال له: إني رأيت كأني أُدخلت بيتاً فيه حِنْطة وشعير، وقيل لي: خذ أيّهما شئتَ، فأخذتُ الشَّعير، فقال: إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآن وقراءتَه وقُلْتَ الشعر؛ فكان كما قال.

[أسره وخلاصه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ عن محمد بن معاوية الأسدي عن ابن كُنَاسة، قال العَنزيّ وحدّثني مسعود بن بِشر عن أبي عُبيدة والأصمعي قالا، رافق روايتَهم[١] الهيْثمُ بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال: كان أعشى هَمْدان أبو المُصَبّح ممن أغزاه الحَجّاجُ بلدَ الدَّيْلم ونواحيَ دَسْتبى[٢]، فأُسِر، فلم يزل أسيراً في أيدي الديلم مدّة. ثم إن بنتاً للعِلْج الذي أَسَره هَوِيته، وصارت إليه ليلاً فمكّنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثمانيَ مرّات، فقالت له الديلميةُ: يا معشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال لها: هكذا نفعل كلّنا؛ فقالت له: بهذا العمل نُصرتم؛ أفرأيتَ إن خلّصتُك، أتصطفيني لنفسك؟ فقال لها نعم، وعاهدها. فلما كان الليل حَلّت قيودَه وأخذتْ به طُرُقاً تعرفها حتى خلّصتْه وهربَتْ معه. فقال شاعر من أَسْرى المسلمين: [الطويل]

فَمَنْ كان يَفْدِيه من الأَسْرِ مالُهُ ... فَهَمْدانُ تَفْدِيها الغَداةَ أُيورُها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أَسْر الديلم:

---

(١) هكذا في الأصل والصواب: ووافق روايتها.

(٢) دَسْتَبَى: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان، فقسم منها يسمى دستبى الرازي، وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمى دستبى همذان وهو عدة قرى. (معجم البلدان ٢/ ٤٥٤).

صوت

[الكامل]

لِمَنِ الظَّعائِنُ سَيْرُهُنَّ تَرَجُّفُ عَوْمَ السَّفينِ إذا تَقاعَسَ مِجْذَفُ
مَرَّتْ بِذي خُشُبٍ كَأَنَّ حُمولَها نَخلٌ بِيَثْرِبَ طَلْعُهُ مُتَضَعِّفُ(١)

ـ غنَّى في هذين البيتين أحمد النَّصْبي، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ. وفيهما لمحمد الزَّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو ـ

عُولِينَ دِيباجاً وَفاخِرَ سُنْدُسٍ وَبِخَزِّ أَكْسِيَةِ العِراقِ تُحَفَّفُ
وغَدَتْ بِهِمْ يَومَ الفِراقِ عَرامِسٌ فُتْلُ المَرافِقِ بالهَوادجِ دُلَّفُ(٢)
بَانَ الخَليطُ وَفاتَني بِرَحيلِهِ خَوْدٌ إذا ذُكِرَتْ لِقَلْبِكَ يُشْغَفُ(٣)
تَجْلُو بِمِسْواكِ الأَراكِ مُنَظَّماً عَذْباً إذا ضَحِكَتْ تَهَلَّلَ يَنْطُفُ(٤)
وَكَأَنَّ رِيقَتَها على عَلَلِ الكَرَى عَسَلٌ مُصَفًّى في القِلاَل وقَرْقَفُ(٥)
وَكَأَنَّما نَظَرَتْ بِعَيْنَيْ ظَبْيَةٍ تَحْنُو عَلَى خِشْفٍ لَها وتَعَطَّفُ
وإذا تَنُوءُ إلى القِيامِ تَدافَعَتْ مِثْلَ النَّزيفِ يَنُوءُ ثُمَّتَ يَضْعُفُ(٦)
ثَقُلَتْ رَوادِفُها ومَالَ بِخَصْرِها كَفَلٌ كَمَا مَال النَّقا المُتَقَصِّفُ(٧)
ولَها ذِراعا بَكْرٍ رَحَبِيَّةٍ وَلَها بَنَانٌ بالخِضابِ مُطَرَّفُ(٨)
وعَوارِضٌ مَصْقُولَةٌ وترائبٌ بيضٌ وبَطْنٌ كالسَّبيكَةِ مُخْطَفُ(٩)
ولَها بَهاءٌ في النِّساءِ وبَهْجَةٌ وبِها تَحُلُّ الشَّمْسُ حِينَ تُشَرِّفُ
تِلْكَ الّتي كَانَتْ هَوايَ وَحاجَتي لو أنَّ داراً بالأَحِبَّةِ تُسْعِفُ
وإذا تُصِبْكَ مِنَ الحَوادِثِ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ فَكلُّ مُصيبةٍ سَتُكَشَّفُ
وَلَئِنْ بَكَيتُ من الفراقِ صَبابَةً إنَّ الكَبيرَ إذا بَكَى لَيُعَنَّفُ

---

(١) ذو خُشُب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة (معجم البلدان ٢/ ٣٧٢).
(٢) العرامس: جمع عرمس وهي الناقة الصلبة. ودلفت الناقة بحملها: نهضت.
(٣) بان الخليط: بعد. والخَود: المرأة الشّابة.
(٤) الأراك: شجر يُستاك بفروعه.
(٥) القِلال: جمع قُلّة وهي الجرة. والقرقف: الخمر.
(٦) النزيف: السكران، والذي سال دمه حتى ضعف.
(٧) الكفل: العجيزة. والنقا: العظم ذو المخ.
(٨) طرَّفت المرأةُ بنانها: خضبت أطراف أصابعها بالحِنّاء.
(٩) المخطف: الضامر.

عَـجَـبـاً مِـن الأيَّـام كَـيْـفَ تَـصَـرَّفَـتْ   والـدَّارُ تَـدْنُـو مَـرَّةً وتَـقَـذَّفُ
أَصْـبَـحْـتُ رَهْـنـاً لِـلْـعُـداةِ مُـكَـبَّـلاً   أُمْسِي وأُصْبِحُ في الأَدَاهِـم أَرْسُـفُ[1]
بَـيْـنَ الـقَـلَـيْـسَـمِ فَـالـقُـيـولِ فَـحـامِـنٍ   فـالـلُّـهـزَمَـيـنِ ومَـضْـجَـعِـي مُـتَـكَـنَّـفُ

ـ هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنَّفته الهموم بها ـ.

فَـجِـبَـالُ وَيْـمَـةَ مَـا تَـزالُ مُـنِـيـفَـةً   يـا لَـيْـتَ أَنَّ جِـبَـالَ وَيـمَـةَ تُـنْـسَـفُ

ـ ويمة وشلبة: ناحيتان من نواحي الريّ ـ.

ولَـقَـدْ أَرَانِـي قَـبْـلَ ذَلِـكَ نَـاعِـمـاً   جَـذْلانَ آبَـى أَنْ أُضَـامَ وآنَـفُ[2]
واسْتَنْكَرَتْ ساقِي الوَثَاقَ وساعِدِي   وأَنـا امـرؤٌ بَـادِي الأشاجِـعِ أَعْـجَـفُ[3]
ولَـقَـدْ تُـضَـرِّسُـنِـي الـحُـرُوبُ وإِنَّـنـي   أُلْـفَـىٰ بِـكُـلِّ مَـخَـافَـةٍ أَتَـعَـسَّـفُ
أَتَـسَـرْبَـلُ الـلَّـيْـلَ الـبَـهِـيـمَ وأَسْـتَـرِي   في الخَبْتِ إذْ لا يَسْتُرُونَ وأُوجِفُ[4]
مـا إنْ أَزَالُ مُـقَـنَّـعـاً أَوْ حَـاسِـراً   سَلَفَ الكَتِيبَةِ والكَتِيبةُ وُقَّفُ[5]
فَـأَصَـابَـنِـي قَـومٌ فَـكُـنْـتُ أُصِـيـبُـهُـم   فَـالآنَ أَصْـبِـرُ لِـلـزَّمَـانِ وأَعْـرِفُ
إنِّـي لِـطَـلاَّبُ الـتِّـراتِ مُـطَـلَّـبٌ   وبِـكُـلِّ أَسْـبَـابِ الـمَـنِـيَّـةِ أُشْـرِفُ[6]
بَـاقٍ عـلـى الـحِـدْثـان غـيـرُ مُـكَـذَّبٍ   لا كـاسـفٌ بـالـي ولا مُـتَـأَسِّـفُ[7]
إن نِـلْـتُ لَـمْ أَفْـرَحْ بِـشَـيْءٍ نِـلْـتُـه   وإذا سُـبِـقْـتُ بِـهِ فَـلا أَتَـلَـهَّـفُ
إِنِّـي لأَحْـمِـي فـي الـمَـضِـيـقِ فَـوَارِسـي   وَأَكُـرُّ خَـلْـفَ الـمُـسْـتَـضَـافِ وأَعْـطِـفُ
وأَشُـدُّ إذْ يَـكْـبـو الـجَـبـانُ وأَصْـطَـلِـي   حَـرَّ الأَسِـنَّـةِ والأَسِـنَّـةُ تَـرْعُـفُ

صوت

فَـلَـئِـنْ أَصَـابَـتْـنِـي الـحُـرُوبُ فَـرُبَّـمـا   أُدْعَـى إذا مُـنِـعَ الـرِّدَافُ فَـأُرْدِفُ[8]

---

(١) الأدهم: القيد. وأرسُفُ: أمشي مُقَيّداً.
(٢) جَذْلان: فرحان.
(٣) الأشاجع: أصول الأصابع أو عروق الكف. وأعجف: قليل اللحم.
(٤) الخَبْت: الأرض المنخفضة أو الوادي. وأوجِفُ الفرس: أجعله يعدو عَدْواً سريعاً.
(٥) السَّلَف: المتقدم.
(٦) التّرات: جمع ترة، وهي الثأر.
(٧) الحِدْثان: الليل والنهار.
(٨) الرداف: جمع الرَّديف: وهو الراكب خلف الراكب.

وَلَـرُبَّـمـا يَـزْوَى بِـكَـفِّـي لَـهْـذَمٌ ماضٍ ومُطَّرِدُ الكُعُوبِ مُثَقَّفُ[1]
وأُغِـيـرُ غَـاراتٍ وأَشْـهَـدُ مَـشْـهَـداً قَـلْـبُ الـجَـبَـانِ بـه يَـطِـيـرُ ويَـرجـفُ
وأَرَى مَـغَـانِـمَ لـو أَشـاءُ حَـوَيْـتُـهـا فَـيَـصُـدُّنِـي عـنـهـا غِـنًـى وتَـعـفُّـفُ

ـ غنّى في هذه الأبيات دَحْمَانُ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن الهشاميّ. قال الهشاميّ: فيها لمالكٍ خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى، ووافقه في هذا ابن المكيّ ـ قالوا جميعاً: ثم ضُرِب البَعْثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكْران[2]، فأخرجه الحجّاج معهم، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرِض، فاجتواها[3] وقال في ذلك ـ وأنشدني بعضَ هذه القصيدة اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ ـ: [المتقارب]

طَـلَـبْـتَ الـصِّـبـا إذْ عَـلاَ الـمَـكْـبَـرُ وشَـابَ الـقَـذَالُ ومَـا تُـقْـصِـرُ[4]
وبَـانَ الـشَّـبَـابُ ولَـذَّاتُـهُ ومِـثْـلُـكَ فِـي الـجَـهْـلِ لاَ يُـعْـذَرُ
وقَـال الـعَـوَاذِلُ هَـلْ يَـنْـتَـهِـي فَـيَـقْـدَعَـهُ الـشَّـيْـبُ أو يُـقْـصِـرُ[5]
وفـي أربـعـيـنَ تَـوَفَّـيْـتُـهـا وعَـشْـرٍ مَـضَـتْ لِـيَ مُـسْـتَـبْـصَـرُ
ومَـوْعِـظَـةٌ لامْـرِئٍ حَـازِمٍ إذا كَـانَ يَـسْـمَـعُ أو يُـبْـصِـرُ
فَـلا تَـأْسَـفَـنَّ عَـلَـى مَـا مَـضَـى ولا يَـحْـزُنَـنَّـكَ مَـا يُـدْبِـرُ
فـإنَّ الـحَـوَادِثَ تُـبْـلِـي الـفَـتَـى وإنَّ الـزَّمَـانَ بِـهِ يَـعْـثُـرُ
فَـيَـوْمـاً يُـسَـاءُ بِـمَـا نَـابَـهُ ويـومـاً يُـسَـرُّ فَـيَـسْـتَـبْـشِـرُ
ومِـنْ كُـلِّ ذَلِـكَ يَـلْـقَـى الـفَـتَـى ويُـمْـنَـى لَـهُ مِـنْـه مـا يُـقْـدَرُ
كَـأَنِّـيَ لَـمْ أَرْتَـحِـلْ جَـسْـرَةً ولَـمْ أُجْـفِـهَـا بَـعـدَمـا تَـضْـمُـرُ[6]

(١) اللَّهذم: هنا السيف الحادّ القاطع. ومُطَّرِدُ الكُعوب: الرمح واطراد كعوبه تتابعها. والمثقَّف: المُقَوَّم المُسَوّى، المعتدل.
(٢) مُكران: ولاية واسعة وهي بين كرمان من غربيّها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند في شرقيها (معجم البلدان ٥/ ١٨٠).
(٣) اجتوى: كره البقاء فيها.
(٤) القَذَال: جُماع مؤخر الرأس.
(٥) يقدعه: يكفّه.
(٦) ارتحل الرجل البعير: شدّ عليه الرحل. والجَسْرة: الناقة العظيمة. وأجفاها: أتعبها ولم يدعها تأكل، وذلك إذا ساقها سوقاً شديداً.

فَأُجْشِمُهَا كُلَّ دَيْمُومَةٍ ... ويَعْرِفُها البَلَدُ المُقْفِرُ[١]
ولَمْ أَشْهَدِ البَأْسَ يَومَ الوَغَى ... عَلَيَّ المُفَاضَةُ والمِغْفَرُ[٢]
وَلَمْ أخرِق الصَّفَ حَتّى تَمِيـ ... ـلَ دَارِعَةُ القَوْمِ والحُسَّرُ[٣]
وَتَحْتِيَ جَرْدَاءُ خَيْفَانَةٌ ... مِنَ الخَيْلِ أَوْ سَابِحٌ مُجْفَرُ[٤]
أُطَاعِنُ بِالرُّمْحِ حَتّى اللَّبَا ... نُ يَجْرِي بِه العَلَقُ الأَحْمَرُ[٥]
وَمَا كُنْتُ فِي الحَرْبِ إذْ شَمَّرَتْ ... كَمَنْ لا يُذِيبُ ولا يُخْثِرُ[٦]
ولٰكِنَّنِي كُنْتُ ذَا مِرَّةٍ ... عَطُوفاً إذا هَتَفَ المَحْجِرُ[٧]
أُجِيبُ الصَّرِيخَ إذا ما دَعَا ... وعِنْدَ الهِيَاجِ أَنَا المِسْعَرُ[٨]
فَإِن أُمْسِ قَدْ لاَحَ فِيَّ المَشِيـ ... ـبُ أُمَّ البَنِينِ، فَقَدْ أَذْكُرُ
رَخَاءً مِنَ العَيْشِ كُنَّا بِهِ ... إذِ الدَّهْرُ خَالٍ لَنَا مُصْحِرُ[٩]
وإذ أنا فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَا ... بِ يُعْجِبُنِي اللَّهْوُ والسُّمَّرُ
أَصِيدُ الحِسَانَ ويَصْطَدْنَنِي ... وتُعْجِبُنِي الكَاعِبُ المُعْصِرُ[١٠]
وَبَيْضَاءُ مِثْلُ مَهَاةِ الكَثِيـ ... ـبِ لا عَيْبَ فِيهَا لِمَنْ يَنْظُرُ
كَأَنَّ مُقَلَّدَها إذ بَدا ... بِهِ الدُّرُّ والشَّذْرُ والجَوْهَرُ[١١]
مُقَلَّدُ أَدْمَاءَ نَجْدِيَّةٍ ... يَعِنُّ لَهَا شَادِنٌ أَحْوَرُ[١٢]
كَأَنَّ جَنَى النحلِ وَالزَّنْجَبِيـ ... ـلَ والفَارِسِيَّةَ إذْ تُعْصَرُ[١٣]
يُصَبُّ عَلَى بَرْدِ أَنْيَابِهَا ... مُخَالِطُه المِسْكُ وَالعَنْبَرُ

---

(١) الديمومة: الفلاة الواسعة.
(٢) المُفَاضَة: الدرع الواسعة. والمِغْفَر: زرد ينسج على قدر الرأس يُلبس تحت القلنسوة للوقاية في الحروب.
(٣) دارِعَةُ القوم: الفرقة اللابسة الدروع. والحُسَّر: الذين لا يضعون على رؤوسهم ما يحميها في المعركة.
(٤) الجرداء: القصيرة الشَّعْر؛ والخيفانة: السريعة. والمُجْفَر: الواسع الجفرة أي الوسط.
(٥) اللَّبان: الصَّدْر.
(٦) لا يُذيب ولا يُخثِر: أي متردد متحير، مأخوذ من المثل: «وما يدري أيخثر أم يذيب».
(٧) ذو مِرّة: ذو عقل وذو قوة.
(٨) الصريخ: المغيث. والمِسْعَر: المُوقد.
(٩) المُصْحِر: المكشوف.
(١٠) الكاعب: التي نهد ثديها. والمعصر: التي بلغت شبابها، وقيل بلغت العشرين من العمر.
(١١) الشَّذْر: اللؤلؤ الصغير، أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه بدون إذابة الحجارة.
(١٢) الأدماء من الظباء: البيضاء تعلوها جدد غبر. والشادن: ولد الظبية.
(١٣) الفارسية: الخمر.

إذا انصَرَفتْ وتَلَوَّتْ بِها رِقَاقُ المَجَاسِدِ والمِئْزَرُ(١)
وغَصَّ السِّوَارُ وجَالَ الوِشاحُ عَلَى عُكَنٍ خَصْرُهَا مُضْمَرُ(٢)
وضاقَ عَنِ السَّاقِ خَلْخَالُها فَكَادَ مُخَدَّمُهَا يَنْدُرُ(٣)
فَتُورُ القِيامِ رَخِيمُ الكَلاَ مِ يُفْزِعُها الصَّوتُ إذْ تُزْجَرُ
وتُنْمَىٰ إلَى حَسَبٍ شَامِخٍ فَلَيْسَتْ تُكَذِّبُ إذْ تَفْخَرُ
فَتِلْكَ الَّتِي شَفَّنِي حُبُّهَا وحَمَّلَنِي فَوقَ مَا أقْدِرُ
فَلا تَعْذُلانِيَ فِي حُبِّها فَإنِّي بِمَعْذِرَةٍ أَجْدَرُ

- ومن ها هنا رواية اليَزيديّ:

وقُولاَ لِذِي طَرَبٍ عَاشِقٍ أَشَطَّ المَزَارُ بِمَنْ تَذْكُرُ؟
بِكُوفِيَّةٍ أصلُها بالفُرا تِ تَبْدُو هُنَالِكَ أَو تَحضُرُ(٤)
وأَنتَ تَسِيرُ إلى مُكَّرَانَ فَقَدْ شَحطَ الوِرْدُ والمَصْدَرُ(٥)
ولَمْ تَكُ مِن حاجَتي مُكَّرانُ ولاَ الغَزْوُ فِيها ولا المَتْجَرُ
وخُبِّرتُ عَنها وَلَمْ آتِها فَما زِلْتُ مِنْ ذِكْرِهَا أُذْعَرُ
بِأَنَّ الكَثِيرَ بِهَا جَائِعٌ وأنَّ القَلِيلَ بِها مُقْتِرُ
وأنَّ لِحَى النَّاسِ مِن حَرِّهَا تَطُولُ فَتُجْلَمُ أَوْ تُضْفَرُ(٦)
وَيزْعُمُ مَنْ جاءَهَا قَبْلَنَا بِأَنَّا سَنَسْهَمُ أو ننحرُ(٧)
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ المُخْزِيا تِ فِيمَا أُسِرُّ وَما أَجْهَرُ
وحُدِّثْتُ أَنْ مَا لَنَا رَجْعَةٌ سِنِينَ ومِنْ بَعْدِها أَشْهُرُ
إلَى ذَاكَ مَا شَابَ أَبْنَاؤنَا وبَادَ الأخِلاَّءِ والمَعْشَرُ
ومَا كَانَ بي مِنْ نَشَاطٍ لَها وإنِّي لَذُو عُدَّةٍ مُوسِرُ
ولٰكِنْ بُعِثْتُ لَها كَارِهاً وقِيلَ انْطَلِقْ كَالَّذِي يُؤْمَرُ

---

(١) المجاسد: جمع مجسد: وهو الثوب الذي يلي البدن.
(٢) العُكَن: جمع عكنة، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمناً.
(٣) المُخَدَّم: موضع الخلخال. ويندر: يسقط.
(٤) تبدو: تقيم بالبادية. وتحضر: تقيم بالحَضر.
(٥) شحط: بَعُد.
(٦) تُجلَم: تُقَصّ.
(٧) سهم الرجل: تغير لونه مع هزال ويبس. وننحر: لعلها مصحفة عن: ننجر. ونجر الرجل: أصابه عطش شديد.

فَكَانَ النَّجَاءُ ولَمْ أَلْتَفِتْ إليهِمْ وشَرّهُم مُنْكَرُ[١]
هُوَ السَّيفُ جُرِّدَ مِنْ غِمْدِهِ فَلَيسَ عَنِ السَّيفِ مُسْتَأْخَرُ
وكَمْ مِن أخٍ لِي مُسْتَأْنِسٍ يَظَلُّ بِهِ الدَّمْعُ يَسْتَحْسِرُ
يُوَدِّعُني وانْتَحَتْ عَبْرَةٌ لَهُ كَالجَدَاوِلِ أَوْ أَغْزَرُ
فَلَسْتُ بِلاَقِيهِ مِن بَعْدِها يَدَ الدَّهْرِ ما هَبَّتِ الصَّرْصَرُ
وقَدْ قِيلَ إنَّكُمْ عَابِرو نَ بَحْراً لَها لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ
إلى السِّنْدِ والهِنْدِ في أرْضِهِمْ هُمُ الجِنُّ لٰكِنَّهُم أَنكَرُ
ومَا رَامَ غَزْواً لَها قَبْلَنا أكَابِرُ عَادٍ ولاَ حِمْيَرُ
ولا رَامَ سَابُورُ غَزْواً لَها ولا الشَّيْخُ كِسْرَى ولاَ قَيْصَرُ
وَمِنْ دُونِها مَعْبَرٌ وَاسِعٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يُؤْجَرُ

[يهجو الجواري ثم يمدحهن]

وذكر محمد بن صالح بن النّطّاح أنّ هشام بن محمد الكلبيّ حدّث عن أبيه: أن أعشى هَمْدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحِيّ بالرَّيّ[٢] ودَسْتَبى، وكان الأعشى شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسَهم، فلما قدم خالدٌ من مَغزاه خرج جَواريه يتلقَّيْنه وفيهنّ أُمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدْر عنده، فجعل الناسُ يَمُرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النُّعاس؛ فقالت أُمُّ ولد خالد بنِ عتّاب لجواريها: إن امرأة خالد لتُفاخرني بأبيها وعمّها وأخيها، وهل يَزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش. وسمعها الأعشى فقال: مَنْ هذه؟ فقال له بعضُ الناس: هذه جارية خالد؛ فضحك وقال لها: إليكِ عنّي يا لَكْعاء[٣] ثم أنشأ يقول:

وَمَا يُدْرِيكِ مَا فَرَسٌ جَرُورٌ وَما يُدْرِيكِ ما حَمْلُ السِّلاحِ[٤]
ومَا يُدرِيكِ مَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَدَاهُ الدَّهْرُ عَن سَنَنِ المِرَاحِ[٥]

---

(١) النَّجاء: السّرعة في السير.

(٢) الريّ: مدينة كبيرة بينها وبين نيسابور مئة وستون فرسخاً وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً (معجم البلدان ٣/١١٦).

(٣) اللكعاء: اللئيمة، الدنيئة.

(٤) الفرس الجرور: الذي لا ينقاد.

(٥) المِراح: المرح.

فَأُقْسِمُ لَو رَكِبْتِ الوَرْدَ يَوماً وَلَيْلَتَه إلى وَضَحِ الصَّبَاحِ
إذاً لَنَظَرْتُ مِنْكِ إلى مَكَانٍ كَسَحْقِ البُرْدِ أَوْ أَثَرِ الجِرَاحِ[1]

قال: فأصبحت الجاريةُ فدخلتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأعشى؛ فقالت: والله ما تُكْرَم، ولقد اجْتُرِىءَ عليكَ! فقال لها: وما ذاكِ؟ فأخبرتْه أنها مرّت برجل في وجه الصبح، ووصفتْه له وأنه سبّها؛ فقال: ذلك أعشى هَمْدان؛ فأيّ شيء قال لك؟ فأنشدته الأبيات. فبَعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له: ما تقول؟ هذه زَعَمت أنك هجوْتَها؟ فقال: أساءت سمعاً، إنما قلتُ: [الوافر]

مَرَرْتُ بِنِسْوَةٍ مُتَعَطِّراتٍ كَضَوءِ الصُّبْحِ أو بَيْضِ الأَدَاحِي[2]
عَلى شُقْرِ البِغَالِ فَصِدْنَ قَلْبي بِحُسْنِ الدَّلِّ وَالْحَدَقِ المِلاَحِ
فَقُلْتُ مَنِ الظِّبَاءُ فَقُلْنَ سِرْبٌ بَدا لَكَ مِن ظِبَاءِ بَنِي رِيَاحِ

فقالت: لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبيات؛ فقال له خالد: أمَا إنّها لولا أنّها قد وَلَدتْ منّي لوهبتُها لك، ولكنّي أفتدي جنايتَها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له: أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألاّ تُعيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فَرط منك.

وذكر هذا الخبرَ العَنزيُّ في روايته التي قدّمتُ ذكرَها، ولم يأتِ به على هذا الشرح.

[مواقف وشعر]

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعاً: وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنِّيه إيّاه ويَعِدهُ به: إن وُلِّيتُ عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً، فمتى استُعمِلتُ فخذ خاتَمي واْقْضِ في أمور الناس كيف شئتَ. قال: فاستُعمِل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه: [الوافر]

تُمَنِّيني إمَارتَها تَمِيمٌ وَما أُمِّي بأُمِّ بَنِي تَمِيمِ
وَكانَ أبو سُلَيْمَانَ أخاً لي ولٰكِنَّ الشِّراكَ مِنَ الأَدِيمِ[3]

---

(١) السَّحق: الثوب البالي.
(٢) الأداحي: جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل.
(٣) الشِّراك: سَيْر النعل التي تكون على وجهه. والأديم: الجلد.

أَتَـيْـنَـا أَصْـبَـهَـانَ فَـهَـزَّلَـتْـنَـا ... وكُـنَّـا قَـبْـلَ ذَلِـكَ فِـي نَـعِـيـمِ
أَتَـذْكُـرُنَـا وَمُـرَّةَ إذ غَـزَوْنَـا ... وَأَنْـتَ عَـلـى بُـغَـيْـلِـكَ ذي الـوُشُـومِ
وَيَـرْكَـبُ رَأسَـهُ فِـي كُـلِّ وَحْـلٍ ... ويَـعْـثُـرُ فـي الـطَّـرِيـقِ الـمُـسْـتَـقِـيـمِ
وَلَـيْـسَ عَـلَـيْـكَ إلاَّ طَـيْـلَـسَـانٌ ... نَـصِـيـبِـيٌّ وإلاَّ سَـحْـقُ نِـيـمِ[1]
فَـقَـدْ أَصْـبَـحْـتَ فِـي خَـزٍّ وَقَـزٍّ ... تَـبَـخْـتَـرُ مَـا تَـرى لَـكَ مِـن حَـمِـيْـم
وتَـحْـسَـبُ أَنْ تَـلَـقَّـاهـا زَمـانـاً ... كَـذَبْـتَ ورَبِّ مَـكَّـةَ والـحَـطِـيْـمِ[2]

ـ هذه رواية ابن النطّاح، وزاد العَنزيّ في روايته ـ:

وَكَـانَـتْ أَصْـبَـهَـانُ كَـخَـيْـرِ أَرضٍ ... لِـمُـغْـتَـرِبٍ وصُـعْـلُـوكٍ عَـدِيـمِ
وَلَـكِـنَّـا أَتَـيْـنَـاهَـا وَفِـيـهَـا ... ذَوُو الأَضْـغَـانِ والـحِـقْـدِ الـقَـدِيـمِ
فَـأَنْـكَـرْتُ الـوُجُـوهَ وأَنْـكَـرَتْـنِـي ... وُجُـوهٌ مـا تُـخَـبِّـرُ عَـنْ كَـرِيـمِ
وكَـانَ سَـفَـاهَـةً مِـنِّـي وَجَـهْـلاً ... مَـسِـيـرِيَ لاَ أَسِـيـرُ إِلـى حَـمِـيـمِ
فَـلَـو كَـان ابـنُ عَـتَّـابٍ كَـرِيـمـاً ... سَـمـا لِـرِوَايَـةِ الأَمْـرِ الـجَـسِـيـمِ
وكَـيْـفَ رَجَـاءُ مَـنْ غَـلَـبَـتْ عَـلـيـه ... تَـنَـائِـي الـدَّارِ كـالـرَّحِـمِ الـعَـقِـيـمِ

قال ابنُ النّطاح: فبعث إليه خالد: مَن مُرّة هذا الذي ادعيتَ أني وأنت غزَوْنا معه على بغل ذي وُشُوم؟ ومتى كان ذلك؟ ومتى رأيتَ عليَّ الطَّيْلسان والنِّيم اللذين وصفتَهما؟ فأرسل إليه: هذا كلام أردتُ وصفَك بظاهره، فأما تفسيره، فإن مُرّة مَرارةُ ثمرةِ ما غرسْتَ عندي من القبيح. والبغل المَركَبُ الذي ارتكبتَه مني لا يزال يعثُر بكَ في كل وَعْثٍ وجَدَد وَوَعْر وسَهْل. وأما الطيلسان فما أُلبِسُكَ إياه من العار والذمّ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميل فراجعتُه لك؛ فقال: لا، بل أُراجع الجميلَ وتُراجعه؛ فوصَله بمال عظيم وترضّاه. هكذا روى من قدّمتُ ذكره.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا الرِّياشي قال: حدّثنا الأصمعي قال: لما ولي خالدُ بنُ عَتّاب بن وَرْقاء أصبهانَ، خرج إليه أعشى هَمْدان، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة، فلم يَجِد عنده ما يحبّ؛ وأعطى خالدٌ الناس عطايا فجعله في أقلِّها وفضّل عليه آل عُطَارد؛ فبلغه عنه أنه ذمَّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه؛ فقال يهجوه:

---

(١) النيم: الفرو، أو هو ثوب ينام فيه.

(٢) الحَطِيم: جدار حَجر الكعبة، وقيل: ما بين الركن وزمزم والمقام.

[الطويل]

وَمَا كُنتُ مِمَّنْ أَلْجَأَتْهُ خَصَاصَةٌ إِلَيكَ ولاَ مِمَّنْ تَغُرُّ المَوَاعِدُ
ولَكِنَّهَا الأَطْمَاعُ وَهِيَ مُذِلَّةٌ دَنَتْ بِي وأَنْتَ النَازِحُ المُتَبَاعِدُ
أَتَحْبِسُنِي فِي غَيْرِ شَيءٍ وتارةً تُلاَحِظُنِي شَزْراً وأَنفُكَ عَاقِدُ(١)
فإنَّكَ لاَ كَابْنَيْ فَزَارَةَ فاعْلَمَنْ خُلِقْتَ ولَمْ يُشْبِهْهُمَا لَكَ والِدُ
وَلا مُدْرِكٌ مَا قَدْ خَلاَ مِن نَدَاهُمَا أَبُوكَ وَلا حَوضَيْهِمَا أَنْتَ وَارِدُ
وَإِنَّكَ لَوْ سَامَيْتَ آل عُطَارِدٍ لَبَذَّتْكَ أَعْنَاقٌ لَهُم وَسَوَاعِدُ
وَمَأْثُرَةٌ عَادِيَّةٌ لَنْ تَنَالَهَا وَبَيْتٌ رَفِيعٌ لَمْ تَخُنْهُ القَوَاعِدُ
وهَلْ أَنْتَ إلاَّ تَغْلَبٌ فِي دِيَارِهِم تُشَلُّ - فَتَعْساً - أو يَقُودُكَ قَائِدُ(٢)
أَرَى خالداً يَخْتَالُ مَشْياً كَأَنَّهُ مِنَ الكِبْرِيَاءِ نَهْشَلٌ أو عُطَارِدُ(٣)
وَمَا كَانَ يَرْبُوعُ شَبِيهاً لِدَارِمٍ ومَا عَدَلَتْ شَمْسَ النَّهارِ الفَرَاقِدُ

قالوا: ولما خرج ابنُ الأشعَث على الحَجّاج بن يوسف حشَد معه أهل الكوفة، فلم يَبْقَ من وجوههم وقرّائهم أحدٌ له نَباهة إلاّ خرج معه لثِقَل وطأة الحَجاج عليهم. فكان عامر الشَّعْبِيّ وأعشى هَمْدان ممّن خرج معه، وخرج أحمد النَّصْبي أبو أُسامة الهَمْداني المغنّي مع الأعشى لإلفته إياه، وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرِّض أهلَ الكوفة بأشعاره على القتال، وكان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه:

[الكامل]

يَأْبَى الإلٰهُ وعِزَّةُ ابْنِ مُحَمَّدٍ وجُدُودُ مَلْكٍ قَبْلَ آلِ ثَمُودِ
أَنْ تَأْنَسُوا بِمُذَمَّمِينَ، عُرُوقُهُم فِي النَاسِ إنْ نُسِبُوا عُرُوقُ عَبِيدِ
كَمْ مِنْ أبٍ لَكَ كَانَ يَعْقِدُ تَاجَهُ بِجَبِينِ أَبْلَجَ مِقْوَلٍ صِنْدِيدِ
وإِذَا سَأَلتَ: المَجْدُ أَيْنَ مَحَلُّهُ فَالمَجْدُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وسَعِيدِ
بَيْنَ الأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيسٍ بَاذِخٌ بَخْ بَخْ لِوَالِدِهِ ولِلْمَوْلُودِ(٤)
ما قَصَّرَتْ بِكَ أَنْ تَنَالَ مَدَى العُلاَ أَخْلاَقُ مَكْرُمَةٍ وَإِرْثُ جُدُودِ

---

(١) أنف عاقد: يريد أنه غضبان مُعرض.
(٢) تُشَل: تُطرَد.
(٣) نهشل وعُطارد: قبيلتان من العرب تنتسبان لدارم بن مالك بن حنظلة.
(٤) بخ: اسم فعل للمدح وإظهار الرضىٰ بالشيء ويكرر للمبالغة فيقال: بخٍ بخٍ.

قَـرْمٌ إِذَا سَـامَـى الـقُـرُومَ تَـرَى لَـهُ ... أعْـرَاقَ مَـجْـدٍ طَـارِفٍ وتَـلِـيـدِ[١]
وَإِذا دَعـا لِـعَـظِـيـمَـةٍ حُـشِـدَتْ لـه ... هَـمْـدَان تَـحْـتَ لِـوَائِـه الـمَـعْـقُـودِ
يَـمْـشُـونَ فـي حَـلَـقِ الـحَـدِيـدِ كَـأَنَّـهُـمْ ... أُسْـدُ الإِبَـاءِ سَـمِـعْـنَ زَأْرَ أُسُـودِ
وإذا دَعَـوْتَ بِـآلِ كِـنْـدَةَ أَجْـفَـلُـوا ... بِـكُـهُـولِ صِـدْقٍ سَـيِّـدٍ ومَـسُـودِ
وَشَـبـابِ مَـأْسَـدةٍ كَـأَنَّ سُـيـوفَـهُـمْ ... فـي كُـلِّ مَـلْـحَـمَـةٍ بُـروقُ رُعُـودِ
مَـا إِنْ تَـرى قَـيْـساً يُـقـارِبُ قَـيْـسَـكُـم ... فـي الـمَـكْـرُمـاتِ ولاَ تَـرَى كَـسَـعِـيـدِ

وقال حمّاد الراوية في خبره: كانت لأعشى هَمْدان مع ابن الأشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة؛ وكان الأعشى من أخواله؛ لأن أمَّ عبد الرحمٰن ابن محمد بن الأشعث أمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمْداني. قال: فلما صار ابنُ الأشعثِ إلى سِجِسْتان[٢] جبَى مالاً كثيراً، فسأله أعشى همدان أن يُعطيَه منه زيادةً على عطائه فمنعه؛ فقال الأعشى في ذلك: [السريع]

هَـلْ تَـعْـرِفُ الـدّارَ عَـفَـا رَسْـمُـهـا ... بـالـحَـضْـرِ فَـالـرَّوْضَـةِ مِـنْ آمِـدِ[٣]
دَارٌ لِـخَـوْدٍ طَـفْـلَـةٍ رُودَةٍ ... بَـانَـتْ فَـأَمْـسَـى حُـبُّـهـا عَـامِـدِي[٤]
بَـيْـضَـاءَ مِـثْـلِ الـشَّـمْـسِ رَقْـرَاقَـةٍ ... تَـبْـسِـمُ عَـنْ ذِي أُشُـرٍ بَـارِدِ[٥]
لَـمْ يُـخْـطِ قَـلْـبِي سَـهْـمُـهـا إِذْ رَمَـتْ ... يَـا عَـجَـباً مِـنْ سَـهْـمِـهـا الـقَـاصِـدِ[٦]
يـا أَيُّـهـا الـقَـرْمُ الـهِـجَـانُ الّـذِي ... يَـبْـطِـشُ بَـطْـشَ الأَسَـدِ الـلأَّبِـدِ[٧]
وَالْـفَـاعِـلُ الـفِـعْـلَ الـشَّـرِيـفَ الَّـذِي ... يُـنْـمَـى إلـى الـغَـائِـبِ وَالـشَّـاهِـدِ
كَـمْ قَـدْ أُسَـدِّي لَـكَ مِـنْ مِـدْحَـةٍ ... تُـزْوَى مَـعَ الـصَّـادِرِ وَالْـوَارِدِ
وكَـمْ أَجَـبْـنَـا لَـكَ مِـنْ دَعْـوَةٍ ... فَـاعْـرِفْ فَـمَـا الـعَـارِفُ كَـالْـجَـاحِـدِ

---

(١) القَرْم: السيد العظيم.
(٢) سِجِسْتان: ولاية واسعة بينها وبين حران عشرة أيام؛ أرضها سبخة ورياحها لا تسكن. (معجم البلدان ٣/١٩٠).
(٣) آمد: مدينة بإزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات (معجم البلدان ٢/٢٦٨). وآمد: أعظم مدن ديار بكر وهي قديمة وحصينة ويحيط دجلة بأكثرها.
(٤) الرودة: الشابة الحسنة. وعامدي: مهلكي.
(٥) الأُشُر: التحزيز الذي يكون في الأسنان.
(٦) لم يُخْطِ: أصلها لم يخطئ فسهلت الهمزة ثم حذفت الياء لأن الفعل المعتلّ يجزم بحذف حرف العلة.
(٧) الهِجان: خيار كل شيء. ورجل هجان: كريم.

نَحْنُ حَمَيْنَاكَ وَمَا تَحْتَمِي فِي الرَّوْعِ مِنْ مَثْنىً وَلاَ وَاحِدِ
يَومَ انْتَصَرْنا لَكَ مِنْ عَابِدِ وَيَوْمَ أنْجَيْنَاكَ مِنْ خَالِدِ
وَوَقْعَةَ الرَّيِّ الَّتِي نِلْتَهَا بِجَحْفَلٍ مِنْ جَمْعِنَا عَاقِدِ
وكَمْ لَقِينَا لَكَ مِنْ وَاتِرٍ يَضْرِفُ نَابَيْ حَنِقٍ حارِدِ[1]
ثُمَّ وَطِئْنَاهُ بِأَقْدَامِنَا وكَانَ مِثْلَ الحَيَّةِ الرَّاصِدِ
إِلَى بَلاَءٍ حَسَنٍ قَدْ مَضَى وأَنْتَ فِي ذَلِكَ كَالزَّاهِدِ
فَاذْكُرْ أَيَادِيَنَا وآلاءَنَا بِعَوْذَةٍ مِن حِلْمِكَ الرَّاشِدِ
وَيَوْمَ الأَهْوَازِ فَلا تَنْسَهُ لَيْس النَّثَا وَالقَوْلُ بِالبَائِدِ[2]
إِنّا لَنَرْجُوكَ كَمَا نَرْتَجِي صَوبَ الغَمام المُبرِقِ الرَّاعِدِ
فَانْفَحْ بِكَفَّيْكَ وما ضَمَّتَا وافْعَلْ فَعَالَ السَّيِّدِ الماجِدِ
مَا لَكَ لا تُعطِي وَأَنْتَ امْرُؤٌ مُثْرٍ مِنَ الطَّارِفِ والتَّالِدِ
تَجْبِي سِجِسْتانَ وَمَا حَوْلَها مُتَّكِئاً فِي عَيْشِكَ الرَّاغِدِ
لاَ تَرْهَبُ الدَّهْرَ وَأَيَّامَهُ وتَجْرُدُ الأَرْضَ مَعَ الْجَارِدِ[3]
إِنْ يَكُ مَكْروهٌ تَهِجْنَا لَهُ وأَنْتَ في المَعْرُوفِ كَالرَّاقِدِ
ثُمّ تَرى أَنَّا سَنَرْضَى بِذَا كَلاَّ وَرَبِّ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ
وحُرْمَةِ الْبَيْتِ وأَسْتَارِهِ ومَنْ بِهِ مِنْ نَاسِكٍ عَابِدِ
تِلْكَ لَكُمْ أُمْنِيَّةٌ بَاطِلٌ وغَفْوةٌ مِنْ حُلُمِ الرَّاقِدِ
مَا أَنَا إِنْ هَاجَك مِنْ بَعدِها هَيْجٌ بِآتِيكَ ولَا كَابِدِ
ولا إِذَا نَاطُوكَ في حَلْقَةٍ بِحَامِلٍ عَنْكَ ولا فَاقِدِ[4]
فَأَعْطِ ما أَعْطَيْتَه طَيِّباً لا خَيْرَ في المَنْكُودِ والنَّاكِدِ[5]
نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَلاَ تَجْفُنَا والله قَدْ وَصَّاكَ بِالوالِدِ
إن تَكُ مِن كِنْدَةَ في بَيْتِها فَإِنَّ أَخْوَالَكَ مِنْ حَاشِدِ
شُمُّ العَرانِينِ وَأَهْلُ النَّدَى وَمُنْتَهى الضِّيفَانِ والرَّائِدِ

---

(١) يَضْرِفُ نابَيْه: يحرقهما فيسمع لهما صوت. وحارد: غاضب.
(٢) الأهواز: سبع كُوَر بين البصرة وفارس. لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز (معجم البلدان ١/ ٢٨٥). والنَّثا: ما اخبرت به عن الرجل من حسن أو سيّئ.
(٣) جرد الأرض: جعلها جرداء.
(٤) ناط: عَلّق.
(٥) المنكود: الذي يُلِحّ في المسألة والمنكود أيضاً القليل الخير، الكثير السؤال.

كَمْ فِيهُمُ مِنْ فَارِسٍ مُعْلَمٍ وسَائِسٍ للجَيْشِ أو قَائِدِ
وَرَاكِبٍ لِلْهَوْلِ يَجْتَابُهُ مِثْلَ شِهَابِ القَبَسِ الوَاقِدِ
أَوْ مَلأٍ يُشْفَى بِأَحْلامِهِمْ مِنْ سَفَهِ الجَاهِلِ والمَارِدِ[1]
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ بِأَحْسَابِنَا نَقْصاً وَمَا النَّاقِصُ كَالزَّائِدِ
وَرُبَّ خَالٍ لَكَ، فِي قَومِهِ فَرْعٌ طَوِيلُ البَاعِ والسَّاعِدِ
يَحْتَضِرُ البَأْسَ ومَا يَبْتَغِي سِوى إِسَارِ البَطَلِ النَّاجِدِ
والطَّعْنِ بالرَّايَةِ مُسْتَمْكِناً فِي الصَّفِّ ذِي العادِيَةِ النَّاهِدِ[2]
فَارتَخْ لأَخْوَالِكَ وَاذْكُرْهُمُ وَارْحَمْهُمُ لِلسَّلَفِ العائِدِ
فَإِنَّ أَخْوَالَكَ لَمْ يَبْرَحُوا يُزْبُونَ بِالرِّفْدِ عَلَى الرَّافِدِ
لَمْ يَبْخَلُوا يَوماً وَلَمْ يَجْبُنُوا فِي السَّلَفِ الغَازِي ولاَ القَاعِدِ
ورُبَّ خَالٍ لَكَ فِي قَومِهِ حَمَّالُ أَثْقَالٍ لَهَا وَاجِدِ
مُعْتَرِفٍ لِلرُّزْءِ فِي مَالِهِ والحَقُّ لِلسَّائِلِ وَالعَامِدِ[3]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد الأزدي قال: حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكَلْبي، وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثم بن عديّ، وذكره العنزيّ عن أصحابه، قالوا جميعاً:

خرج أعشى هَمْدان إلى الشأم في وِلاية مَرْوان بن الحَكَم، فلم يَنَلْ فيها حظّاً؛ فجاء إلى النعمان بن بشِير وهو عامل على حِمْص، فشكا إليه حالَه؛ فكلّم له النعمانُ بنُ بشير اليمانيَةَ وقال لهم: هذا شاعرُ اليمن ولسانُها، واستماحَهم له؛ فقالوا: نعمْ، يعطيه كلّ رجل منا دينارين مِنْ عطائه؛ فقال: لا، بل أَعْطُوْ ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعجلاً، فقالوا: أَعطِه إيّاه من بيت المال واحتسبْها على كلّ رجل من عطائه؛ ففعل النُّعمان ـ وكانوا عشرين ألفاً ـ فأعطاه عشرين ألفَ دينار وارتجعها منهم عند العَطَاء. فقال الأعشى يمدح النعمان: [الطويل]

ولَمْ أَرَ لِلْحَاجَاتِ عِنْدَ الْتِمَاسِهَا كَنُعْمَانَ نُعمانِ النَّدَى ابْنِ بَشِيرِ
إذا قَال أَوْفَى مَا يَقُولُ وَلَمْ يَكُنْ كَمُدْلٍ إِلى الأَقْوَامِ حَبْلَ غُرُورِ

---

(١) المارد: العاتي.
(٢) الناهد: الأسد.
(٣) العامد: القاصد.

مَتَى أَكْفُرِ النُّعْمَانَ لَمْ أُلْفَ شاكِراً	ومَا خَيرُ مَنْ لا يَقْتَدِي بِشَكُورِ
فَلَولاَ أَخُو الأَنْصَارِ كُنْتُ كَنَازِلٍ	ثَوَى مَا ثَوَى لم يَنْقَلِبْ بِنَقِيرِ[(١)]

وقال الهيثم بن عديّ في خبره: حاصَرَ المُهلَّبُ بن أبي صُفْرَة نَصِيبين[(٢)]، وفيها أبو قارِب يَزيد بن أبي صَخْر ومعه الخَشَبِيّة[(٣)]؛ فقال المهلّب: يا أيها الناس، لا يَهُولنكم هؤلاء القومُ فإنما هم العَبيد بأيديها العِصيّ. فحمَل عليهم المهلّبُ وأصحابُه فلَقُوهم بالعِصيّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم. فدَسّ المهلّبُ رجلاً من عبدِ القَيسِ إلى يزيد بن أبي صَخْر ليغتالَه، وجعل له على ذلك جُعْلاً سنِيّاً ـ قال الهيثم: بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبلَ أن يمضيَ ووعَده بمثلها إذا عاد ـ فاندسّ له العبْديُّ فاغتاله فقتله وقُتِل بعده. فقال أعشى همْدان في ذلك: [الطويل]

يُسَمَّوْنَ أَصْحَابَ العِصِيِّ وَما أَرَى	مَعَ القَومِ إلاَّ المَشْرِفِيَّةَ مِنْ عَصَا
أَلاَ أَيُّها اللَّيثُ الّذِي جَاءَ حَاذِراً	وَأَلْقَى بنا جِرمَىْ الخِيامَ وَعَرَّصَا[(٤)]
أَتَحْسَبُ غَزوَ الشَّأمِ يوماً وحَرْبَهُ	كَبِيضٍ يُنَظِّمْنَ الجُمَانَ المُفَصَّصَا
وَسَيْرَكَ بالأَهْوازِ إذْ أَنْتَ آمِنٌ	وشُرْبَكَ أَلْبَانَ الخَلاَيَا المُقَرَّصَا[(٥)]
فَأَقْسَمت لاَ تَجْبِي لَكَ الدَّهرَ دِرْهَماً	نَصِيبُونَ حَتَّى تُبْتَلى وتُمَحَّصا
ولا أَنْتَ مِنْ أَثْوابِهَا الخُضْرِ لاَبِسٌ	ولَكِنَّ خُشْباناً شِداداً ومِشْقَصَا[(٦)]
فَكَم رَدَّ مِن ذِي حَاجَةٍ لا يَنالُها	جُذَيْعُ العَتِيكِ رَدَّهُ اللّهُ أَبْرَصَا
وَشَيَّدَ بُنياناً وَظَاهَر كِسْوَةً	وَطالَ جُذَيْعٌ بَعْدَ ما كانَ أَوْقَصَا[(٧)]

تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة. والأبيات التي كان فيها الغناء المذكورُ معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من همْدان يقال لها جَزْلة، هكذا رواه الكوفيون، وهو الصحيح. وذكر الأصمعي أنها خوْلة، هكذا

(١) النقير: النكتة في النواة.
(٢) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام بينها وبين الموصل ستة أيام (معجم البلدان ٥/ ٢٨٨).
(٣) الخَشَبِيّة: أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي.
(٤) حاذراً: مستعداً. وعرّض: نزل.
(٥) الخلايا: الإبل المخلاة للحلب، الواحدة خلية، المقرص: اللبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصاً أي حامضاً.
(٦) المِشْقَص: النصل العريض.
(٧) الأوقص: القصير العنق خلقةً.

رواه في شعر الأعشى. فذكر العنزيّ في أخبار الأعشى المتقدّم إسنادُها، أنها كانت عند الأعشى امرأة من قومه يقال لها أمُّ الجَلال، فطالت مدتها معه وأبغضها، ثم خطب امرأة من قومه يقال لها جَزْلة ـ وقال الأصمعي: خولة ـ فقالت له: لا، حتى تُطلِّق أمّ الجلال، فطلَّقها؛ وقال في ذلك: [المتقارب]

تَقَادَمَ وُدُّكِ أُمَّ الجَلاَلِ ... فَطَاشَتْ نِبَالُكِ عِنْدَ النِّضَالِ
وَطَالَ لُزُومُكِ لِي حِقْبَةً ... فَرَثَّتْ قُوَى الحَبْلِ بَعْدَ الوِصَالِ
وَكَانَ الفُؤَادُ بِهَا مُعْجَباً ... فَقَدْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَنْ ذَاكَ سَالِي
صَحَا لا مُسِيئاً ولا ظَالِماً ... ولٰكِنْ سَلاَ سَلْوةً في جَمَالِ
وَرُضْتِ خَلائِقَنا كُلَّها ... ورُضْنا خَلاَئِقَكُمْ كُلَّ حَالِ[1]
فَأَعْيَيْتِنا فِي الَّذِي بَيْنَنَا ... تَسُومِينَنِي كُلَّ أمرٍ عُضَالِ
وقَدْ تَأْمُرِينَ بِقَطْعِ الصَّدِيقِ ... وكَانَ الصَّدِيقُ لَنَا غَيْرَ قَالِي
وإتْيَانِ مَا قَدْ تَجَنَّبْتُه ... وَلِيداً ولُمْتُ عَلَيهِ رِجَالِي
أَفَالْيَوْمَ أركَبُه بَعْدَمَا ... عَلا الشَّيبُ مِنِّي صَمِيمَ القَذَالِ[2]
لَعَمْرُ أبِيكِ لَقَدْ خِلْتِنِي ... ضَعِيفَ القُوَى أو شَدِيدَ المِحَالِ
هَلُمِّي اسْأَلِي نَائِلاً فَانْظُرِي ... أَأَحْرِمُكِ الخَيْرَ عِنْدَ السُّؤالِ
أَلَمْ تَعْلَمِي أنَّنِي مُعْرِقٌ ... نَمَانِي إلَى المَجْدِ عَمِّي وَخَالِي
وأنِّي إذا سَاءَنِي مَنْزِلٌ ... عَزَمْتُ فَأوْشَكْتُ مِنه ارْتِحَالِي
فَبَعْضَ العِتَابِ، فَلا تَهْلِكِي ... فَلاَ لَكِ في ذَاكِ خَيْرٌ وَلاَ لِي
فَلَمَّا بَدَا لِيَ مِنْهَا البَذَا ... ءُ صَبَّحْتُها بِثَلاثٍ عِجَالِ
ثَلاثاً خَرَجْنَ جَمِيعاً بِها ... فَخَلَّيْنَها ذاتَ بَيْتٍ وَمَالِ
إلَى أهْلِها غَيْرَ مَخْلُوعَةٍ ... وَمَا مَسَّها عِنْدَنا مِنْ نَكَالِ
فَأَمْسَتْ تَحِنُّ حَنِينَ اللِّقَا ... حِ مِنْ جَزَعٍ إثْرَ مَنْ لاَ يُبَالِي
فَحِنِّي حَنِينَكِ واسْتَيْقِنِي ... بِأَنَّا اطَّرَحْنَاكِ ذَاتَ الشِّمَالِ
وأنْ لاَ رُجُوعَ فَلا تُكْذَبِيـ ... ـنَ مَا حَنَّتِ النِّيبُ إثْرَ الفِصَالِ[3]
وَلاَ تَحْسَبِينِي بأنِّي نَدِمْـ ... ـتُ كَلاً وخَالِقِنَا ذِي الجَلالِ

(١) راض المهر: ذلّله وطوعه وعلمه السير.
(٢) القذال: مؤخر الرأس.
(٣) النيب: النوق، والفصال: الفِطام.

فقالت له أمُّ الجلال: بئس والله بعلُ الحُرّة وقرينُ الزوجة المسلمةِ أنت! وَيْحك! أَعَدَدْتَ طولَ الصحبة والحرمة ذنباً تسبّني وتهجوني به! ثم دَعَتْ عليه أن يُبغِّضَه اللهُ إلى زوجته التي ٱختارها، وفارقته. فلما ٱنتقلت إلى أهلها؛ وصارت جزلة إليه، ودخل بها لم يَحْظَ عندها، ففَرِكَتْه[1] وتنكّرت له واشتدّ شغفُه بها؛ ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها: [الرمل]

حَـيِّـيـا جَـزْلَـةَ مِـنِّـي بِـالـسَّـلاَمِ ... دُرَّةَ الـبَـحْـرِ ومِـصْـبَـاحَ الـظَّـلاَمِ
لاَ تَـصُـدِّي بَـعْـدَ وُدٍّ ثَـابِـتٍ ... وٱسْمَعِي يا أُمَّ عِيسَىٰ مِنْ كَلاَمِي
إنْ تَـدومِـي لِـي فَـوَصْـلِـي دَائِـمٌ ... أو تَـهُـمِّـي لِـي بِـهَـجْـرٍ أو صِـرَام
أَوْ تَـكُـونِـي مِـثْـلَ بَـرْقٍ خُـلَّـبٍ ... خَـادِعٍ يَـلْـمَـعُ فِـي عُـرْضِ الـغَـمَـامْ
أَوْ كَـتَـخْـيِـيـلِ سَرَابٍ مُـعْـرِضٍ ... بِـفَـلاَةٍ أو طُـرُوقٍ فِـي الـمَـنَـامْ
فـاعْـلَـمِـي إنْ كُـنْـتِ لَـمَّـا تَـعْـلَـمِـي ... وَمَـتَـى مَـا تَـفْـعَـلِـي ذَاكَ تُـلاَمِـي
بَـعْـدَمَـا كَـان الّـذِي كَـانَ فَـلاَ ... تُـتْـبِـعِـي الإِحْـسَـانَ إِلاَّ بِـالـتَّـمَـامْ
لاَ تَـنَـاسَـيْ كُـلَّ مَـا أَعْـطَـيْـتِـنِـي ... مِـنْ عُـهُـودٍ ومَـوَاثِـيـقَ عِـظَـامْ
واذْكُـرِي الـوَعْـدَ الّـذِي وَاعـدْتِـنِـي ... لَـيْـلَـةَ الـنِّـصْـفِ مِنَ الـشَّـهْـرِ الـحَـرَامْ
فَـلَـئِـنْ بَـدَّلْـتِ أو خِـسْـتِ بِـنَـا ... وتَـجَـرَّأْتِ عَـلَـى أُمِّ صَـمَـامِ[2]

أم صمام: الغدر والحنث

لا تُـبـالِـيـنَ إذاً مِـنْ بَـعْـدِهَـا ... أَبَـداً تَـرْكَ صـلاة أو صِـيَـام
رَاجِـعِـي الـوَصْـلَ وَرُدِّي نَـظْـرَةً ... لا تَـلِـجِّـي فِـي طِـمَـاحٍ وَأَثَـام[3]
وَإِذَا أَنْـكَـرْتِ مِـنِّـي شِـيـمَـةً ... وَلَـقَـدْ يُـنْـكَـر مَـا لَـيْـسَ بِـذَامْ[4]
فَـاذْكُـرِيـهـا لِـي أَزُلْ عَـنْـهـا وَلاَ ... تُـسْـفِـحِي عَيْـنَـيْـكِ بِـالـدَّمْـعِ الـسِّـجَـام
وَأَرَى حَـبْـلَـكِ رَثّـاً خَـلَـقـاً ... وحِـبَـالِـي جُـدُداً غَـيْـرَ رِمَـام[5]
عَـجِـبَـتْ جَـزْلَـةُ مِـنِّـي أَنْ رَأَتْ ... لِـمَّـتِـي حُـفَّـتْ بِـشَـيْـبٍ كَـالـثَّـغَـامِ[6]

(١) فركته: أبغضته، كرهته.
(٢) الصمام: الداهية الشديدة.
(٣) لا تَلجي: لا تتمادي.
(٤) ليس بذام: غير مذموم.
(٥) الحبل الرِمام: البالي.
(٦) الثغام: نبت يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس فيشبه به الشيب.

وَرَأَتْ جِسْمِي عَلاَهُ كَبْرَةٌ ... وصُرُوفَ الدَّهْرِ قَدْ أَبْلَتْ عِظَامِي
وَصَلِيتُ الحَرْبَ حَتَّى تَرَكَتْ ... جَسَدِي نِضْواً كَأَشْلاَءِ اللِّجَام[١]
وَهِيَ بَيْضَاءُ عَلَى مَنْكِبِها ... قَطَطٌ جَعْدٌ وَمَيَّالٌ سُخَامُ[٢]
وإذَا تَضْحَكُ تُبْدِي حَبَباً ... كَرُضَابِ المِسْكِ في الرَّاحِ المُدَام
كَمَلَتْ مَا بَيْنَ قَرْنٍ فَإلى ... مَوْضِعِ الخَلْخَالِ مِنْهَا والخِدَام[٣]
فَأَرَاهَا اليَومَ لِي قَدْ أَحْدَثَتْ ... خُلُقاً لَيس عَلَى العَهْدِ القُدَامِ

[الشعبي يتمثل شعره]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا محمد بن سعيد الكُرَاني قال: حدّثنا العُمَري عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن مجَالِد عن الشَّعْبيّ: أنه أتى البصرةَ أيامَ ابن الزبير، فجلس في المسجد إلى قوم من تَميم فيهم الأحنفُ بن قَيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم، إلى أن قال قائل مِنْ أهل البصرة: وهل أهل الكوفة إلا خَوَلُنا؟ استنقذناهم من عَبيدهم! (يعني الخوارج). قال الشعبي: فهجس في صدري أن تمثّلتُ قولَ أعشى همدان: [الرمل]

أَفَخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبُداً ... وهَزَمْتُمْ مَرَّةً آلَ عَزَلْ[٤]
نَحْنُ سُقْنَاهُمْ إلَيْكُم عَنْوَةً ... وجَمَعْنَا أَمْرَكُم بَعْدَ فَشَلْ
فَإذَا فَاخَرْتُمُونَا فَاذْكُرُوا ... مَا فَعَلْنَا بِكُم يَوْمَ الجَمَلْ
بَيْنَ شَيْخٍ خَاضِبٍ عُثْنُونَهُ ... وفَتَى أَبْيَضَ وَضَّاحٍ رِفَلْ[٥]
جَاءَنَا يَرْفُلُ فِي سَابِغَةٍ ... فَذَبَحْنَاهُ ضُحَى ذَبْحَ الحَمَلْ
وعَفَوْنَا فَنَسِيتُم عَفْوَنَا ... وكَفَرْتُم نِعْمَةَ اللَّهِ الأَجَلّ

قال: فضحك الأحنف، ثم قال: يا أهل البصرة، قد فَخَر عليكم الشعبيّ وصدق وأنتصف، فأَحْسِنوا مجالسته.

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيْرَفيّ قال: حدّثنا العَنزيّ قال: حدّثنا الرياشيّ

(١) نِضواً: مهزولاً. وأشلاء اللجام: حدائده بلا سيور..
(٢) القَطَطُ: الشعر القصير. والسُّخَام: الشعر اللين الحسن. وفي هذا البيت إقواء.
(٣) الخِدام: جمع خدمة، وهو الخلخال.
(٤) العزل: الاعتزال والتنحي.
(٥) العثنون: اللّحية أو ما فضل منها بعد العارضين. والرفل من الناس: طويل ذيل الثياب.

عن أبي مُحَلِّم عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال: بعث بِشْرُ بنُ مروانَ الزبيرَ ابنَ خُزَيمة الخَثْعميّ إلى الريّ؛ فلقيه الخوارج بجَلُولاء[1]، فقتلوا جيشَه وهزموه وأبادوا عسكره، وكان معه أعشىٰ هَمْدان، فقال في ذلك: [الخفيف]

أُمِّرَتْ خَثْعَمٌ عَلَى غَيْرِ خَيْرِ ... ثُمَّ أَوْصَاهُمُ الأَمِيرُ بِسَيْرِ
أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعِيفُونَ لِلنَّا ... سِ ومَا تَزْجُرُونَ مِنَ كُلِّ طَيْرِ
ضَلَّتِ الطَّيْرُ عَنْكُم بِجَلُولاَ ... ءَ وغَرَّتْكُمْ أَمَانِي الزُّبَيرِ
قَدَرٌ ما أُتِيحَ لِي من فَلَسْطِيـ ... ـنَ على فَالِجٍ ثَقَالٍ وَعَيْرِ[2]
خَثْعَمِيٌّ مُغَضَّضٌ جرجما ... نِيٌّ مُحِلٌّ غَزَا مَعَ ابْنِ نُمَيْرِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: سألت الأصمعيّ عن أعشى هَمْدان فقال: هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر؛ ثم قال لي: العجب من ابن دَأْب حين يزعُم أن أعشى همدان قال: [مجزوء الخفيف]

مَنْ دَعا لي غُزَيِّلي ... أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتُهْ

ثم قال: سبحان الله! أَمِثْلُ هذا يَجُوزُ على الأعشى؟ أن يجزم اسم الله عزّ وجلّ ويرفَعَ تجارتَه وهو نصب. ثم قال لي خَلَفٌ الأحمر: والله لقد طَمِعَ ابنُ دأب في الخلافة حين ظنّ أن هذا يُقبَل منه وأنَّ له من المحل مثلَ أن يُجَوِّزَ مثلَ هذا. قال ثم قال: ومع ذلك أيضاً إن قوله:

من دعا لي غزيِّلي

لا يجوز، إنما هو: من دعا لغزيِّلي، ومن دعا لبعير ضال.

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق ومحمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قالا: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال:

أَمْلَقَ أعشى هَمْدان فأتى خالدَ بنَ عَتّاب بن وَرْقاء فأنشده: [الطويل]

رَأَيتُ ثَنَاءَ النَّاسِ بِالقَولِ طَيِّباً ... عَلَيكَ وَقَالُوا مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدِ
بَنِي الحَارِثِ السَّامِينَ لِلْمَجْدِ، إنَّكُمْ ... بَنَيْتُم بِنَاءً ذِكْرُهُ غَيرُ بَائِدِ

---

(١) جلولاء: ناحية من نواحي السواد في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ (معجم البلدان ٢/١٥٦).

(٢) الفالج: البعير ذو السنامين. والثقال: الثقيل.

هَنِيئاً لِمَا أَعْطَاكُمُ اللّهُ واعْلَمُوا ... بِأَنّي سَأُطْرِي خَالِداً فِي القَصَائِدِ
فَإِنْ يَكُ عَتَّابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ ... فَمَا مَاتَ مَنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خالِدِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعي قال: حدّثنا أبو غَسّان قال: عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ ـ ودخل عليه ـ: أنشدني يا سابقُ شيئاً من شعرك تذكّرني به؛ فقال: أَوْ خيراً من شعري؟ فقال: هات؛ قال: قال أعشى هَمْدان: [البسيط]

وَبَيْنَما المَرْء أمسَىٰ نَاعِماً جَذِلاً ... فِي أَهْلِه مُعْجَباً بِالعَيْشِ ذَا أَنَقِ[1]
غِرّاً أُتِيحَ لَهُ مِن حَيْنِه عَرَضٌ ... فَمَا تَلَبَّثَ حَتّى مَاتَ كَالصَّعِقِ
ثُمَّتَ أَضْحَى ضُحَى مِنْ غِبِّ ثالثةٍ ... مُقَنَّعاً غَيرَ ذِي رُوحٍ وَلاَ رَمَقِ[2]
يُبْكَى عَلَيهِ وأَدْنَوْهُ لِمُظْلِمَةٍ ... تُعْلَى جَوَانِبُها بالتُّرْبِ وَالفِلَقِ[3]
فَما تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ ... إلاّ حَنُوطاً وَمَا وَارَاهُ مِن خِرَقِ[4]
وَغَيرَ نَفْحَةِ أَعوادٍ تُشَبُّ لَهُ ... وقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

قال: فبكى عمر حتى أخضلَ لحيتَه.

أخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الدينارِيّ قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال: سأل أعشى همدان شَجَرَة بن سليمان العَبْسيّ حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوه:

[الطويل]

لَقَدْ كُنْتَ خَيَّاطاً فَأَصْبَحْتَ فَارِساً ... تُعَدُّ إذَا عُدَّ الفَوَارِسُ مِنْ مُضَرْ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَنْكَرْتَ هذا فَقُلْ كَذَا ... وبَيِّنْ لِي الجُرْحَ الّذِي كَان قد دَثَرْ[5]
وإِصْبَعُكَ الوُسْطَى عَلَيْهِ شَهِيدَةٌ ... ومَا ذَاكَ إلاّ وَخْزُها الثَّوبَ بِالإِبَرْ

قال وكان يقال: إن شجرة كان خيّاطاً، وقد كان ولي للحجّاج بعضَ أعمال

---

(١) الأَنَق: الفرح، السرور.
(٢) الرَّمق: الروح، الحياة.
(٣) الفِلَق: القِطع، الواحدة فِلقة، والفلق: المطمئن من الأرض.
(٤) الحَنُوط: طيب يخلط للميت خاصة.
(٥) دَثَر: بَلِيَ.

السواد[١]. فلما قدم على الحَجّاج قال له: يا شجرة، أَرِني إصبعَك أَنْظُرْ إليها؛ قال: أصلح الله الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى صِفَة الأعشى؛ فخجِل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مُرِ المُعْطيَ أن يُعطي الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا أتاك امرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فاشتَرِ عِرِضَكَ منه.

[مقتله]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد الأَزْديّ قال: حدّثنا أحمد بن عمرو الحنفيّ عن جماعة ـ قال المبرّد: أحسَب أن أحدهم مؤرّج ابن عمرو السَّدُوسيّ ـ قالوا:

لما أُتيَ الحجاجُ بن يوسف الثقفيّ بأعشى همدان أسيراً، قال: الحمد لله الذي أمْكَن منك، ألستَ القائل: [الرجز]

لَـمَّـا سَـفَـوْنَـا لِـلْـكَـفُـورِ الـفَـتَّـانْ ... بالسَّيِّد الغِطْرِيفِ عبدِ الرَّحْمٰنْ[٢]
سَارَ بِجَمْعٍ كَالْقَطَا مِنْ قَحْطَانْ ... ومِـنْ مَـعَـدٍّ قَـدْ أَتَـى ابـنُ عَـدْنَـانْ
أَمْكَـنَ رَبِّـي مِـنْ ثَـقِـيـفٍ هَـمْـدان ... يَـومـاً إلى الـلَّـيـلِ يُسَـلِّـي مَـا كَـانْ
إِنَّ ثَـقِـيـفـاً مِـنْـهُـمُ الـكَـذَّابـانْ ... كَـذَّابُـهَـا الـمَـاضِـي وكَـذابٌ ثَـانْ

أَوَ لَسْتَ القائل: [مجزوء الكامل]

يَـابْـنَ الأَشَـجِّ قَـرِيـعَ كِـنْـ ... ـدَةَ لا أُبَـالِـي فِـيـكَ عَـتْـبَـا[٣]
أَنْـتَ الـرَّئِـيـسُ ابـنُ الـرَّئِـيـ ... ـسِ وَأَنْـتَ أَعْـلَـى الـنَّـاسِ كَـعْـبَـا
نُـبِّـئْـتُ حَـجَّـاجَ بْـنَ يُـو ... سُـفَ خَـرَّ مِـنْ زَلَـقٍ فَـتَـبَّـا
فَـانْـهَـضْ فُـدِيـتَ لَـعَـلَّـهُ ... يَـجْـلُـو بِـكَ الـرَّحْـمٰـنُ كَـرْبَـا
وَابْـعَـثْ عَـطِـيَّـةَ فِـي الـخُـيُـو ... لِ يَـكُـبُّـهُـنَّ عَـلَـيْـهِ كَـبَّـا

كَلاَّ يا عدوَّ الله، بل عبد الرحمٰن بن الأشعث هو الذي خَرّ من زَلَقٍ فتَبّ، وحار وانكبّ، وما لقي ما أحب؛ ورفع بها صوته وٱرْبَدَّ وَجْهُه واهتزّ منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمّته نفسُه وارتعدت فرائصُه. فقال له الأعشى: بل أنا

---

(١) السَّواد: رستاق العراق وضياعها (معجم البلدان ٣/ ٢٧٢).
(٢) سفا: خَفّ وأسرع. والغِطريف: الكريم.
(٣) الأشجّ: الأشعث الكندي، أسلم وشهد اليرموك.

القائل أيها الأمير: [الطويل]

أَبَـى الـلَّـهُ إلاَّ أَنْ يُـتِـمَّ نُـورَهُ ... وَيُطْفِيءُ نَارَ الفَاسِقِينَ فَتَخْمُدَا
ويُـنْـزِلَ ذُلاً بـالْـعِـراقِ وأَهْـلِـهِ ... كَما نَقَضُوا العَهْدَ الوَثِيقَ المُؤَكَّدا
ومَـا لَـبِـثَ الـحَـجَّـاجُ أَنْ سَلَّ سَيفَهُ ... عَلَينا فَوَلَّى جَمْعُنا وَتَبَدَّدَا
وَمَـا زَاحَـفَ الـحَـجَّـاجُ إلاَّ رَأَيـتَـهُ ... حُسَاماً مُلَقَّى لِلْحُرُوبِ مُعَوَّدَا
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّه فَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... وَمزَّقَهُمْ عُرْضَ البِلاَدِ وَشَرَّدَا
بِمَا نَكَثُوا مِنْ بَيْعَةٍ بَعْدَ بَيْعَةٍ ... إذا ضَمِنُوها اليومَ خَاسُوا بِها غَدا(١)
وَمَا أَحْدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَعَظِيمَةٍ ... مِنَ القَوْلِ لَمْ تَصْعَدْ إلى الله مَصْعَدَا
وَلَمَّا دَلَفْنَا لابْنِ يُوسُفَ ضِلَّةً ... وَأَبْرَقَ مِنَّا العَارِضَانِ وَأَرْعَدَا(٢)
قَطَعْنَا إلَيْهِ الخَنْدَقَيْنِ وإنَّما ... قَطَعْنَا وَأَفْضَيْنَا إلى المَوْتِ مُرْصِدَا(٣)
فَصَادَمَنَا الْحَجَّاجُ دُونَ صُفُوفِنا ... كِفَاحاً وَلَمْ يَضْرِبْ لِذَلِكَ مَوْعِدَا
بِجُنْدِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وخَيْلِهِ ... وسُلْطَانُهُ أَمْسَى مُعَاناً مُؤَيَّدا
لِيَهْنِيءْ أَميرَ المُؤْمِنينَ ظُهُورُهُ ... عَلى أُمَّةٍ كَانُوا بُغَاةً وَحُسَّدا
وَجَدْنا بَنِي مَرْوَانَ خَيْرَ أَئمةٍ ... وأَعْظَمَ هذا الخَلْقِ حِلْماً وسُؤْدُدا
وخَيرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشٍ أُرُومَةً ... وَأَكْرَمَهُم إلاَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
إذا مَا تَدَبَّرنا عَواقِبَ أَمْرِنَا ... وَجَدْنا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ المُسَدَّدَا
سَيَغْلِبُ قَوماً غَالَبُوا اللَّهَ جَهْرةً ... وَإنْ كَايَدُوهُ كَانَ أَقْوى وَأَكْيَدَا
كَذَاكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَان قَلْبُهُ ... ضَعيفاً وَمَنْ وَالى النِّفاقَ وأَلْحَدَا
فَقَدْ تَرَكُوا الأَمْوَال والأَهْلَ خَلْفَهُمْ ... وبِيضاً عَلَيهِنَّ الجَلابيبُ خُرَّدَا(٤)
يُنَادِينَهُمْ مُسْتَعْبِراتٍ إلَيْهِمُ ... وَيُذْرِينَ دَمْعاً فِي الخُدودِ وإثْمِدَا(٥)
وإلاَّ تَنَاوَلْهُنَّ مِنْكَ بِرَحمَةٍ ... يَكُنَّ سَبَايَا وَالبُعولَةُ أَعْبُدَا

---

(١) خاس بالعهد: نكث وغدر.
(٢) الضِّلة: ضد الهدى.
(٣) المُرصِد: المترقِّب.
(٤) الخُرَّد: جمع خريدة. البكر التي لم تمس.
(٥) الإثمد: حجر يُكتحل به.

تَعَطَّفْ أميرَ المُؤمنينَ عليهمُ ... فَقَدْ تَركُوا أمرَ السَّفاهَةِ والرَّدَى
لَعَلَّهُمُ أنْ يُحْدِثُوا العامَ تَوْبَةً ... وتَعْرِفَ نُصْحاً مِنْهُمُ وَتَوَدُّدَا
لَقَدْ شَمْتَ يَابْنَ الأَشْعَثِ العامَ مِصْرَنا ... فَظَلُّوا وما لاقَوْا مِنَ الطَّيرِ أَسْعُدَا[١]
كَما شاءَمَ اللَّهُ النُّجَيْرَ وَأَهْلَهُ ... بِجَدِّكَ مَنْ قَدْ كانَ أشْقَى وأَنْكَدَا[٢]

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخلِّ سبيلَه؛ فقال: أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرّض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدوّ الله أنك تخدَعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجوَ! ألستَ القائل ويحك! [الكامل]

وإِذَا سَأَلْتَ: المَجْدُ أَيْنَ مَحَلُّهُ ... فَالمَجْدُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدِ
بَيْنَ الأَغَرِّ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذِخٌ ... بَخْ بَخْ لِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ

والله لا تُبَخْبِخ بعدها أبداً. أَوَ لَسْتَ القائل: [الكامل]

وَأَصَابَنِي قَومٌ وَكُنْتُ أُصِيبُهُمْ ... فَالْيَوْمَ أَصْبِرُ لِلزَّمَانِ وَأَعْرِفُ!

كَذَبْتَ والله، ما كُنْتَ صبوراً ولا عروفاً. ثم قُلْتَ بعده:

وإِذَا تُصِبْكَ مِنَ الحَوَادِثِ نَكْبَةٌ ... فاصْبِرْ فَكُلُّ غَيَابَةٍ سَتُكَشَّفُ

أمَا والله لتكونَنَّ نكبة لا تنكشف غَيَابتُها عنك أبداً! يا حَرَسِيّ، اضربْ عنقه؛ فضرب عنقه.

وذكر مُؤَرِّج السَّدُوسيّ أن الأعشى كان شديدَ التحريض على الحَجّاج في تلك الحروب، فجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه، ونزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث والناس يَرَوْنه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلكم أنكَرتم ما صنعتُ! قالوا: أوَ ليس هذا موضعَ نَكِير؟ قال: لا، كلُّكم قد سَلَح في سرجه ودِرْعه خوفاً وفرقاً، ولكنكم سترتموه وأظهرتُه؛ فَحَمِيَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم إلى الليل، وشاعت فيهم الجِراح والقتلى،

(١) شَمْتَ: لعل رواية الأصل شأمت فسهلت الهمزة ثم حذفت. يقال شأم فلان أصحابه إذا أصابهم شؤم من قبله.

(٢) النُّجير: حصن باليمن قرب حضرموت لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس في أيام أبي بكر رضي الله عنه (معجم البلدان ٥/ ٢٧٢).

وٱنهزم أهل الشأم يومئذ، ثم عاودوهم من غد وقد نَكَأتْهم[١] الحرب؛ وجاء مَدَدٌ من أهل الشأم، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِل ابن الأشعث. وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبي كَلَدة اليَشْكُريّ أنه فعلها في هذه الوقعة، وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْباني في أخبار أبي كَلَدة، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من هذا الكتاب.

(١) نَكَأَ: أثخن وأكثر الجرح والقتل.

أخبار أحمد النَّضبي ونسبه

النَّضبيّ هو صاحبُ الأنصاب. وأوّلُ من غنَّى بها وعنه أُخِذ النَّصْب[١] في الغناء هو أحمد بن أُسَامة الهَمْداني، من رَهْط الأعشى الأدنيْن. ولم أجِد نسبَه متّصلاً فأذكرَه. وكان يغني بالطُّنْبور في الإِسلام. وكان، فيما يُقال، ينادم عُبيدَ الله ابن زياد سرّاً ويغنّيه. وله صنعةٌ كثيرة حسنة لم يَلْحقْها أحد من الطُّنْبوريّين ولا كثير ممّن يغنّي بالعود.

وذكَره جَحْظةُ في كتاب الطُّنْبوريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثَلَبه فيما ذكره. وكان مذهبُه ـ عفا الله عنا وعنه ـ في هذا الكتاب أن يَثْلِب جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبحِ ما قَدَر عليه، وكان يجب عليه ضدُّ هذا، لأن من ٱنتسب إلى صناعة، ثم ذكر متقدِّمي أهلِها، كان الأجمَلَ به أن يذكر محاسنَ أخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أن يثلِبهم بما لا يعلم وما يعلم. فكان فيما قرأتُ عليه من هذا الكتاب أخبارُ أحمد النَّضْبي، وبه صدَّر كتابَه فقال: أحمد النَّضْبي أوّلُ من غنَّى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيّرها؛ ولم يخدُم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب.

وحدّثني جماعةٌ من الكوفيّين: أنه لم يكن بالكوفة أبخلُ منه مع يساره، وأنه كان يُقْرِض الناس بالرّبا، وأنه ٱغْتَصَّ في دعوة دُعي إليها بفالُوذَجةٍ حارّة فبلعها فجمعت أحشاءه فمات. وهذا كلُّه باطل. أما الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأول وخفيف الثقيل والثقيل الثاني، ليس لكثيرِ أحدٍ مثلُها. منها الصوت الذي تقدّم ذكره

---

(١) النَّضب: ضرب من الغناء أرق من حُدَاء الإبل.

وهو قوله:

حَـيِّـيَـا خَـوْلَـةَ مـنِّـي بِـالـسَّـلامِ

ومنها: [الطويل]

سَلَبْتَ الجَوَارِي حلْيَهُنَّ فَلَمْ تَدَعْ سِواراً ولا طَوْقاً على النَّحر مُذْهَبَا

وهو من الثقيل الثاني، والشعر للعُدَيْل بن الفُرْخ، وقد ذكرتُ ذلك في أخباره.

ومنها: [السريع]

يـا أيُّـهـا الـقَـلْـبُ الـمُـطِـيـعُ الـهَـوَى أَنَّـى اغْـتَـرَاكَ الـطَّـرَبُ الـنـازِحُ

وهو أيضاً من الثقيل الثاني، وأصوات كثيرةٌ نادرة تدل على تقدمه.

وأما ما وصفه من بخله وقَرْضِه للناس بالرِّبا وموتِه من فالوذجة حارة أكلها، فلا أدري مَنْ مِنَ الكوفيين حدّثه بهذا الحديث، ليس يخلو من أن يكون كاذباً، أو نَحَل هو هذه الحكاية ووضعها هنا، لأن أحمد النَّصْبي خرج مع أعشى همدان وكان قرابَته وإلفَه في عسكر ابن الأشعث، فقُتل فيمن قُتل. رَوى ذلك الثِّقات من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس، وذلك يُذكر في جملة أخباره.

[الأعْشى يمدَح والنَّصْبي يَصْدَح]

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه، وذكره العَنزي في أخبار أعشى هَمْدان المذكورة عنه عن رجاله المُسَمَّيْن قال: كان أحمد النَّصْبي مؤاخياً لأعشى همدان مواصلاً له، فأكثرُ غنائه في أشعاره مثلُ صنعته في شعره:

حَـيِّـيـا خَـوْلَـة مـنِّـي بـالـسَّـلام

و لِـمَـنِ الـظَّـعـائـنُ سَـيْـرُهُـن تَـرَجُّـفُ

و يـا أيُّـهـا الـقَـلْـبُ الـمُـطِـيـعُ الـهَـوَى

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَر أغانيه. قال: وكان سبب قوله الشعر في

سليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبريّ ـ وكان منزلُ سليم ساباط[١] المدائن ـ أن أعشى هَمْدان وأحمدَ النَّصْبيّ خرجا في بعض مغازيهما، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلوفة[٢] وقَضِيم[٣]، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا، فعرض عليهما الشراب فأنْعَما به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان؛ فقال أحمد النَّصْبي للأعشى: قل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أُغنِّي فيه؛ فقال الأعشى يمدحه: [السريع]

يا أيُّها القَلْبُ المُطِيعُ الهَوَى ... أنَّى اعْتَرَاكَ الطَّرَبُ النَّازِحُ
تَذْكُرُ جُمْلاً فإذا ما نَأَتْ ... طَارَ شعاعاً قلبُكَ الطامِحُ
هَلاَّ تَناهَيتَ وكنتَ امْرَأً ... يَزجُرُكَ المُرشِدُ والناصِحُ
ما لكَ لا تترُكُ جهلَ الصِّبا ... وقد عَلاكَ الشَّمَطُ الواضِحُ[٤]
فَصارَ مَنْ يَنهاكَ عنْ حُبِّها ... لَمْ تَرَ إلا أنَّهُ كاشِحُ
يا جُمْلُ ما حُبِّي لَكُمْ زائِلٌ ... عنِّي ولا عنْ كَبِدِي نازِحُ
حُمِّلْتُ وُدّاً لَكُمْ خالصاً ... جِدّاً إذا ما هَزَلَ المازِحُ
ثم لَقَدْ طالَ طِلابِيكُم ... أسْعَى وَخَيرُ العَمَلِ النَّاجِحُ[٥]
إنِّي تَوَسَّمْتُ امْرأً ماجداً ... يَصْدُقُ في مِدْحتِهِ المادِحُ
ذُؤابَةَ العَنْبَرِ فاخْتَرْتُهُ ... وَالمَرْءُ قدْ يُنْعِشُهُ الصَّالِحُ
أَبْلَجَ بُهْلولاً وَظَنِّي بِهِ ... أنَّ ثَنائِي عِنْدَهُ رابِحُ[٦]
سَلِيمُ ما أنتَ بِنِكْسٍ ولا ... ذَمٍّ لِي غادٍ ولا رائِحُ[٧]
أُعْطِيتَ وُدِّي وَثَنائِي مَعاً ... وَخَلَّةً مِيزانُها راجِحُ
أرعاكَ بالغَيْبِ وأهْوَى لَكَ ... الرُّشْدَ وجَيْبِي فَاعْلَمَنْ ناصِحُ[٨]
إنِّي لِمَنْ سالَمْتَ سِلْمٌ وَمَنْ ... عادَيْتَ أُمْسِي وَلَهُ ناطِحُ

---

(١) ساباط: موضع بالمدائن (معجم البلدان ٣/١٦٦).
(٢) العُلوفة: جمع علف، وهو ما تُطْعَمه الدواب.
(٣) القضيم: شعير يوضع للدابة لتأكله.
(٤) الشَّمَط: اختلاط بياض الشيب بالسواد في الرأس.
(٥) طِلابيكم: طلبي إياكم.
(٦) البهلول: السيد الجامع لكل خير.
(٧) النِّكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه.
(٨) الجيب: القلب والصدر.

فـي الـرّأسِ مـنـهُ وعَـلـى أنـفِـهِ ... مـن نَـقَـمَـاتـي مِـيـسَـمٌ لائِـحُ
نِـعْـمَ فَـتَـى الـحَـيِّ إذَا لـيـلـةٌ ... لـم يُـورِ فـيـهـا زَنـدَهُ الـقـادِحُ
وَراحَ بـالـشَّـوْلِ إلـى أهْـلِـهـا ... مُـغْـبِـرَّةً أذْقـانُـهـا كـالِـحُ[1]
وهَـبَّـتِ الـرِّيـحُ شـآمِـيَّـةً ... فـانْـجَـحَـرَ الـقـابِـسُ والـنَّـابِـحُ[2]
قـدْ عَـلِـمَ الـحـيُّ إذا أمْـحَـلـوا ... أنَّـكَ رَفَّـادٌ لَـهُـمْ مـانِـحُ
فـي الـلَّـيْـلَـةِ الـقـالِـي قِـراهـا الـتـي ... لا عَـابِـقٌ فـيـهـا ولا صَـابِـحُ
فَـالـضَّـيْـفُ مَـعْـرُوفٌ لَـهُ حَـقُّـهُ ... لَـهُ عَـلـى أبْـوابِـكُـمْ فـاتِـحُ
وَالـخَـيْـلُ قـد تَـعْـلَـمُ يَـوْمَ الـوَغَـى ... أنَّـكَ مِـنْ جَـمْـرَتِـهـا نـاضِـحُ[3]

قال: فغنّى أحمد النَّصْبيّ في بعض هذه الأبيات، وجاريةٌ لسَليم في السطح، فسمعت الغناء، فنزلتْ إلى مولاها وقالت: إني سمعت من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسن منه؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهم، ثم نزل فدخل عليهما، فقال لأحمد: لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما؟ فقال: الشعر لهذا، وهو أبو المصبّح أعشى همدان، والغناء لي، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهَمْداني؛ فانكبَّ على رأس أعشى هَمْدان فقبّله وقال: كتمتُماني أنفسكما، وكِدْتما أن تفارقاني ولم أعرفكما، ولم أعلم خبركما، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسين، وقال: خَلِّفا عندي ما كان من دوابكما، وارجعا من مَغْزاكما إليّ. فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حيناً ثم انصرفا، فلما شارفا منزلَه قال أحمد للأعشى: إني أرى عجباً! قال: وما هو؟ قال: أرى فوق قصر سَليم ثعلباً؛ قال: لئن كنتَ صادقاً فما بقي في القرية أحد. فدخلا القرية، فوجدا سَليماً وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم. هكذا ذكر إسحاق، وذكر غيره: أن الحجاج طالب سَلِيماً بمال عظيم، فلم يخرُج منه حتى باع كل ما يملكه، وخَرِبتْ قريتُه وتفرّق أهلها؛ ثم باعه الحجاج عبداً، فاشتراه بعضُ أشراف أهل الكوفة، إما أسْماءُ بنُ خارجة وإما بعض نظرائه، فأعتقه.

---

(١) الشَّول: جمع شائلة. وهي ما آل عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجفّ لبنها. والكالح: الأمر الشديد.

(٢) انجَحر: دخل جُحْره. والقابس: طالب النار.

(٣) الجَمْرة: القبيلة فيها ثلاثمائة فارس، وقيل: ألف. والناضح: المدافع، الرامي.

نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعَره وصنع أحمد النصبيّ لحنَه في سليم

صوت

[السريع]

يـا أيُّـهـا الـقَـلْـبُ الـمُـطِـيـعُ الـهَـوَى — أنّـى اغـتَـرَاكَ الـطَّـرَبُ الـنَّـازِحُ
تَـذْكُـرُ جُـمْـلاً فـإذا مـا نَـأَتْ — طَـارَ شَـعـاعـاً قـلـبُـكَ الـطـامِـحُ
أُعْـطِـيـتَ وُدّي وثـنـائِـي مَـعـاً — وَخَـلَّـةً مِـيـزانُـهـا راجِـحُ
إنِّـي تَـخَـيَّـرْتُ امْـرَأً مـاجِـداً — يَـصْـدُقُ فـي مِـدْحَـتِـهِ الـمـادِحُ
سَـلِـيـمُ مـا أنـتَ بِـنِـكْـسٍ ولا — ذَمَّـكَ لـي غـادٍ ولا رائِـحُ
نِـعْـمَ فَـتَـى الـحَـيِّ إذا لَـيْـلَـةٌ — لَـمْ يُـورِ فـيـهـا زَنْـدَهُ الـقـادِحُ
وَراحَ بـالـشَّـوْلِ إلـى أهْـلِـهـا — مُـغْـبَـرَّةً أذقـانُـهـا كـالِـحُ
وَهَـبَّـتِ الـرِّيـحُ شـآمِـيَّـةً — فـانْـجَـحَـرَ الـقـابِـسُ والـنـابِـحُ

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النَّصْبي، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لمالِكٍ لحناً ولسنان الكاتب لحناً آخر.

صوت
من المائة المختارة

[الطويل]

تَـنَـكَّـرَ مِـنْ سُـعْـدَى وَأَقْـفَـرَ مِـنْ هـنـدِ — مُـقـامُـهُـمـا بـيـن الـرَّغـامَـيْـنِ فَـالْـفَـرْدِ[1]
مَـحَـلٌّ لِـسُـعْـدَى طـالَـمَـا سَـكَـنَـتْ بِـهِ — فـأَوْحَـشَ مِـمَّـنْ كـانَ يَـسْـكُـنُـهُ بَـعْـدِي

الشعر لحَمّاد الراوية. والغناء لعَبَادِل، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، ذكر الهشاميّ أنه للهُذَليّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لعَبَادِل بن عطيّة.

---

(١) الرَّغام: اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر. (معجم البلدان ٣/ ٥٤).

أخبار حمّاد الراوية ونسبه

[٩٥ ـ ١٥٥ هـ/٧١٤ ـ ٧٧٢ م]

[اسمه ونسبه ولقبه وولاؤه]

هو حَمّاد بن ميسرة، فيما ذكره الهَيثَم بن عدِيّ، وكان صاحبَه وراويته وأعلمَ الناس به، وزعم أنه مولى بني شيْبان. وذكر المَدائنيّ والقَحْذَمِيّ أنه حماد بن سابور، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها. وكانت ملوك بني أمية تقدّمه وتؤثره وتستزيره، فيَفِد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته.

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ وعمّي وإسماعيل العَتَكيّ قالوا: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: قال الأصمعيّ: كان حَمّاد أعلم الناس إذا نَصَح. قال وقلت لحماد: ممن أنتم؟ قال: كان أبي من سَبْي سَلْمان بن رَبيعة، فطَرَحَتْنا سَلْمانُ لبني شَيْبان، فولاؤنا لهم. قال: وكان أبوه يُسمَّى مَيْسرة، ويُكنى أبا ليلى. قال العَتَكيّ في خبره: قال الرِّيَاشيّ: وكذلك ذكر الهَيْثم بن عَدِيّ في أمر حَمّاد.

أخبرني عمي قال: حدّثني الكُرَاني قال: حدّثنا العُمَري عن العُتْبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ ولَقِيط قالوا: قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية: بِمَ استحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفْه ولم تسمع به، ثم لا أُنشَد شعراً قديماً ولا محدَثاً إلا ميّزتُ القديم منه من المحدَث؛ فقال: إنّ هذا لعلم وأبيك كثير! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولكني أُنشِدك على كل حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة سوى المقطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام؛ قال: سأمتحنك في هذا، وأمَره بالإنشاد؛ فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر، ثم

وكّل به من استحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفَى عليه؛ فأنشده ألفين وتسعَمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليدَ بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم.

[دهاؤه وبخله وروايته]

أخبرني يحيى بن عليّ المنجّم قال: حدّثني أبي قال: حدّثني إسحاق الموصليّ عن مَرْوان بن أبي حَفْصة، وأخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأَثْرَم عن مروان بن أبي حَفْصة قال: دخلت أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثَّقفي والحسين بن مُطَير الأَسَدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلّما أنشد شاعرٌ شعراً، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر؛ فقلت: من هذا؟ فقالوا: حَمّاد الراوية. فلما وقفت بين يدي الوليد أُنْشِدُه قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لُحَنة لَحّانة؛ فأقبل الشيخ عليّ وقال: يابن أخي، إني رجل أُكلِّم العامة فأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عنّي الشعرُ كله إلا شعرَ ابن مُقْبِل؛ فقلت له: نعم، شعرَ ابن مُقبل؛ قال: أَنشِدْ، فأنشدتُه قوله: [الطويل]

سَلِ الدّارَ مِنْ جَنْبَيْ حِبِرٍّ فواهِبِ إذا ما رَأى هَضْبَ القَلِيبِ المُضَيَّحُ[1]

ثم جُزْتُ؛ فقال لي: قف فوقفت؛ فقال لي: ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول! فقال لي حماد: يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب. يقال: تراءَى الموضعان إذا تقابلا.

حدّثني عمّي قال: حدّثني الكُرَاني عن العُمَري عن الهيثم بن عديّ قال: قلت لحماد الراوية يوماً: أَلْقِ عليّ ما شئت من الشعر أُفسِّرْه لك؛ فضحك وقال لي: ما معنى قولِ ابن مُزَاحِم الثُّمَالِيّ: [البسيط]

تَخَوَّفَ السَّيرُ مِنها تامِكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ؟[2]

(١) حِبِرّ: جبل في ديار سُلَيم (معجم البلدان ٢/ ٢١٢). وواهِب: اسم جبل لبني سليم (معجم البلدان ٥/ ٣٥٦). وهضب القليب: ماء لبني سليم (معجم البلدان ٥/ ٤٠٧).

(٢) التامِك: السَّنام. والقَرِد: المُتلبِّد الصوف. والسَّفَن: الحديدة التي تُبرد بها القسي.

فلم أَدْرِ ما أقول؛ فقال: تخوَّف: تنقَّص. قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾[1] أي على تنقُّص.

قال الهَيْثم: ما رأيت رجلاً أعلمَ بكلام العرب من حَمّاد.

حدّثني محمد بن خَلَف وَكِيع قال: حدّثني الكُرَانيّ محمد بن سعد عن النَّضر ابن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال: أنشدني الفرزدق وحمادُ الراوية حاضر:

وَكُنْتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمّا رأى دماً بِصاحِبِهِ يَوْماً أَحَالَ على الدَّمِ[2]

فقال له حماد: أنت تقوله؟ قال: نعم؛ قال: ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن؛ قال: ومن يعلم هذا غيرُك! أفأردتَ أن أتركه وقد نَحَلنيه الناسُ وروَوْه لي لأنك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعاً غيرَك!.

حدّثني محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حدّثني الفَضْل قال: حدّثني ابن النَّطّاح قال: حدّثني أبو عمرو الشَّيْباني قال: ما سألت أبا عمرو بنَ العلاَء قَطُّ عن حَمّاد الراوية إلا قدّمه على نفسه، ولا سألت حَمّاداً عن أبي عمرو إلا قدّمه على نفسه.

حدّثنا إبراهيم بن أيُّوب عن عبد الله بن مسلم، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثَّقَفِيّ عن إبراهيم بن عُمَرو العامري قالا: كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقال لهم الحَمّادون: حماد عَجْرد، وحماد بن الزِّبْرِقان، وحماد الراوية، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعاً.

أخبرني الحسن بن يحيى المِرْداسيّ قال: حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخل مُطِيع بن إياس ويحيى بن زِياد على حماد الراوية، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين، فقال له يحيى بن زياد: يا حماد، إنك لمُسْرِف مبتذِل لحُرّ المتاع؛ فقال له مُطيع: ألا تبيع هذه المنارة وتشتري أقلَّ

(١) سورة النحل، الآية: ٤٧.

(٢) السَّوء: الشرّ والفساد. وأحال على الدم: أقبل عليه.

ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتّسع به؟ فقال له يحيى: ما أحسنَ ظنَّك به! ومن أين له مثلُ هذه؟ إنما هي وديعة أو عارية؛ فقال له مطيع: أمَا إنه لعظيم الأمانة عند الناس! قال له يحيى: وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يُخرج مثلَ هذه من داره ويأمَن عليها غيرَه! قال مطيع: ما أظنها عاريةً ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال، وإلا فمن يُخرج هذه من بيته! فقال لهما حماد: قوما عني يابنِي الزانيتين واخرُجا من منزلي، فشرٌّ منكما من يُدخلكما بيتَه.

[روايته للأمراء ومنادمته لهم ونيله جوائزهم]

حدّثني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصيدة قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمٰن العَبْدي عن حُميد بن محمد الكُوفي عن إبراهيم ابن عبد الرحمٰن القُرَشي عن محمد بن أَنَس، وأخبرني الحسن بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية، وخبر حَمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له:

قال حماد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفْضَت الخلافةُ إلى هشام خِفْتُه، فمكثت في بيتي سنةً لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً؛ فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنةً أَمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شُرَطِيّان قد وقفا عليّ فقالا لي: يا حَمّاد، أجب الأمير يوسف ابن عمر؛ فقلت في نفسي: مِنْ هذا كنت أحذَر، ثم قلت للشُّرَطِيَّيْنِ: هل لكما أن تَدَعاني آتي أهلي فأُودّعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه؟ فقالا: ما إلى ذلك من سبيل، فاستسلمتُ في أيديهما وصِرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، ورمى إليّ كتاباً فيه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد، فإذا قرأتَ كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير مُروَّع ولا مُتعتَع، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيّاً[1] يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق».

(١) المَهريّة من الإبل: نسبة إلى مَهْرَة بن حيدان وهو حي من قضاعة من عرب اليمن وهي نجائب تسبق الخيل وتَفْهم ما يراد منها.

فأخذتُ الخمسمائة الدينار، ونظرت فإذا جمل مرْحول[١]، فوضعت رجلي في الغَرْز[٢] وسرتُ اثنتي عشرةَ ليلةً حتى وافيتُ باب هشام، فاستأذنتُ فأُذن لي، فدخلت عليه في دارٍ قَوْراء[٣] مفروشة بالرخام. وهو في مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيبُ ذهبٍ، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراءَ وعليه ثياب خَزّ حُمْر وقد تضمَّخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه، فسلّمت فردّ عليّ، واستدناني فدنوت حتى قبّلت رجلَه، وإذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلَهما، في أُذُنيْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقّدان؛ فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين؛ قال: أتدري فيم بعثتُ إليك؟ قلت: لا؛ قال: بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدر مَنْ قاله؛ فقلت: وما هو؟ فقال: [الخفيف]

فَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوماً فجاءَتْ ... قَيْنَةٌ في يَمِينِهَا إبْرِيقُ

قلت: هذا يقوله عَدِيّ بن زيد في قصيدة له؛ قال: فأنشدْنيها، فأنشدتُه:

بَكَرَ العاذِلُونَ في وَضَحِ الصُّبْـ ... ـحِ يَقُولُونَ لي ألاَ تَسْتَفِيقُ

ويلومُونَ فيكِ يابْنَةَ عبدِ اللّـ ... ـهِ وَالقَلْبُ عِندَكُم مَوْهُوقُ[٤]

لَسْتُ أدري إذ أكْثَرُوا العَذْلَ عِنْدِي ... أَعَدُوٌّ يَلُومُنِي أوْ صَدِيقُ

زَانَها حُسْنُهَا وَفَرْعٌ عَمِيمٌ ... وَأثِيثٌ صَلْتُ الجَبِينِ أنِيقُ[٥]

وَثَنايا مُفَلَّجَاتٌ عِذَابٌ ... لا قِصارٌ تُرَى ولاَ هُنَّ رُوقُ[٦]

فَدَعَوْا بالصَّبُوحِ يَوْماً فَجَاءَتْ ... قَيْنَةٌ في يَمِينِها إبْرِيقُ

قَدَّمَتْهُ على عُقَارٍ كَعَيْنِ الـ ... ـدِّيكِ صَفَّى سُلافَها الرَّاووقُ[٧]

مُرَّةٍ قَبْلَ مَزْجِها فإذا مَا ... مُزِجَتْ لَذَّ طَعْمَها مَنْ يَذُوقُ

---

(١) مرحول: موضوع عليه الرحل.
(٢) الغَرْز: ركاب الرحل من جلد، فإذا كان من خشب أو من حديد فهو رِكاب.
(٣) قوراء: واسعة.
(٤) الموهوق: المشدود بالوهق، وهو الحبل.
(٥) الفرع: الشَعْر. والأثيث: الكثير، ويطلق على الشعر وعلى البدن الممتلىء اللحم، وهو المراد هنا. والصّلت: الواضح.
(٦) رُوق: طِوال.
(٧) الراووق: المصفاة.

وَطَفَتْ فَوقَها فَقاقِيعُ كالدُّرِّ صِغارٌ يُثِيرُها التَّصْفِيقُ
ثُمَّ كانَ المِزاجُ ماءَ سَماءٍ غيرَ ما آجِنٍ ولا مَطْروقُ

قال: فطرب، ثم قال: أحسنت والله يا حمّاد، يا جاريةُ اسقيه، فسقتني شرْبة ذهبت بثلث عقلي. وقال: أعِد، فأعدت، فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأُخرى: اسقيه، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي. فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، فقال: سلْ حوائجك، فقلت: كائنة ما كانت؟ قال: نعم؛ قلت: إحدى الجاريتين؛ فقال لي: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتْني شَرْبة سقطتُ معها، فلم أعقِل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي، وإذا عِدّة من الخدم مع كل واحد منهم بدْرة، فقال لي أحدهم: أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه فانتفع بها، فأخذتُها والجاريتين وانصرفت. هذا لفظ حَمّاد عن أبيه. ولم يقل أحمد بن عُبيد في خبره أنه سقاه شيئاً، ولكنّه ذكر أنه طرِب لإنشاده، ووهب له الجاريتين لمّا طلب إحداهما، وأنزله في دار، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أعدّه له، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتاج إليه، وأنه أقام عنده مدّة فوصل إليه مائةُ ألف درهم، وهذا هو الصحيح؛ لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يُسقَى أحدٌ بحضرته مسكِراً، وكان يُنكِر ذلك ويَعيبه ويعاقب عليه.

في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناءٌ، نِسْبته:

صوت

[الخفيف]

بَكَرَ العاذِلُونَ في وَضَحِ الصُّبْحِ يَقُولُونَ ما لَهُ لا يُفيقُ
وَيَلُومُونَ فيكِ يابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالقَلْبُ عِنْدَكُمْ مَوْهُوقُ
ثم نادَوْا إلى الصَّبُوحِ فقامَتْ قَيْنَةٌ في يَمِينِها إبْرِيقُ
قَدَّمَتْهُ عَلى عُقارٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ صَفّى سُلافَها الرَّاووقُ

في البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلَفٌ في صانعه، نَسَبه يحيى بن المكيّ إلى معبد، ونسبه الهشاميّ إلى حُنَين. وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبد الله بن العباس الرّبيعيّ رَمَلٌ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيل، ذكر حَبَش أنه لحُنَين.

أخبرني محمد بن مزْيد والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن

أبيه عن الأصمعيّ قال: قال حماد الراوية: كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر: احمِلْ إليّ حَمَّاداً الراوية على ما أحبّ من دواب البريد، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعُونة له؛ فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إليّ، فقلتُ: السمع والطاعة، فقال: يا دُكين بن شجرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذتُها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودّعاً، فقال: يا حماد، أنا بالموضع الذي قد عرفت من أمير المؤمنين، ولستُ مستغنياً عن ثنائك، فقلت: أصلح الله الأمير: «إنّ العوانَ لا تُعَلَّمُ الخِمْرةَ»[1] فخرجتُ حتى أتيتُ الوليد بن يزيد وهو بالبخْراء، فاستأذنتُ فأذن لي، فإذا هو على سرير ممهَّد وعليه ثوبان: إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً، وإذا عنده معبَد ومالك وأبو كامل مولاه، فتركني حتى سكن جأشي، ثم قال: أنشدْني:

أَمِنَ المَنونِ وَرَيبِها تَتَوجَّعُ

فأنشدتُه إيّاها حتى أتيتُ على آخرها. فقال لساقيه: اسقه يا سبْرة أكؤساً، فسقاني ثلاث أكؤس خدَّرتْ ما بين الذؤابة والنعل. ثم قال: يا معبد غنّني:

[مجزوء الوافر]

أَلاَ هَلْ جَاءَكَ الأَظْعا ... نُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحا[2]

فغنّاه ثم قال: غَنّني:

[الوافر]

أَتَنْسَى إذْ تُودِّعُنا سُلَيْمَى ... بِفَرْعِ بَشَامَةٍ، سُقِيَ البَشَامُ

فغنّى. ثم قال: غنني:

[البسيط]

جَلاَ أُمَيَّةُ عَنّا كُلَّ مَظْلِمَةٍ ... سَهْلُ الحِجابِ وَأَوْفَى بالَّذِي وَعَدا

فغنّاه. ثم قال: اسقني يا غلام بزُبّ فرعون، فأتاه بقدح معوَجٍّ فيه طول فسقاه به عشرين قدحاً. ثم أتاه الحاجب فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، الرجلُ الذي طلبتَ بالباب؛ فقال: أدخله، فدخل غلام شابٌّ لم أر أحسن منه وجهاً في رجله فَدَع[3]، فقال: يا سَبْرة اسقه كأساً، فسقاه، ثم قال له: غنّني:

(١) العوان: النَّصَف في سِنّها. والمَثَل: لا تُعَلَّمُ العَوان الخِمرة: أي المجرب عارف بأمره كما أن المرأة تحسِنُ الخِمرة.

(٢) مُطَّلَح: اسم مكان (معجم البلدان ٥/ ١٥٠).

(٣) الفَدع: عوج وميل في المفاصل.

[الرمل]

وَهْـيَ إذ ذاكَ عَـلَـيْـهـا مِـئْـزَرٌ وَلَـهـا بَـيْـتُ جَـوَارٍ مِـنْ لُـعَـبْ

فغنّاه، فنبذ إليه أحد ثوبيه، ثم قال: غنّني: [مجزوء الكامل]

طَـرَقَ الـخَـيـالُ فَـمَـرْحَـبَـا أَلْـفـاً بِـرُؤيـةِ زَيْـنَـبـا

فغضب معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مُقْبلون إليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تتركنا بمَزْجر الكلب[١] وأقبلتَ على هذا الصبي؛ فقال: والله يا أبا عَبَّاد ما جهلت قدرَك ولا سِنّك، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطَّيَاجِن[٢] من حرارة غنائه. فسألتُ عن الغلام؟ فإذا هو ابن عائشة.

حدّثني الحسن بن محمد المادَرَانيّ الكاتب قال: حدّثني الرياشيّ عن العُتْبيّ، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي ـ وليس خبره بتمام هذا ـ قال:

طلب المنصور حمّاداً الراوية، فطُلب ببغداد فلم يوجد، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجّهوا إليه برسول يُشخِصُه. قال الرسول: فوجدته في حانة وهو عُريان يشرب نبيذاً من إجّانة[٣] وعلى سوأته رأس دسْتجة[٤]، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فما رأيتُ رسالة أرفع ولا حالة أوضع من تلك. فأجاب، فأشخصتُه إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: أنشدني شعر هِفّان بن همّام ابن نضْلة يرثي أباه؛ فأنشده: [الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ عُـوجَـا إنَّـهـا حـاجَـةٌ لَـنـا عـلـى قَـبْـرِ هَـمَّـام سَـقَـتْـهُ الـرَّواعِـدُ

عَـلَـى قَـبْـرِ مَـنْ يُـرجـى نَـدَاهُ ويُـبْـتَـغَـى جَـدَاه إذا لـم يَـحْـمَـدِ الأرضَ رائـدُ[٥]

كـريـمُ الـنَّـثـا حُـلْـوُ الـشَّـمـائِـلِ بـيـنَـهُ وَبَـيْـنَ الـمُـزَجَّـى نَـفْـنَـفٌ مُـتَـبـاعِـدُ[٦]

إذا نَـازَعَ الـقَـوْمَ الأحـادِيـثَ لَـمْ يَـكُـنْ عَـيِـيّـاً ولا ثِـقْـلاً عـلـى مَـنْ يُـقَـاعِـدُ

صَـبُـورٌ عـلـى الـعِـلاّتِ يُـصْـبِـحُ بَـطْـنُـهُ خَـمِـيـصـاً وَآتِـيـهِ عَـلَـى الـزَّادِ حـامِـدُ[٧]

---

(١) زجر الكلب: منعه. وإذا قيل: هو في مزجر الكلب: أي بتلك المنزلة.
(٢) الطياجن: الطوابق يُقلى عليها.
(٣) الإجانة: آنية تُغسل فيها الثياب.
(٤) الدستجة: إناء كبير من الزجاج (مُعرّب).
(٥) جَدَاه: عطاؤه.
(٦) المُزجّى: الضعيف. والنفنف: المهواة بين الجبلين.
(٧) خميص الحشا: ضامر البطن.

وَضَعْنا الفَتَى كُلَّ الفَتَى في حَفِيرةٍ ... بِحُرِّين قد راحَتْ عليه العوائدُ[١]
صَرِيعاً كَنَصْلِ السَّيْفِ تَضْرِبُ حَوْلَهُ ... تَرائِبَهُنَّ المُعْوِلاتُ الفواقِدُ[٢]

قال: فبكى أبو جعفر حتى أخضَلَ لحيتَه، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس رضي الله عنه.

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان جعفر بنُ أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يَستخفّ مُطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعاً إليه وله معه منزلة حسنة، فذكَر له حماداً الراوية، وكان صديقَه، وكان مطَّرَحاً مجفوّاً في أيامهم، فقال: ائتنا به لنراه. فأتى مطيع حمّاداً فأخبره بذلك وأمره بالمَسير معه إليه؛ فقال له حماد: دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية وما لي عند هؤلاء خير، فأبى مطيعٌ إلاّ الذهابَ إليه، فاستعار حماد سواداً وسيفاً ثم أتاه، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر. فلما دخل عليه سلّم عليه سلاماً حسناً وأثنى عليه وذكر فضله؛ فردّ عليه وأمره بالجلوس فجلس. فقال جعفر: أنشِدْني؛ فقال: لمن أيها الأمير؟ ألشاعرٍ بعينه أم لمن حَضَر؟ قال: بل أنشدني لجرير. قال حمّاد: فسُلِخ والله شعر جرير كلُّه من قلبي إلا قولَه: [الكامل]

بانَ الخَلِيطُ بِرامَتَيْنِ فَوَدَّعوا ... أَو كُلَّما اعْتَزَمُوا لِبَيْنٍ تَجْزَعُ[٣]

فاندفعتُ فأنشدتهُ إياه، حتى انتهيتُ إلى قوله:

وَتَقُولُ بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ عَلى العَصا ... هَلاّ هَزِئْتِ بِغَيْرِنا يا بَوْزَعُ

قال حماد: فقال لي جعفر: أعِد هذا البيت، فأعدته؛ فقال: بوزع، أيُّ شيء هو؟ فقلت: اسم امرأة؛ فقال: أمرأة اسمها بَوْزع! هو بريء من الله ورسوله ونفيّ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بَوْزع إلا غُولاً من الغِيلان! تركتني والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فزع بَوْزع؛ يا غلمان! قَفَاه؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدر أين أنا؛ ثم قال: جُرُّوا برجله. فَجرُّوا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً،

(١) حُرِّين: بلد قرب آمد (معجم البلدان ٢/ ٢٥٢).

(٢) الترائب: عظام الصدر، واحدها تريبة. والفواقد: مَن فقدن أزواجهن أو أولادهن.

(٣) رامتان: هو تثنية رامة. ورامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مَكة، وبين رامة والبصرة اثنتا عشرة مرحلة (معجم البلدان ٣/ ١٨).

فتخرّق السوادُ وانكسر جَفْنُ السيف[١] ولقيتُ شراً عظيماً مما جرى عليّ؛ وكان أغلظ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامي ثمنَ السَّواد وجفنِ السيف؛ فلما انصرفت أتاني مُطيع يتوجّع لي؛ فقلت له: ألم أخبرك أني لا أُصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع بني أمية!.

حدّثني جعفر بن قُدامة قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: بلغني أن رجلاً تحدّث في مجلس حماد الراوية فقال: بلغني أن المأبون له رحم كرحم المرأة - قال: وكان الرجل يُرمَى بهذا الداء - فقال حماد لغلامه: اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ، فإن خير العلم ما حُمل عن أهله.

قال: وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال: [الخفيف]

إنَّ لِي حَاجَةً فَرَأْيُكَ فيها ... لَكَ نَفْسِي فِدًى مِنَ الأَوْصابِ[٢]
وَهْيَ لَيْسَتْ مِمّا يُبلِّغُها غَيْـ ... ـرِي ولا يَسْتَطِيعُها في كِتابِ
غيرَ أنّي أقُولُها حِينَ ألقا ... كَ رُوَيْداً أُسِرُّهَا في حِجابِ

فكتب إليه الرجل: اكتب إليّ بحاجتك ولا تَشْهَرني بشعرك؛ فكتب إليه حماد: [الخفيف]

إنني عاشقٌ لِجُبَّتِكَ الدَّكْـ ... ـناءِ عِشقاً قد حالَ دونَ الشَّرابِ
فاكْسُنِيها فَدَتْكَ نفسي وَأهْلِي ... أَتَباهَى بها عَلَى الأصْحَابِ
وَلَكَ الله والأمانَةُ أنْ أجْـ ... ـعَلَها عُمْرَها أمِيرَ ثِيابِي

فبعث إليه بها. وقد رُويتْ هذه القصة لمُطيع بن إياس.

[من أخباره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني أبو يعقوب الخُزَيميّ[٣] قال: كنت في مجلس فيه حماد عَجْرَد وحماد الراوية ومعنا غلام أمردُ، فنظر إليه حماد الراوية نظراً شديداً وقال لي: يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلةَ على أن أَدِبّ على هذا الغلام؛ فقلت: شأنَك به: ثم نِمْنا، فلم أشعرْ بشيء إلا وحماد ينيكني، وإذا أنا قد غَلِطت ونِمْت في موضع الغلام، فكرهت أن أتكلّم

(١) جَفْنُ السيف: غمده.
(٢) الأوصاب، مفردها الوَصَب: المرض والوجع والتَّعَب.
(٣) والصحيح الخريميّ بالراء كما في «الشعر والشعراء» لأنه كان مولى ابن خُرَيْم.

فينتبهَ الناس فأُفتضحَ وأُبطلَ عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفَني؛ فقال: قد عرفتُ الآن، فيكون ماذا! وفديناه بذبح عظيم. قال: وما بَرِح علم الله وأنا أُعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل.

قال إسحاق: وأهدى حماد إلى صديق له غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك غلاماً تتعلم عليه كَظْم الغيظ.

قال: واستهدى من صديق له نبيذاً فأهدى إليه دُسَيتِجة نبيذ. فكتب إليه: لو عرفتَ في العدد أقلَّ من واحد، وفي الألوان شرّاً من السواد، لأهديتَه إليّ.

قال: وسمع مغنية تغنى:

عَادَ قَلْبِي من الطُّويلَةِ[1] عاد

فقال: وثمود، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما. والشعر:

عَادَ قَلْبي مِنَ الطُّويلَةِ عِيدُ

أخبرني أبو الحسن الأسَدي قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: حدّثني أبو عثمان اللاحِقي، وأخبرني به محمد بن مَزْيَد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن بِشْر بن المفضَّل بن لاحِق قال: جاء رجل إلى حَمّاد الراوية فأنشده شعراً وقال: أنا قلته؛ فقال له: أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنتَ صادقاً فاهْجُني. فذهب ثم عاد إليه فقال له: قد قلت فيك: [الطويل]

سَيَعْلَمُ حَمّادٌ إذا ما هَجَوتُهُ ... أَأَنْتَحِلُ الأشْعارَ أمْ أنا شاعِرُ

أَلَمْ تَرَ حَمّاداً تَقَدَّمَ بَطْنُهُ ... وأُخِّرَ عنهُ ما تُجِنُّ المآزِرُ

فَلَيْسَ بِراءٍ خُصْيَتَيْهِ وَلَوْ جَثَا ... لِركبتِهِ، ما دامَ لِلزَّيْتِ عاصِرُ

فَيَا لَيْتَهُ أَمْسَىٰ قَعِيدَةَ بَيْتِهِ ... لَهُ بَعْلُ صدقٍ كَوْمُهُ مُتَواتِرُ

فَحَمَّادُ نِعْمَ العِرْسُ لِلْمَرْءِ يَبْتَغِي الـ ... ـنِّكاحَ وَبِئْسَ المَرْءُ فِيمَنْ يُفَاخِرُ

فقال حماد: حسبُنا، عافاك الله، هذا المقدارُ وحسبُك! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجودَ منه، وأُحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَني؛ فقال له: قد كنتَ غنيّاً عن هذا. وانصرف الرجل وجعل حماد يقول:

---

(١) الطُّويلة: روضة بالصمّان، عرضها قدر ميل في طول ثلاثة أميال (معجم البلدان ٤/ ٥١).

أسمعتم أعجب مما جرَرْتُ على نفسي من البلاء!.

حدّثني الأسَدِي أبو الحَسَن قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: حدّثنا أبو عبد الله الفَهْمِيّ قال: عاب حَمّاد الراوية شعراً لأبي الغُول فقال يهجوه: [الكامل]

نِعْمَ الفَتَى لو كانَ يَعْرِفُ ربَّهُ ويُقيمُ وَقْتَ صلاتِهِ حَمّادُ
هَدَلَتْ مَشافِرَهُ الدِّنَانُ فأنْفُهُ مِثْلُ القَدُومِ يَسُنُّها الحَدَّادُ
وَأَبْيَضَّ مِنْ شُربِ المُدامَةِ وَجْهُهُ فَبَياضُهُ يَوْمَ الحِسابِ سَوادُ
لا يُعْجِبَنَّكَ بَزُّهُ وَثيابُهُ إنَّ اليَهودَ تُرَى لَها أَجْلادُ[1]
حَمّادُ يا ضَبُعاً تَجُرُ جِعَارَها أَخْنَى لَها بالقَرْيَتَيْنِ جَرَادُ[2]
سَبْعاً يُلاعِبُها ابْنُها وبناتُها ولَها من الخِرَقِ الكِبارِ وِسادُ

قال معنى قوله:

أَخْنَى لَها بالقَرْيَتَيْنِ جَرادُ

هو مثل قول العرب للضَّبُع: خامِري[3] أمَّ عامر[4]، أَبْشِري بجرادٍ عِظَال[5] وكَمَرِ رجال؛ فإن الضبع تجيء إلى القتيل وقد استلقى على قفاه، وانتفخ غُرْمُوله فكان كالمُنْعِظ[6]، فتَحْتكّ به وتَحيض من الشهوة، فَيَثِبُ عليها الذئب حينئذٍ فتلد منه السِّمْع، وهو دابة، لا يولد له مثل البغل. وفي مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرَى الأَزْدِي: [المديد]

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وتَرَى الذِّئْبَ لَها يَسْتَهِلُّ[7]

تضحك: تحيض.

وقال ابن النطّاح: كان حَمّاد الراوية في أوّل أمره يتشطّر ويصحَب

---

(١) الأجلاد: أعضاء الجسم يقال: فلان عظيم الأجلاد إذا كان ضخماً قويّاً.

(٢) الجِعار: جمع جَعْر: كل ذات مخلب من السباع. وجعار: اسم للضبع لكثرة جعرها. وأخنى الجراد: كَثُر بَيضُه.

(٣) خامِري: استتري.

(٤) أم عامر: الضبع.

(٥) الجراد العِظال: الذي ركب بعضه بعضاً لكثرته.

(٦) المنعِظ: المنتشر، المنتصب.

(٧) يستهل: يصيح.

الصعاليك[١] واللصوص، فنقَب[٢] ليلةً على رجل فأخَذ مالَه وكان فيه جزءٌ من شِعْر الأنصار، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفّظه، ثم طلب الأدب والشعر وأيامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ.

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمِّي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حَمّاد الراوية قال: دخلت على المهديّ فقال: أنشِدْني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكْر، ولك عشرة آلاف دِرهم وخِلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف؛ فأنشدتُه قولَ الأخطل: [البسيط]

تَرَى الزُّجَاجَ ولـم يُطْمَـثْ يُطِـيفُ بـهِ ... كَـأَنَّـه مِـنْ دَمِ الأجْـوافِ مـخْـتَـضَـبُ[٣]

حَـتَّـى إذا افـتَـضَّ مـاءُ الـمُـزْنِ عُـذرَتَـهـا ... راحَ الـزُّجـاجُ وَفِـي ألـوانِـهِ صَـهَـبُ[٤]

تَـنْـزُو إذا شَـجَّـهـا بـالـمـاءِ مَـازِجُـهـا ... نَـزْوَ الـجَـنادبِ فـي رَمْـضَـاءَ تَـلْـتَـهِـبُ[٥]

رَاحُوا وَهُـمْ يَـحْـسَـبونَ الأرْضَ في فُلُكٍ ... إنْ صُـرِّعُـوا وَقَـتِ الـرّاحـاتُ وَالـرُّكَـبُ

فقال لي: أحسنتَ وأمر لي بما شَرَطه ووعدني به فأخذتُه.

حدّثني اليَزيديّ قال حدّثني عمي عبيدُ الله قال حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني صالح بن سليمان قال: قدم حَمّاد الراوية على بلال بن أبي بُرْدة البصرةَ، وعند بلال ذو الرُّمَّة، فأنشده حمادٌ شعراً مدحه به؛ فقال بلال لذي الرُّمَّة: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: جيّداً وليس له؛ قال: فمن يقوله؟ قال: لا أدري إلا أنه لم يقله؛ فلما قضى بلالٌ حوائجَ حماد وأجازه، قال له: إن لي إليكَ حاجةً؛ قال: هي مقضيةٌ؛ قال: أنت قلت ذلك الشعر؟ قال: لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال: بعضُ شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيري؛ قال: فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك؟ قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام.

قال صالح: وأنشد حَمّاد الراوية بلالَ بن أبي بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئةَ يمدح أبا موسى الأشعري يقول فيها:

---

(١) الصّعاليك: محترفوا الصعلكة وهي قطع الطرق وشنّ الغارات.
(٢) نقب: فحص.
(٣) الطّمْث: المَسّ.
(٤) الصُهبة: الشُقرة. والصهباء: الخمر.
(٥) تنزو: تَثِب، وشجْها. مَزَجَها. والجنادب: ضرب من الجراد. والرمضاء: الأرض الحارّة.

[البسيط]

جَمَعْتَ مِنْ عامِرٍ فيهَا ومِنْ جُشَمٍ ومِنْ تَمِيمٍ ومِنْ حَاءٍ ومِن حامِ
مُسْتَحقِبات رَوايَاهَا جَحافِلَهاَ يَسْمُو بِها أَشْعَرِيٌّ طَرْفُهُ سَامِي

فقال له بلال: قد علمتُ أن هذا شيء قلتَه أنت ونسبتَه إلى الحطيئة، وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دَعْهَا تذهب في الناس وسيِّرها حتى تشتهرَ، ووصلَه.

[رأيهم في روايته]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: سمعت أحمد بن الحارث الخَرّاز يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: سمعت المفضَّل الضَّبيَّ يقول:

قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أم يلحَن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهب رجل ويُدخله في شعره، ويُحمَل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك!.

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال: حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال: حدّثني السَّعِيدي الراوية وأبو إياد المؤدِّب ـ وكان مؤدِّبي ثم أدَّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سنُّه ـ وحدّثني بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسَعيد بن سَلْم وحدّثني به ابن غَزَالة أيضاً واتفقوا عليه: أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعِيساباذ[1]، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضَّل الضَّبِّي الراوية فدخل، فمكث مليّاً ثم خرج إلينا ومعه حَمّاد والمفضَّل جميعاً وقد بان في وجه حمادٍ الانكسارُ والغم، وفي وجه المفضَّل السرور والنشاط، ثم خرج حُسين الخادم معهما، فقال: يا معشر من حضر من أهل العلم: إن أمير المؤمنين يُعْلِمكم أنه قد وصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم

---

(١) عيساباذ: عمارة عيسى، لأن باذ فارسية معناها عمارة، وهي محلة شرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي (معجم البلدان ٤/ ١٧٢).

لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضَّلَ بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدَثاً فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضَّل؛ فسألْنا عن السبب فأُخبِرنا أن المهديّ قال للمفضل لما دعا به وحدَه: إني رأيتُ زُهَيرَ بن أبي سُلْمَى افتتح قصيدته بأن قال:

دَعْ ذَا وَعَدِّ القَوْلَ فِي هَرِمِ

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول، فما الذي أمَر نفسَه بتركه؟ فقال له المفضَّل: ما سمعتُ يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنّي توهمته كان يفكّر في قول يقوله، أو يُرَوِّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال دع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعَدّ القولَ في هرم؛ فأمسك عنه. ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضَّل، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين؛ قال فكيف قال؟ فأنشده: [الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ ... أَقْوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ ومُذْ دَهْرِ[1]

قَفْرٌ بِمُنْدَفَعِ النَّحائِتِ من ... ضَفْوَى أُولاَتُ الضَّالِ والسِّدْرِ[2]

دَعْ ذَا وَعَدِّ القَوْلَ في هَرِمٍ ... خَيرِ الكُهُولِ وَسيِّدِ الحَضَرِ

قال: فأطرق المهديُّ ساعةً، ثم أقبل على حماد فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبرٌ لا بد من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البَيعة وكل يمين مُحْرِجة لَيَصْدُقَنّه عن كل ما يسأله عنه، فحلف له بما توثَّق منه. قال له: اصدُقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زُهير؛ فأقرّ له حينئذٍ أنه قائلُها؛ فأمر فيه وفي المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: قال حماد الراوية: أرسل إليّ أميرُ الكوفة فقال لي: قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك. فحُملت فقدِمت عليه وهو في الصيد،

(١) القُنَّة: أعلى الجبل. والحَجْر: موضع باليمامة (معجم البلدان ٢/ ٢٢١). أقوت الدار: خلت من ساكنيها. وحجج: جمع حجة وهي السنة.

(٢) النّحائِت: موضع فيه آبار (معجم البلدان ٥/ ٢٧٤). وضفوى: مكان دون المدينة (معجم البلدان ٣/ ٤٥٩). والضّال: السِّدْر البرّي.

فلما رجع أذِن لي، فدخلت عليه وهو في بيت منجَّد بالأَرْمَني[١] أرضُه وحيطانُه؛ فقال لي: أنت حماد الراوية؟ فقلت له: إن الناس ليقولون ذلك؛ قال: فما بلغ من روايتك؟ قلت: أروي سبعمائة قصيدة أوّلُ كلٍّ واحدة منها: بانت سعاد؛ فقال: إنها لرواية! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبَّت في الكأس ثم مزجتْه حتى رأيتُ له حَبَاباً؛ فقال: أنشدْني في مثل هذه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هي كما قال عديّ بن زيد: [الخفيف]

بَكَرَ العَاذِلونَ في وَضَحِ الصُّبْـ ـحِ يقولونَ لِي ألا تَسْتَفِيقُ
ثُمَّ ثارُوا إلى الصَّبُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ في يَمِينِهَا إبريقُ
قَدَّمتْه على سُلاَفٍ كَريحِ الـ ـمِسْكِ صَفَّى سُلافَها الرَّاوُوقُ
فَتَرَى فَوْقَها فَقاقِيعَ كالْيا قُوتِ يَجْرِي خِلالَها التَّصْفِيقُ

قال: فشربها ولم يزل يستعيدني الأبيات ويشرب عليها حتى سَكِر؛ ثم قام فتناول مِرْفَقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى: من يَشتري لحومَ البقر؟ ثم قال لي: يا حماد، دونك ما في البيت فهو لك؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلته[٢].

حدّثني هاشم بن محمد الخُزَاعي قال: حدّثنا دَمَاذ عن أبي عُبَيدة قال: قال خَلَف: كنت آخذ من حماد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأُعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها. وكان فيه حمق.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال: حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال: حدّثني المِسْوَر العَنزيّ ـ وكان من رُوَاة العرب وكان أسنَّ من سِماك بن حَرْب ـ [عن حماد][٣] قال:

دخلت على زياد فقال لي: أنشدْني؛ فقلت: مِنْ شعر مَنْ أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدتُه:

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً أجْمالُها

قال: فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيّنت الغضب في وجهه؛ وقال الحاجب للناس: ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أعُد والله إليه. قال حماد: فكنت بعد ذلك إذا

---

(١) منجد بالأرمني: هو مزين بالحرير الأرمني وهو منسوب إلى بلاد الأرمن في أرمينيا.
(٢) تأثل المال: اكتسبه.
(٣) ليست في الأصل ويقتضيها سياق الكلام.

استنشدني خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أُنشدَه لئلا يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال: قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية: لِمَ سُمّيت الراوية؟ وما بَلغ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أُنشدك على كل حرف منها مائةَ قصيدة، فقال: إنّ هذا لحفظ! هاتِ، فاندفع يُنشد حتى ملَّ الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلتَه وصرَفه.

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال حدّثني الحُسين بن محمد بن أبي طالب الدِّيناريّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار، وأمر يوسفَ بن عمر بحملي إليه على البريد. قال فقلت: لا يسألني إلا عن طرفَيْه قريش وثَقيف، فنظرت في كتابَيْ قريش وثقيف. فلما قَدِمت عليه سألني عن أشعار بَلِيّ، فأنشدته منها ما استحسنه؛ ثم قال: أنشدني في الشراب ـ وعنده وجوه من أهل الشام ـ فأنشدته: [مجزوء الخفيف]

إصْبَحِ القَوْمَ قَهْوَةً ... فِي أَبَارِيقَ تُحْتَذَىٰ
مِنْ كُمَيْتٍ مُدامَةٍ ... حَبَّذا تِلْكَ حَبَّذَا
يَتْرُكُ الأُذْنَ شِرْبُها ... أُرْجُواناً بِها خُذَا

فقال: أعدْها، فأعدتها؛ فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما دَرَيْنا متى نُقلنا؛ قال: ثم حُملنا وطُرحنا في دار الضِّيفان، فما أيقظَنا إلا حرُّ الشمس. وجعل شيخ من أهل الشأم يشتمني ويقول: فعلَ الله بك وفعل، أنت الذي صنعت بنا هذا.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حدّثنا أبو غَسّان دَمَاذ قال: حدّثني أبو عُبيدة قال: حدّثني يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمَّاح بن حكيم عن أبيه عن جدِّه الطِّرِمَّاح قال: أنشدتُ حمَّاداً الراوية في مسجد الكوفة ـ وكان أذكى الناس وأحفظَهم ـ قَوْلي:

بَانَ الخَلِيطُ بِسُحْرةٍ فَتَبَدَّدُوا

وهي ستون بيْتاً، فسكتَ ساعةً ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال: أهذه

لك؟ قلت: نعم؛ قال: ليس الأمر كما تقول، ثم ردّها عليّ كلَّها وزيادةَ عشرين بيتاً زادها فيها في وقته؛ فقلت له: ويْحك! إن هذا الشعر قلتُه منذ أيام ما اطلع عليه أحد؛ قال: قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعليّ وعليّ؛ فقلتُ: لله عليَّ حِجَّة حافياً راجِلاً إن جالستُك بعد هذا أبداً؛ فأخذ قبضةً من حصى المسجد وقال: لله عليّ بكل حصاة من هذا الحصى مائةُ حِجّة إن كنتُ أبالي؛ فقلت: أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرفت. قال دماذ: وكان أبو عبيدة والأصمعي يُنشدان بَيْتَي الطِّرِمَّاح في هذه القصيدة وهما: [الكامل]

مُجْتَابُ حُلَّةِ بُرْجِدٍ لِسَراتِهِ ... قِدَداً وأَخْلَفَ ما سَراهُ البُرجُدُ[1]
يَبْدُو وَتُضْمِرُه البِلادُ كَأَنَّهُ ... سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وكانا يقولان: هذا أشعر الناس في هذين البيتين.

(١) اجتَاب القميص: لبسه. والبرجد: كساء من صوف أحمر. أو هو كساء غليظ. وسراته: ظهره.

أخبار عَبَادل ونسبه

[اسمه ونسبه وولاؤه]

عَبَادِل بن عطيّة مولى قريش، مَكّي، مغنٍّ مُحسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونُس الكاتب وسِيَاطٌ ودَحْمان. وكان حسنَ الوجه، نظيف الثياب ظريفاً، ولم يفارق الحجاز ولا وفَد إلى ملوك بني أمية كما وفد غيرُه من طبقته ومَنْ هو فوقها. ويقال إنه كان مقبولَ الشهادة.

[غناؤه عفيف الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثنا حَمّاد عن ابن أبي جَنَاح قال: كان عَبَادِل بن عطية سَرِيّاً نبيلاً نظيفاً ساكنَ الطَّرْف حسن العِشْرة، وكان يعاشر مَشْيخةَ قريش وجِلّة أحداثها، فإذا أرادوا الغناء منه غنّى فأحسن وأطرب وكانت له صنعة كثيرة.

منها: [البسيط]

تَقُولُ يا عَمَّتَا كُفِّي جَوانِبَهُ ... وَيْلِي بَلِيتُ وأَبْلَى جِيدِيَ الشَّعَرُ

ومنها:

أمِنْ حَذَرِ البَيْنِ ما تَرْقُدُ ... وَدَمْعُكَ يَجْرِي فَمَا يَجْمُدُ

ومنها: [الكامل]

إنّي اسْتَحَيْتُكَ أَنْ أَفُوهَ بِحَاجَتِي ... فَإذا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفَهَّمِ

ومنها:

قُولاَ لِنائِلَ ما تَقْضِينَ فِي رَجُلٍ ... يَهْوَى هَواكِ وما جَنَّبتِهِ اجْتَنَبَا

ومنها : [البسيط]

عَلامَ تَرَيْنَ اليَومَ قَتْلِي لَدَيْكُمْ حَلالاً بِلا ذَنْبٍ وَقَتْلِي مُحَرَّمُ

قال: وكانوا يقولون له: ألا تُكثر الصنعة؟ فيقول: بأبي أنتم، إنما أنحتُه من صخر، ومَنْ أكْثَر أرْذل.

نسبة هذه الأصوات

صوت

أَمِنْ حَذَرِ البَيْنِ ما تَرْقُدُ ودَمْعُكَ يَجْرِي فما يَجْمُدُ
دَعانِي إلى الحَيْنِ فاقتادَنِي فُؤَادٌ إلى شِقْوَتِي يَعْمِدُ
فَلَوْ أَنَّ قَلْبِي صَحَا وَارْعَوى لكانَ لَهُ عَنكُمُ مَقْعَدُ
يَبِيدُ الزَّمانُ وَحُبِّي لَكُمْ يَزِيدُ خَبالاً وما يَنْفَدُ

الغناء لعَبادِل ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة والوسطى عن ابن المَكّيّ. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل.

ومنها :

صوت

[الكامل]

إنّي اسْتَحَيتُكَ أنْ أفُوهَ بحاجَتِي فَإذا قَرأتَ صَحِيفَتِي فَتَفَهَّم
وعليكَ عَهْدُ اللَّهِ إنْ أنبأتَهُ أهْلَ السَّيالةِ إنْ فَعَلْتَ وَإنْ لَم[1]

هكذا قال ابن هَرْمة، والمغنّون يغنّونه:

وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إنْ أخْبَرْتَهُ أحَداً وإنْ أظْهَرْتَهُ بِتَكَلُّمِ

الشعر لابن هَرْمة. والغناء لعَبادِل.

أخبرني عمّي قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجَعْفريّ عن أبيه: أنّ حسن بن حسن بن عليّ كان صاحبَ شراب، وفيه يقول ابنُ هَرْمة:

---

(١) السَّيالة: أرض هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة (معجم البلدان ٣/ ٢٩٢).

[الكامل]

إنِّي اسْتَحَيتُكَ أنْ أفُوهَ بحاجَتِي ... فَإِذَا قَرأتَ صَحِيفَتِي فَتَفَهَّم
وعليكَ عَهْدُ اللَّهِ إنْ أنبأتَهُ ... أحَداً ولا أظْهَرْتَهُ بِتَكَلُّم

قال عبد الله بن محمد الجَعْفَرِيّ: وكان ابن هرمة ـ كما حدّثني أبي ـ يشرب هو وأصحابٌ له بشَرف[1] السَّيَالة عند سَمُرَةٍ بالشَّرَف يقال لها سَمُرَةُ جرانة فنفِد شرابُهم، فكتب إلى حسن بن حسن بن عليّ يطلب منه نبيذاً، وكتب إليه بهذين البيتين. فلما قرأ حسنٌ رقعتَه قال: وأنا عليَّ عهدُ الله إن لم أُخبِر به عامل السَّيَالة، أمِنِّي يطلب الدعيُّ الفاعل نبيذاً! وكتب إلى عامل السيّالة أن يجيء إليه فجاء لوقته، فقال له: إن ابنَ هرمة وأصحابَه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة، فاخرج فخُذْهم؛ فخرج إليه العامل بأهل السّيالة، وأُنذِرَ بهم ابنُ هرْمة فسبَقهم هَرَباً، وتعلَّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم. وقال في حسن: [الوافر]

كَتَبْتُ إليكَ أَسْتَهدي نَبِيذاً ... وأُدْلِي بالجِوارِ وبالحُقُوقِ
فَخَبَّرتَ الأميرَ بذاكَ غَدْراً ... وكُنْتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ[2]

ومنها:

صوت

[الطويل]

عَلامَ تَرَيْنَ اليَوْمَ قَتْلِي لَدَيْكُمُ ... حَلالاً بلا ذَنْبٍ وَقَتْلِي مُحَرَّمُ
لَكِ النَّفسُ ما عاشَتْ وِقَاءٌ منَ الرَّدَى ... وَنَحْنُ لَكُمْ فِيمَا تَجَنَّبت أظْلَمُ

وأما صنعته في:

قَولاً لِنَائِلَ ما تَقْضِينَ في رَجُلِ

فإن الشعر لمَسْعَدة بن البَخْتِرِيّ ابن أخي المهلَّب بن أبي صُفْرة. والغناء لعَبَادِل. وقد ذكرتُ ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد، لأن نائلة التي غُنِيَت بهذا الشعر هي بنت المَيْلاء، ولها أخبار ذُكرت في موضع منفرد صَلُحتْ له.

---

(١) شرف السَّيالة: بين ملل والروحاء، على ليلة من المدينة (معجم البلدان ٣/ ٣٣٦).
(٢) المُوق: الحُمق.

ومنها: **صوت** [البسيط]

تَـقُـولُ يَـا عَـمَّـتَـا كُـفِّـي جَـوانـبَـهُ وَيْـلِـي بَـلِـيتُ وأبْـلَـى جِـيدِيَ الـشَّـعَـرُ
مِـثْـلُ الأَسَـاوِدِ قَـدْ أعـيَـا مَـواشِـطَـهُ تَـضِـلُّ فـيـه مَـدَارِيـهـا وَتَـنْـكَـسِـرُ[1]
فـإن نَـشَـرْتَ عـلـى عَـمْـدٍ ذَوائِـبَـهـا أَبْـصَـرْتَ مِـنْـهُ فَـتِـيتَ الـمِـسْـكِ يَـنْـتَـشِرُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى دَحْمان وإلى الغَرِيض وإلى عَبَادل أيضاً.

صوت
من المائة المختارة

لَيْستْ نَعَمْ مِنْكَ لِلْعافِينَ مُسْجَلَةً مِنَ التَّخَلُّقِ لَكِنْ شِيمَةٌ خُلُقُ[2]
يَـكـادُ بـابُـكَ مِـنْ عِـلْـمٍ بِـصَـاحِـبِـه مِـنْ دُونِ بَـوَّابِـهِ لِـلـنـاسِ يَـنْـدلِـقُ[3]

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطُرَيح. وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنه لابن هَرْمة. والغناء في اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر في مجراها. فمن روى هذه الأبيات لابن هَرْمَة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك؛ ومن ذكر أنها لطُرَيح ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها الوليدَ بن يزيد. والصحيح من القولين أن البيت الأوّل من البيتين لطُرَيح والثاني لابن هَرْمة. فبيت طُرَيح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة، يقول في تشبيبها: [البسيط]

تَقُولُ وَالعِيسُ قَدْ شُدَّتْ بِأَرْحُلِها أَلْحَقَّ أَنَّكَ مِنّا اليومَ مُنْطَلِقُ؟
قُلْتُ نَعَمْ فاكْظِمِي قَالَتْ وما جَلَدِي ولا أُظُنُّ اجْتِماعاً حِينَ نَفْتَرِقُ
فَقُلْتُ إنْ أخِيَ لاَ أُطُولْ بِعادَكُمُ وَكَيْفَ وَالقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَكُمْ غَلَقُ[4]

(١) الأساود: الحيات السود، واحدها أسود. والمداري: جمع مدرى، وهو المشط.
(٢) مُسْجَلَة: مُرْسَلة.
(٣) اندلاق الباب: انفتاحه سريعاً.
(٤) غلق الرهن: استحقه المرتهن.

فَـارقْـتُـهـا لا فُـؤادِي مِـنْ تَـذَكُّـرِهـا سَالِي الهُمُوم ولا حَبْلِي لَها خَلَقُ
فَاضَتْ علَى إثْرِهِمْ عَيْنَاكَ دَمْعُهُما كَما تَتَابعَ يَجْرِي اللُّؤلُؤُ النَّسَقُ(١)

صوت

فاسْتَبْقِ عَيْنَكَ لا يُودِي البُكاءُ بها وَاكْفُفْ بَوادِرَ دَمْعٍ مِنْكَ تَسْتَبِقُ
لَيْسَ الشُّؤونُ وإنْ جادَتْ بِباقِيَةٍ ولا الجُفُونُ على هذا ولا الحَدَقُ

ـ لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو ـ يقول فيها في مدح الوليد:

ومَا نَعَمْ مِنْكَ لِلْعافِينَ مُسْجَلَةٌ مِنَ التخلُّقِ لٰكِنْ شِيمَةٌ خُلُقُ
سَاهمْتَ فيها وفي لا فاخْتَصَصْتَ بها وطارَ قَومٌ بِلاَ وَالذَّمُّ فانْطَلَقُوا
قَومٌ هُمُ شَرَفُ الدُّنيا وَسُودَدُها صَفْوٌ على النّاسِ لم يُخْلَط بهم رَنَقُ(٢)
إنْ حَارَبُوا وَضَعُوا أو سالَمُوا رَفَعُوا أو عاقَدُوا ضَمِنُوا أوْ حَدَّثُوا صَدَقُوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها. ومِنْ أبي أحمد رحمه الله سمِعْنا ذلك أجمع. ولكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق. ولعله لم يتفقّد ذلك، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله.

[مدح وتعريض]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدّثني به وكيع قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ـ وخبره أتم ـ قال: قال العبّاس بن الوليد ابن عبد الملك ـ وكان بخيلاً لا يحبّ أن يُعطِي أحداً شيئاً ـ ما بالُ الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني! فبلغ ذلك ابنَ هَرْمة، وكان قد مدحه فلم يُثِبْهُ، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان: [البسيط]

وَمُعْجَبٍ بِمَديحِ الشِّعْرِ يمنعُهُ من المديحِ ثوابُ المدحِ والشَّفَقُ

(١) النَّسق: المُنَظّم.
(٢) الرَّنَق: الكدر.

يـا آبِـيَ الـمـدح مِـنْ قَـوْلٍ يُـحـبِّـرُهُ ... ذُو نِيقَةٍ في حَواشِي شعرِهِ أَنَقُ[١]

إنَّكَ وَالـمـدحَ كـالـعَـذْراءِ يُـعْـجِـبُـهـا ... مسُّ الرجال ويَثْني قَلْبَها الفَرَقُ[٢]

لـكـنْ بِـمَـدْيَـنَ من مفضى سُوَيمرةٍ ... مَـنْ لا يُـذَمّ ولا يُـشْـنَـا لـهُ خُـلُـقُ[٣]

أهـلُ الـمـدائـحِ تـأتـيـهِ فـتـمـدحُـهُ ... والـمـادِحـونَ إذَا قـالُـوا لـهُ صَـدَقُـوا

- يعني عبد الواحد بن سليمان -.

لا يـسـتـقـرُّ ولا تَـخـفَـى عَـلامـتُـهُ ... إذا القَنَا شالَ في أطرافِها الحَرَقُ[٤]

في يـومٍ لا مـالَ عـنـدَ الـمـرءِ يَـنْـفَـعُـهُ ... إلاَّ الـسِّـنَـانُ وإلاَّ الـرِّمْـحُ والـدَّرَقُ[٥]

يَطعَنُ بـالـرُّمْـحِ أحيـانـاً ويَـضْـرِبُـهُـمْ ... بِـالـسَّـيْـفِ ثُـمَّ يُـدَانِـيـهِـم فـيَـعْـتَـنِـقُ

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زُهَير ومن مُهلهل جميعاً، فإنهما سبقا إليه. قال مُهلهل وهو أقدمهما: [الخفيف]

أَنْـبَـضُـوا مَـعْـجِـسَ الـقِـسِـيِّ وأبـرقْـ ... ـنَـا كـمـا تُـوعِـدُ الـفُـحُـولُ الـفُـحُـولا[٦]

يعني أنهم لما أخذوا القِسيّ ليرموهم من بعيد انتضَوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها.

وقال زهير - وهو أشرح من الأوّل -: [البسيط]

يَطْعَنُهُمْ ما ارتَمَوْا حَتَّى إذا اطَّعَنُوا ... ضـارَبَ حَـتَّـى إذا مـا ضَـارَبُـوا اعْـتَـنَـقـا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره.

رجع إلى شعر ابن هرمة

يـكـادُ بـابُـكَ مِـنْ جـودٍ ومِـنْ كَـرَمٍ ... مِـنْ دونِ بَـوّابِـهِ لـلـنَّـاسِ يَـنْـدلِـقُ

(١) يا آبي المدح: يا رافضه. والنِّيقة: اسم من التنوق. يقال: تنوق فلان في أموره إذا تجود وبالغ. والأنَقُ: الجمال.

(٢) الفَرَق: الخوف، الفزع.

(٣) مدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام، وبها استسقى موسى عليه السلام لبنات شعيب (معجم البلدان ٥/ ٧٧). وسويمرة: موضع في نواحي المدينة (معجم البلدان ٣/ ٢٨٨).

(٤) شَال: ارتفع. والحَرَق: لَهَبُ النار.

(٥) الدَّرَق: جمع درقة، وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب.

(٦) أنبَضَ الرامي القوس: جذب وترها لتصوت. والمَعْجِس: المقبض وأَبْرَق الرَّجُل: لمع بسيفه.

ـ ويُروى: «إذا أطاف به الجادون». و«العافون» أيضاً. ويروى: «ينبلق» ـ:

إنِّـي لأَطْـوِي رِجَـالاً أنْ أزُورَهُـمُ وفِـيـهِـمُ عَـكَـرُ الأَنْـعـامِ وَالـوَرَقُ[1]

طَيَّ الثِّيابِ الَّتِي لَوْ كُشِّفَتْ وُجِدَتْ فيها المعاوِزُ في التَّفْتِيشِ وَالخِرَقُ[2]

وَأَتْـرُكُ الـثَّـوْبَ يَـوْمـاً وَهْـوَ ذو سَـعَـةٍ وَأَلْبَسُ الثَّوْبَ وَهْوَ الضَّيِّقُ الخَلَقُ

إكْـرامَ نَـفْـسِـي وَأَنِّـي لا يُـوافِـقُـنِـي وَلَوْ ظَمِئْتُ فَحُمْتُ المَشْرَبُ الرَّنِقُ[3]

قال هارون بن الزيات في خبره: فلما قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أنشدها عبدَ الواحد بن سليمان ـ وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز ـ فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشيّة من ثيابه، وحَمَله على فرس وأعطاه ثلاثين لَقْحة[4] ومائةَ شاة، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البُرّ والتمر، فأخبره به؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسَنَةٍ، وقال له: هذا لك عليّ ما دمتُ ودمتَ في الدنيا، واقتطعه لنفسه وأنِس به، وقال له: لستُ بمُحْوِجِكَ إلى غيري أبداً. فلما عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدّى للوالي مكانَه وامتدحه. ولم يلبث أن ولي عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه الخبرُ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه، حتى تحمل عليه بعبد الله بن الحسن بن الحسن فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعْلب عن الرِّيَاشيّ ـ وخبره أتم ـ قال الرِّيَاشيّ: حدّثني أبو سَلَمة الغفارِيّ قال: قال ابن رُبَيْح راوية ابن هرمة قال: حدّثني ابن هرمة قال:

أوّل من رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ عليّ ألاّ أمدح أحداً غيره، وكان والياً على المدينة، وكان لا يدع بِرِّي وصلتي والقيامَ بمؤونتي. فلم ينشَب أن عُزل ووُلّي غيرهُ مكانَه، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب، فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يَهَبُ لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت، ثم قَدِم عبد الواحد المدينة فأُخبر أنّي مدحت الذي

(١) العَكَر: جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل. والوَرَق: المال من الإبل والغنم.
(٢) المَعاوِز: خُلْقان الثياب المبتذلة، واحدها معوز.
(٣) الرَّنق: الكَدِر.
(٤) اللَّقْحَة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

عُزِلَ بِه، فأمر بي فَحُجِبْتُ عنه، ورُمْتُ الدخولَ عليه فمُنِعتُ، فلم أدع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يُعيدَني إلى منزلتي عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتني الحيل أتيت عبدَ الله بن الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه وعليهم ـ فقلت: يابن رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألاّ أمدحَ غيرَه، فأعطيتُه بذلك عهداً، ثم دعاني الشَّرَ، والكَدّ إلى أن مدحت الوالي بعده. وقصصت عليه قصتي وسألته أن يشفع لي، فركب معي. فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه، ثم قال: أحاجةٌ غَدَتْ بِكَ أصلحك الله؟ قال نعم؛ قال: كل حاجة لك مقضيّة إلا ابن هرمة، فقال له: إن رأيتَ ألا تستثني في حاجتي فافعل؛ قال: قد فعلتُ، قال: فحاجتي ابن هرمة؛ قال: قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلته؛ قال: فتأذن له أن يُنشدك، قال: تُعفيني من هذه؛ قال: أسألك أن تفعل؛ قال ائتوا به؛ فدخلت عليه وأنشدته قولي فيه: [الوافر]

وَجَدْنَا غالِباً كانَتْ جَناحاً ... وكانَ أَبُوكَ قادِمَةَ الجَناحِ

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه[1] ثم وثب مُغضباً، وتجوّزت في الإنشاد ثم لحِقتُه فقلت له: جزاك الله خيراً يابن رسول الله؛ فقال: ولكنْ لا جزاك الله خيراً يا ماصّ بَظْر أمه أتقول لابن مروان:

وكَانَ أَبُوكَ قادِمَةَ الجَنَاحِ

بحضرتي وأنا ابن رسول الله ﷺ ـ وابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام! فقلت: جعلني الله فداك، إني قلت قولاً أخدَعُه به طلباً لدنياه، ووالله ما قِسْت بكم أحداً قطُّ، أفلم تسمعني قد قلتُ فيها:

وَبَعْضُ القَوْلِ يَذْهَبُ بِالرِّياحِ

فضحك عبد الله وقال: قاتلك الله، ما أظرفَك!.

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام

---

(١) الرِّز: الصوت.

ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً. وأوّلُها: [الوافر]

صَرَمْتَ حَبائِلاً مِنْ حُبِّ سَلْمَى ... لِهِنْدٍ ما عَمَدْتَ لِمُسْتَراحِ
فَإِنَّكَ إنْ تُقِمْ لا تَلْقَ هِنْداً ... وَإنْ تَرْحَلْ فَقَلْبُكَ غَيْرُ صَاحِي
يَظَلُّ نَهَارَهُ يَهْذِي بِهِنْدٍ ... ويأرَقُ لَيْلَهُ حَتَّى الصَّباحِ
أعَبْدَ الواحِدِ المَحْمُودَ إنِّي ... أغَصُّ حِذَارَ سُخْطِكَ بالقَراحِ(١)
فَشُلَّتْ رَاحَتَايَ وَجالَ مُهْرِي ... فَألْقانِي بِمُشْتَجَرِ الرِّماحِ
وَأقْعَدَنِي الزَّمانُ فَبِتُّ صِفْراً ... مِنَ المالِ المُعزَّبِ وَالمُراحِ
إذا فَخَّمْتُ غَيْرَكَ في ثَنائِي ... ونُضْحِي في المَغيبَةِ وامْتداحِي
كأنَّ قَصائِدِي لَكَ فاصْطَنِعْنِي ... كَرائِمُ قَدْ عُضِلْنَ عَنِ النِّكاحِ(٢)
فَإنْ أكُ قَدْ هَفَوْتُ إلى أمِيرٍ ... فَعَنْ غَيْرِ التَّطَوُّعِ وَالسَّماحِ
وَلٰكِنْ سَقْطَةٌ عِيبَتْ عَلَيْنا ... وَبَعْضُ القَوْلِ يَذْهَبُ في الرِّياحِ
لَعَمْرُكَ إنَّنِي وَبَنِي عَدِيٍّ ... وَمَنْ يَهْوَى رَشَادِي أوْ صَلاحِي
إذا لَمْ تَرْضَ عَنِّي أوْ تَصِلْنِي ... لَفِي حَيْنٍ أُعالِجُهُ مُتاحِ
وَإنَّكَ إنْ حَطَطْتُ إلَيْكَ رَحْلِي ... بِغَرْبِيِّ الشَّرَاةِ لَذُو ارْتِياحِ(٣)
هَشَشْتَ لِحاجَةٍ وَوَعَدْتَ أُخْرَى ... وَلَمْ تَبْخَلْ بِناجِزَةِ السَّراحِ
وَجَدْنَا غالِباً خُلِقَتْ جَناحاً ... وكانَ أبُوكَ قادِمَةَ الجَناحِ
إذا جَعَلَ البَخِيلُ البُخْلَ تُرْساً ... وكانَ سِلاحَهُ دونَ السِّلاحِ
فإنَّ سِلاحَكَ المَعْرُوفُ حَتَّى ... تَفُوزَ بِعِرْضٍ ذِي شِيَمٍ صِحاحِ

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال: حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال:

قلت لابن هرمة: أتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به غيره فتقول فيه هذا البيت:

وَجَدْنا غالِباً كانَتْ جَناحاً ... وكانَ أبُوكَ قادِمَةَ الجَناحِ

---

(١) القَراح: الماء الصافي.
(٢) عضَّل عليه: ضيّق عليه.
(٣) الشَراة: صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول عليه الصلاة والسلام (معجم البلدان ٣/ ٣٣٢).

ثم تقول فيها:

أَعَبْدَ الواحِدِ المَيْمُونَ إنِّي أَغَصُّ حِذَارَ سُخْطِكَ بِالقَراحِ

فبأي شيء استوجب ذلك منك؟ فقال: إني أُخبرك بالقصة لتعذرني: أصابتني أزمة بالمدينة فاستنهضتْني بنتُ عمي للخروج؛ فقلت لها: ويحك! إنه ليس عندي ما يُقلّ جناحي؛ فقالت: أنا أُنهضك بما أمكنني، وكانت عندي نابٌ[1] لي فنهضتُ عليها نُهجِّد[2] النوّام ونؤذي السُّمَّار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة! حتى دَفَعتُ إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فقمتُ فدنوت منه وسلّمتُ عليه، فقال لي: أبو إسحاق! أهلاً ومرحباً؛ فقلت لَبّيك، بأبي أنت وأمي! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه؛ فقال: أمَا آن لك أن تزورنا؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق، فما وراءك؟ قلت: لا تسلني ـ بأبي أنت وأمي ـ فإن الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيركَ؛ فقال: لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحب إن شاء الله. فوالله إني لأُخاطبه فإذا بثلاثة فِتْية قد خرجوا كأنهم الأَشْطان[3] فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبَر منهم فَهَمس إليه بشيء دوني ودون أخويه؛ فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى، فلم يلبَثْ أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[4] يحمل عِبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ، ثم همس إليه ثانيةً فعاد؛ وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فضرب به بين يديّ. فقال لي عبد الواحد: ادْنُ يا أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سَلَلنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا، ودفع إليّ ألفَ دينار، وقال لي: قُمْ فارحل فأَغِثْ مَنْ وراءك؛ فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتي ضِقتُ؛ فقال لي: تعال، ما أرى هذه مُبلغتَك، يا غلامُ، قَدِّم له جملي فلاناً. فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدَّ سروراً منِّي بكل ما نِلْته، فهل تلومني أن أَغَصّ حِذَارَ سخط هذا بالقَراح! ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتاً واحداً.

---

(١) النّاب: الناقة المُسِنّة.

(٢) نُهجِّد: نوقظ.

(٣) الأَشْطان: جمع شطن وهو الحبل.

(٤) ضابِط: قوي شديد.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني محمد بن عمر الجُرجاني، قال: حدّثني عثمان بن حَفْص الثَّقَفي قال: حدّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ـ صلّى الله عليه ـ قال: دخلتَ مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان، فلما اجتمع الناس قام ابن هَرمة فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك؛ شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد؛ قال هاتِ، فأنشده قوله:

سَرَى ثوبَه عَنكَ الصِّبا المتخايلُ[1]

حتى انتهى إلى قوله: [الطويل]

لهُ لَحظَاتٌ عَنْ حِفَافَيْ سَرِيرِهِ إذا كَرَّهَا فِيهَا عِقابٌ ونائِلُ[2]

فأُمُّ الّذِي آمَنْتَ آمِنَةُ الرَّدَى وَأُمُّ الّذِي خَوَّفتَ بالثُّكْلِ ثَاكِلُ

فقال له المنصور: أما لقد رأيتُكَ في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه: [الوافر]

وَجَدْنا غالِباً كانَتْ جَناحاً وكانَ أبُوكَ قادِمَةَ الجَنَاحِ

قال: فقُطع بابنِ هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار؛ فقال له المنصور: أنت رجل شاعر طالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار. فقام إليه الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابن هرمة رجل مِنْفاق مِتْلاف لا يُليق[3] شيئاً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجْرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتبَ بذلك إلى صاحب الجاري أن يُجريَها عليهم فعل؛ فقال: افعلوا ذلك به. قال: وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مُغضباً عليه لقوله يمدح عبد الله بن حسن: [البسيط]

ما غَيَّرَتْ وَجْهَهُ أمٌّ مُهَجَّنَةٌ إذا القَتَامُ تَغَشَّى أوْجُهَ الهُجُنِ

حدّثني يحيى بن علي بن يحيى، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجَحْظة قالا:

---

(١) سَرى الثوب: كشفه.
(٢) حِفاف الشيء: جانبه.
(٣) يُليق: يُمسِك.

حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخران: دخل ابن هرمة على المنصور وقال: يا أمير المؤمنين، إني قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله؛ قال: وما عسى أن تقول فيَّ بعد قول كعب الأشقريّ في المهلّب: [الوافر]

بَـراكَ الله حِـيـن بَـراكَ بَـحْـراً ... وَفَـجَّـرَ مِـنْـكَ أنْـهـاراً غِـزارا

فقال له: قد قلتُ أحسنَ من هذا، قال: هات، فأنشده قولَه: [الطويل]

لـهُ لَـحَـظاتٌ عـنْ حِـفَـافَـيْ سَـرِيـرِهِ ... إذا كَـرَّهَـا فـيـهـا عِـقـابٌ ونـائِـلُ

قال: فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقال له المهديّ: يا أمير المؤمنين، قد تكلّف في سفره إليك نحوَها؛ فقال له المنصور: يا بُنيّ، إني قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك، وهبتُ له نفسَه، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان:

[المتقارب]

إذا قِـيـلَ مَـنْ خَـيْـرُ مَـنْ يُـرتَـجَـى ... لِـمُـعْـتَـرِّ فِـهْـرٍ وَمُـحْـتـاجِـهـا[1]

وَمَـنْ يُـعْـجِـلِ الـخَـيْـلَ يَـوْمَ الـوَغَـى ... بـإلْـجـامِـهـا قَـبْـلَ إسْـراجِـهـا

أشَـارَتْ نِـسـاءُ بَـنِـي غـالِـبٍ ... إلَـيْـكَ بِـهِ قَـبْـلَ أزْواجِـهـا

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، وأولُها:

أجَـارَتَـنَـا رَوِّحِـي نَـغْـمَـةً ... عَـلـى هـائِـمِ الـنَّـفْـسِ مُـهْـتـاجِـهـا

ولا خَـيْـرَ فِـي وُدِّ مُـسْـتَـكْـرِهٍ ... ولاَ حـاجَـةٍ دُونَ إنْـضـاجِـهـا

ـ يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان ـ:

كـأنَّ قُـتُـودِي عَـلَـى خـاضِـبٍ ... زَفُـوفِ الـعَـشِـيّـاتِ هَـدَّاجِـهـا[2]

إلَـى مَـلِـكٍ لاَ إلَـى سُـوقَـةٍ ... كَـسَـتْـهُ الـمُـلُـوكُ ذُرَا تـاجِـهَـا

تَـحُـلُّ الـوُفُـودُ بِـأبْـوَابِـهِ ... فـتَـلْـقَـى الغِـنَـى قَـبْـلَ إرتـاجِـهَـا[3]

بِـقَـرّاعِ أبْـوابِ دُورِ الـمـلـو ... كِ عِـنْـدَ الـتَّـحِـيَّـةِ وَلاَّجِـهَـا

إلَـى دارِ ذِي حَـسَـبٍ مـاجِـدٍ ... حَـمُـولِ الـمَـغـارِمِ فَـرّاجِـهـا

---

(١) المُغتر: الفقير المتعرض للمعروف من غير أن يسأل.

(٢) القُتود: جمع قتد وهو خشب الرّحل، والخاضب: ذَكَر النعام. وزَفوف: حسن المشي سريعه. والهَدّاج: الذي في مشيه ارتعاش.

(٣) إرتاجُها: إغلاقها.

رَكُودِ الجِفَانِ غَدَاةَ الصَّبَا ... وَيَوْمَ الشَّمَالِ وإرهاجِهَا[١]
وَقَفْتُ بِمَذْحِيهِ عِنْدَ الجِمَا ... رِ أُنْشِدُهُ بَيْنَ حُجَّاجِهَا[٢]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرد قال: حدّثني أبو إسحاق طلحةُ ابن عبد الله الطلحي قال: حدّثني محمد بن سليمان بن المنصور قال: وجّه المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألفَ دينار وخِلعة، ووصفه له وقال: امض إليه، فإنك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد، فانتسبْ له إلى بني أمية أو مواليهم، وسَلْه أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التي يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان: [الوافر]

وَجَدْنَا غَالِباً كَانَتْ جَنَاحاً ... وكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةَ الجَنَاحِ

فإذا أَنْشَدَكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقَه وجئني برأسه، وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة، وما أُراه يُنشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية. قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد؛ فقال: ما قلت هذه القصيدة قطُّ ولا أعرفها وإنما نحلها إياي مَنْ يُعاديني، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك أحسنَ منها؛ قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده:

سَرَى ثَوْبَه عنكَ الصِّبا المُتَخايِلُ

حتى أتى على آخرها، ثم قال له: هاتِ ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ؛ فقال: أيَّ شيء تقول يا هذا وأيّ شيء دَفع إليّ؟ فقال: دَعْ ذا عنك، فوالله ما بعثك إلا أمير المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إليّ، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربتَ عنقي وحملتَ رأسي إليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعتَ إلي ما حمّلك إياه، فضحك الرسول ثم قال: صدقتَ لعمري؛ ودفع إليه الألف الدينار، والخلعة. فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما.

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدّثنا الزبير بن بَكَّار قال: حدّثنا عمّي عن جدّي قال: لمّا أنشد ابنُ هرمة المنصور قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم؛ فكلّمه فيه المهديّ واستقلّها؛ فقال يا بُني، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو

(١) الرّكود من الجفان: الثقيل المملوء. والإرهاج: الإمطار.

(٢) الجِمَار: اسم موضع بمنى وهو موضع الجمرات الثلاث (معجم البلدان ٢/ ١٥٩).

واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده: [الوافر]

وَجَدْنا غالِباً كانَتْ جناحاً وكانَ أَبُوكَ قادِمَةَ الجَناحِ

لاستكثرتَ له ما استقللتَه، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول رِبح كثير. والله إني يا بُني ما هممت له منذُ يومئذٍ بخير فذكرتُ قولَه إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهُمَّ بقتله ثم أعفو عنه. فأمسك المهديّ.

ومما يُغنّى فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات. على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره.

صوت

[الوافر]

وَلَمّا أَنْ دنَا مِنّا ارْتِحالٌ وَقُرِّبَ ناجِياتُ السَّيْرِ كُومُ(١)

تَحاسَر واضِحاتُ اللَّوْنِ زُهْرٌ عَلَى دِيباجِ أَوْجُهِهَا النَّعِيمُ

أَتَيْنَ مُوَدِّعاتٍ وَالمَطَايَا لَدَى أَكْوَارِهَا خُوصٌ هُجُومُ(٢)

فَكَمْ مِنْ حُرَّةٍ بَيْنَ المُنَقَّى إِلَى أُحُدٍ إِلَى مَا حازَ رِيمُ(٣)

ويروى:

فَكَمْ بَيْنَ الأقارِعِ فالمُنَقَّى(٤)

وهو أجود.

إِلى الجَمّاءِ مِنْ خَدٍّ أَسِيلٍ نَقِيِّ اللَّوْنِ لَيسَ به كُلُومُ(٥)

---

(١) الناجيات: النوق السريعة تنجو بمن ركبها. والكوم: النوق الضخمة السنام.

(٢) الأكوار: جمع كور. وهي الجماعة الكثيرة. والخوص: ضيق العين وصغرها وغورها. وهجمت العين هجوماً: غارت.

(٣) المُنَقَّى: طريق بين أُحُد والمدينة (معجم البلدان ٥/ ٢١٥). وريم: وادٍ لمزينة قرب المدينة (انظر لسان العرب ٣/ ٤٤١).

(٤) الأقرع: جبل بين مكة والمدينة وبقربه جبل الأشعر (معجم البلدان ١/ ٢٣٦)، وقد جاء بصيغة الجمع الأقارع، وهو جائز للضرورة الشعرية.

(٥) الجمّاء: جُبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف (معجم البلدان ٢/ ١٥٨). والكُلُوم: الجروح.

كَأنّي مِنْ تَذَكُّرِ ما أُلاقي إذا ما أظْلَمَ اللَّيْلُ البَهِيمُ
سَليمٌ مَلَّ مِنْهُ أقْرَبُوهُ وَأسْلَمَهُ المُداوي وَالحَميمُ

ذكر الزُّبير بن بَكّار أن هذا الشعر كله لأبي المِنْهال نُفَيلة الأشجعي. قال: وسمعتُ بعض أصحابنا يقول: إنه لِمَعْمَر بن العَنْبر الهُذَلِيّ. والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان مخفوضة الميم، ولمّا غُنِّي فيها وفي أبيات نُفَيْلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيّر إلى ما أوجب رفعها. فأما ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها :[الوافر]

أجارَتَنا بِذِي نَفَرٍ أقِيمي فما أَبْكِي عَلَى الدَّهْرِ الذَّمِيمِ[1]
أقِيمِي وَجْهَ عامِكِ ثُم سِيرِي بلا واهِي الجِوارِ ولا مُلِيمِ
فَكَمْ بَيْنَ الأقارعِ فالمُنَقَّى إلى أُحُدٍ إلى أكْنافِ رِيمِ
إلى الجَمّاءِ مِنْ خَدٍّ أسِيلٍ نَقِيِّ اللَّوْنِ لَيْسَ بِذِي كُلُومِ
وَمِنْ عَيْنٍ مُكَحَّلَةِ الأماقِي بِلا كُحْلٍ وَمِنْ كَشْحٍ هَضِيمِ
أرِقْتُ وَغابَ عَنِّي مَنْ يَلُومُ وَلٰكِنْ لَمْ أنَمْ أنا لِلْهُمُومِ
أرِقْتُ وَشَفَّنِي وَجَعٌ بِقَلْبِي لِزَيْنَبَ أوْ أُمَيْمَةَ أوْ رَعُومِ
أُقاسِي لَيْلَةً كالحَوْلِ حَتَّى تَبَدَّى الصُّبْحُ مُنْقَطِعَ البَرِيمِ[2]
كَأنَّ الصُّبحَ أبْلَقُ في حُجُولٍ يَشُبُّ وَيَتَّقِي ضَرْبَ الشَّكِيمِ[3]
رَأيْتُ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَتْ عَلَيْنا رَوائِعُهُ بِحُجَّةِ مُسْتَقِيمِ
إذا ناكَرْتُهُ ناكَرْتُ مِنْهُ خُصُومَةَ لا ألَدَّ ولا ظَلُومِ[4]
وَوَدَّعَنِي الشَّبابُ فَصِرْتُ مِنْهُ كَراضٍ بالصَّغِيرِ مِنَ العَظِيمِ
فَدَعْ ما لا يَرُدُّ عَلَيْكَ شَيْئاً مِنَ الجاراتِ أو دِمَنِ الرُّسُومِ[5]
وَقُلْ قَولاً تُطَبِّقُ مِفْصَلَيْهِ بِمِدْحَةِ صاحِبِ الرَّأيِ الصَّرُومِ[6]
لِعَبْدِ الواحِدِ الفَلْجُ المُعَلَّى عَلَى خُلُقِ النَّفُورَةِ والخُصُومِ[7]

---

(١) ذو نَفَر: موضع على ثلاثة أميال من السليلة بينها وبين الربذة (معجم البلدان ٥/ ٢٩٥).
(٢) البَرِيم: ضوء الشمس مع بقية سواد الليل.
(٣) الشكيمة من اللّجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس.
(٤) ناكره: قاتله.
(٥) الدِمَن: جمع الدمنة، وهي أثر الدار. والرسوم: الدارس من المنازل.
(٦) تطبق مفصلية: تصيب فيه الحجة. والصَّروم: القاطع.
(٧) الفَلْج: الظَّفَر والفوز. ونَفورة الرجل: نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه.

دَعَتْهُ المَكْرُماتُ فناولَتْهُ خِطَامَ المجدِ في سِنِّ الفَطِيمِ

وهي طويلة. فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعةُ أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة؛ وإنما غُيِّرت حتى صارت مرفوعةً، فاتّفقت الأبياتُ وغُنّي فيها. وأما أبيات نُفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له. ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه: [الوافر]

يُضِيءُ دُجَى الظلام إذا تَبَدَّى كَضَوْءِ الفَجْرِ مَنْظَرُهُ وَسِيمُ
وَقَائِلَةٍ وَمُثْنِيَةٍ عَلَيْنا تَقُولُ ومَا لَها فِينَا حَمِيمُ
وَأُخْرَى لُبُّها مَعَنا وَلَكِنْ تَصَبَّرُ وَهِيَ واجِمَةٌ كَظُومُ
تَعُدُّ لنَا اللَّيالِي تَحْتَصِيهَا مَتَى هُوَ حائِنٌ مِنْهُ قُدُومُ
مَتَى تَرَ غَفْلَةَ الوَاشِينَ عَنْهَا تَجُدْ بِدُمُوعِها العَيْنُ السَّجُومُ

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس. وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابِصي. وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج.

وهذا الوابصيّ هو الصَّلْت بن العاصي بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. كان تنصَّر ولحق ببلاد الروم، لأن عمر بن عبد العزيز ـ فيما ذُكر ـ حدّه[1] في الخمر، وهو أمير الحجاز، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصَّر هناك، ومات هنالك نصرانياً.

فأخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهير قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عبد الله بن عبد العزيز قال: أخبرني ابن العلاء ـ أظنه أبا عمرو أو أخاه ـ عن جُوَيرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيديّ. في خبره: إن إسماعيل حدّث: أن عمر بن عبد العزيز بَعث في الفِداء. وقال عمر بن شَبّة: إن إسماعيل حدّث قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدّثه قال: بينا أنا أَجُول في القسطنطينية إذ سمعت رجلاً يغنِّي بلسان فَصيح وصوت شَجٍ:

(١) الحد في الشرع: عقوبة مقررة لأجل حق الله سبحانه وتعالى.

[الوافر]

فَكَمْ مِنْ حُرَّةٍ بَيْنَ المُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلَى جَنَبَاتِ رِيمِ

فسمعتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه. فلما سمعت الغناء وحُسنَه، لم أدر أهو كذلك حَسَنٌ، أم لغربته وغربة العربية في ذلك الموضع. فدنوت من الصوت، فلما قَرُبْتُ منه إذا هو في غرفة، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فقمت على باب الغرفة، فإذا رجل مُسْتلقٍ على قَفَاه يغنِّي هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى، فإذا فَرغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء. ففعل ذلك مراراً، فقلت: السلام عليكم؛ فوثب وردّ السلام؛ فقلت: أبشِر فقد فَكَّ الله أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء الأسارى. ثم سألته: من أنت؟ فقال: أنا الوابصيّ، أُخذْتُ فعُذِّبتُ حتى دخلت في دينهم؛ فقلت له: أنت والله أحبُّ مَنْ أفتديه إلى أمير المؤمنين وإليّ إن لم تكن دخلتَ في الكفر؛ فقال: قد والله دخلت فيه؛ فقلت: أَنشدك الله إلاّ أسلمتَ؛ فقال: أأُسلم وهذان ابناي وقد تزوجت امرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلتُ المدينة قيل لي يا نصرانيّ وقيل مثل ذلك لولديّ وأمهما! لا والله لا أفعل. فقلت له: قد كنتَ قارئاً للقرآن فما بقي معك منه؟ قال: لا شيء إلا هذه الآية: **﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِيْن كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾**[1] قال: فعاودته وقلت له: إنك لا تُعَيَّر بهذا؛ فقال: وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير؟ فقلت: سبحان الله! أمَا تقرأ: **﴿إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمَانِ﴾**[2] فجعل يُعيد عليّ قولَه: فكيف بما فعلت! ولم يجبني إلى الرجوع. قال: فرفع عمر يده وقال: اللهم لا تمتني حتى تمكنني منه. قال: فوالله ما زلت راجياً لإجابة دعوة عمرَ فيه. قال جويرية في حديثه: وقد رأيت أخا الوابصيّ بالمدينة.

وقال يعقوب بن السِّكِّيت في هذا الخبر، أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أُنسيت اسمَه قال: نزلنا في ظلّ حصن من الحصون التي للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن: [الوافر]

فَكَمْ بَيْنَ الأقارِعِ فالمُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى مِيقَاتِ رِيمِ

(١) سورة الحجر، الآية: ٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

إلى الزَّوْراءِ من ثغرٍ نقيٍّ عَوارِضُهُ وَمِنْ دَلٍّ رَخِيمِ[1]
ومِنْ عَيْنٍ مُكَحَّلةِ الأَماقِي بلا كُحْلٍ ومن كَشْحٍ هَضيمِ

وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكي فناديته: أيها المنشد، فأشرف فتًى كأحسن الناس. فقلت: من الرجل وما قصتك؟ فقال: أنا رجل من الغُزاة من العرب نزلتُ مكانكَ هذا، فأشرفتْ عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها؛ فقالت: إن دخلتَ في ديني لم أُخالفك؛ فغلب عليّ الشيطان فدخلت في دينها، فأنا كما ترى. فقلت: أكنتَ تقرأ القرآن؟ فقال: إي والله لقد حفظته. قلت: فما تحفظ منه اليوم؟ قال: لا شيء إلا قوله عزّ وجل: ﴿رُبَّما يَوَدُّ الَّذِين كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِين﴾ قلت فهل لك أن نعطيَهم فداءك وتخرج؟ قال: ففكّر ساعة ثم قال: انطلقْ صَحِبك الله.

ومما في الأخبار من شعر ابن هرمة

صوت

من المائة المختارة [البسيط]

في حاضِرٍ لَجِبٍ بالليلِ سامِرُهُ فيه الصَّواهِلُ والرّايات والعَكَرُ[2]
وَخُرَّدٌ كالمَهَا حُورٌ مَدامِعُها كأنَّها بَيْنَ كُثْبانِ النَّقا البَقَرُ[3]

الشعر لابن هرمة. والغناء في اللحن المختار لحُنين، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال إسحاق: وفيه لأبي هَمْهَمَة لحن من الثقيل الأوّل أيضاً. وأبو هَمْهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة. ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبراً فأذكره.

صوت

من المائة المختارة [الطويل]

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُلْ إنْ تَمَلِّينَا فَما مَلَّكِ القَلْبُ
وَقُلْ فِي تَجَنِّيهَا لَكَ الذَّنْبَ: إنَّما عِتابُكَ مَنْ عاتَبْتَ فِيمَا لَهُ عَتْبُ

(١) الزّوراء: موضع بالمدينة، وقيل: هو سوقها (معجم البلدان ٣/١٥٦).
(٢) الحاضِر: الحي العظيم. والسامر: المتسامرون.
(٣) الخريدة الخُرّد: مفردها البكر.

الشعر لنُصيْب. والغناء في اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشاميّ ودَنَانِيرَ. وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشاميّ.

وقد تقدّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية، وإنما تأخر منها ما له موضع يصلُح إفرادُه فيه، مثل أخبار هذا الصوت.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن ابن كُناسة قال: قال نُصَيب: ما توهمت أني أُحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت:

بِـزَيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قـبـلَ أنْ يَـرْحَـلَ الـرَّكْـبُ

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم ابن المنذر الحِزامي عن محمد بن مَعْن الغِفاريّ قال: أخبرني ابن الربيح قال:

مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبَقتُ الأسود إلى قوله:

بِـزَيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قـبـلَ أنْ يَـرْحَـلَ الـرَّكْـبُ

أحبُّ إليّ مِنْ كذا وكذا ـ لشيءٍ قاله عظيم.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني سعيد بن عمرو عن حبيب ابن شَوذب الأَسَديّ قال: مرّ بنا جَرير بن الخَطَفَى ونحن بضَرِيّة، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول: لأن أكونَ سَبقتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إليّ من كذا وكذا، يعني قوله:

بِـزَيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قـبـلَ أنْ يَـرْحَـلَ الـرَّكْـبُ

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كُناسة قال: اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب في الحمّام، فقال له الكميت: أنشدني قولك:

بِـزَيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قـبـلَ أنْ يَـرْحَـلَ الـرَّكْـبُ

فقال: والله ما أحفظها؛ فقال الكميتُ: لكنّي أحفظها، أَفأُنشدك إياها؟ قال: نَعم، فأقبل الكميت يُنشدهُ وهو يبكي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: ذكر ابن أبي الحُوَيرث عن مولاة لهم، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت: إنا لَبِمِنىً إذ نظرتُ إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة، فلم أَدْرِ لمن هي، حتى أُنيخ بعير، فنزل عنه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، ومرّ راكب يتغنّى غناء الركبان:

بِـزَيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قـبـلَ أنْ يَـرْحَـلَ الـرَّكْـبُ

فرأيتُ السوداءَ تخبط الأسود وتقول له: شهرْتني وأذعت في الناس ذكري فإذا هو نُصيب وزوجته. قال إسحاق في خبره: وكان الذي اجتاز بهم وتغنَّى ابن سريج.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كُناسة عن أبيه قال: قال نُصيب: والله إني لأسير على راحلتي إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدنَ قولي:

بِـزَيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قـبـلَ أنْ يَـرْحَـلَ الـرَّكْـبُ

وإذا معهنّ ابن سُرَيج؛ فقلن له: يا أبا يحيى، غَنِّنا في هذا الشعر، فغناهنّ فأحسن؛ فقلن: وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أن نُصيباً معنا فيتمّ سرورنا؛ فحرّكتُ بعيري لأتعرف بهنّ وأُنشدهنّ؛ فالتفتت إحداهنّ إليّ فقالت حين رأتني: والله لقد زعموا أن نُصيباً يشبه هذا الأسود لا جَرَم[1]؛ فقلت: والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم، ومضيت وتركتهنّ. قال: وكان الذي تغنى به ابنُ سُريج من شعري: **[الطويل]**

بِـزَيـنَـبَ أَلْـمِـمْ قـبـلَ أنْ يَـرْحَـلَ الـرَّكْـبُ ... وَقُـلْ إنْ تَـمَـلِّـيـنـا فَـمـا مَـلَّـك الـقَـلْـبُ

وَقُـلْ إن تُـنَـلْ بـالـحُـبِّ مِـنْـكِ مَـوَدَّةٌ ... فَـمـا مِـثْـلُ ما لُقِّـيـتُ مِـنْ حُـبِّـكُـمْ حُـبُّ

وَقُـلْ فِـي تَـجَـنِّـيـهَـا لَـكَ الـذَّنْـبَ إنَّـمـا ... عِـتـابُـكَ مَـنْ عـاتَـبْـتَ فِـيـمَـا لَـهُ عَـتْـبُ

(١) لا جرم: كلمة في الأصل بمنزلة لا بدّ ثم تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاً.

فَمَنْ شاءَ رَامَ الوَصْلَ أو قالَ ظالِماً ... لِذي وُدّه ذَنْبٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبُ

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزبير بن بَكار قال: حدّثني إبراهيم بن عبد الله السَّعْدي عن جَدته جَمَال بنت عَوْن عن جدّها قال:

قلت للنُّصَيب: أنشدني يا أبا مِحْجَن من شعرك شيئاً، فقال: أَيَّهُ تريد؟ قلت: ما شئتَ؛ قال: لا أُنشدك أو تقترح ما تريد؛ فقلت: قولك:

بِزَينَبَ أَلْمِمْ قبلَ أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ

قال: فتبسّم وقال: هذا شعرٌ قلته وأنا غلام؛ ثم أنشدني القصيدة. قال الزبير: وهي أجود ما قال.

[أخبار متفرقة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا المَدَائني عن أبي بكر الهُذَليّ قال: حدّثني أيوب بن شاس، ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس - وروايته أتم من رواية عمر بن شَبّة - قال أيوب: حدّثني عبد الله بن سعيد، أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة؛ فقال له: هِيه[1] يا أسود:

بِزَينَبَ أَلْمِمْ قبلَ أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ ... وَقُلْ إنْ تَمَلّينا فَمَا مَلَّكِ القَلْبُ

أأنت الذي تَشْهَر بالنساء وتقول فيهنّ! فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد تركت ذلك وتُبْت من قول الشعر، وكان قد نَسك، فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولاً جميلاً؛ فقال له: أمّا إذ أثنى عليك القوم فَسَلْ حاجتَك؛ فقال: يا أمير المؤمنين؛ لي بُنَيّاتٌ سويداوات أرغبُ بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البِيضان، فإن رأيتَ أن تفرض لهنّ فافعل؛ ففعل.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن شَبِيب عن محمد بن المؤمل ابن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحّاك الحِزامي قال: خرجت على بعير لي

(١) هِيه: اسم فعل بمعنى زدني من حديثك.

أريد الحج، فنزلت في فِناء خيمة بالأبواء[١]، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففَتحت الباب بيديها؛ فاستلهاني حسنُها، فتمثّلتُ قولَ نُصيب: [الطويل]

بِزَينَبَ أَلْمِمْ قبلَ أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُلْ إنْ تَمَلِّينا فَمَا مَلَّكِ القَلْبُ

فقالت الجارية: أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلت: نعم، ذاكِ نصيب؛ قالت أفتعرف زينبَ هذه؟ قلت: لا؛ قالت: فأنا والله زينبُه، وهو اليومُ الذي وعدني فيه الزيارةَ، ولعلك لا ترحَل حتى تراه. فوقفتُ ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها، ثم نزل فسلّم عليها وسلّمتُ عليه؛ فقلت: عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة، فقمت إلى راحلتي فشددتُ عليها، فقال: على رِسلِك، أنا معك؛ فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه؛ فقال لي: كأنك قلت في نفسك كذا وكذا، قلت: قد كان ذاك، فقال لا، وربِّ الكعبة البَنِيّة المستورة ما جلستُ معها مجلساً قطُّ هو أقربُ من هذا.

حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني حماد بن إسحاق قال: قال لي أبو ربيعة: لو لم تكن هذه القصيدة:

بِزَينَبَ أَلْمِمْ قبلَ أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ

لنُصيب، شِعْرَ مَنْ كانت تُشبه؟ فقلت: شعر امرئ القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة. قال: سبحان الله! قلت: ما شأنُك؟ فقال: سألت أباك عن هذا فقال لي مثلَ ما قلتَ، فعجبتُ من اتّفاقكما.

قال هارون وحدّثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفي عن رجل سمّاه قال: أتاني مُنقذ الهلالي ليلةً وضرب عليّ البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: منقذ الهلاليّ؛ فخرجت فزِعاً، فقلت: فيم السُّرَى ـ أي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً ـ في هذه الساعة؟ قال: خير، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين، فتغذّيت بها معهم، ثم أُتِيتُ بقنينة نبيذ قد التقى طرفاها، فشرِبتُ وذكَرْت قول نُصَيْب:

بِزَينَبَ أَلْمِمْ قبلَ أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ

---

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفُرع من المدينة. تقع بينها وبين الجحفة، وقيل هي جبل بين مكة والمدينة (معجم البلدان ١/ ٧٩).

فأنشدتُها فأطربَتْني، وفكّرت في إنسان يفهم حُسْن ذلك وَيعرف فضله فلم أجد غيرَك فأتيتك. فقلت: ما جاء بك إلا هذا؟! قال: لا، وانصرف.

قال حماد: معنى قوله «التقى طرفاها» أي قد صفت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء.

وممّا يُغنّى فيه من قصيدة نُصيب البائيّة المذكورة قولُه:

صوت

[الطويل]

خَلِيلَيَّ مِنْ كَعْبٍ أَلِمَّا هُدِيتُمَا ... بِزَيْنَبَ لا يَفْقِدْكُمَا أَبَداً كَعْبُ

مِنَ اليومِ زُوراها فإنَّ رِكابَنا ... غَداةَ غَدٍ عَنْها وَعَنْ أَهْلِهَا نُكْبُ

الغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة

صوت

من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه [الكامل]

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالوُجُوهُ دنا ... نيرٌ وأَطْرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ[1]

وَالدَّارُ وَحْشٌ وَالرُّسُومُ كَما ... رَقَّشَ في ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

لَسْتُ كأَقْوَامٍ خَلائِقُهُمْ ... نَثُّ أَحادِيثٍ وَهَتْكُ حُرَمْ

ـ نثُّ الحديث: إشاعته. والعَنَم: شجر أحمر، وقيل: بل هو دود أحمر كالأَسَاريع يكون في البقل في أيام الربيع. والأديم: الجلد. وجلد كل شيء أديمه، ورقَّشَ: زين ـ الشعر لمرقِّش الأكبر، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها.

---

(١) النَّشر: الأريج، العطر.

أخبار المرقش الأكبر ونسبه

[توفي نحو ٧٥ هـ/ نحو ٥٥٠ م]

[اسمه ونسبه ولقبه وحبه وبعض أخباره]

المُرَقِّشُ لقب غلب عليه بقوله:

الـدّارُ وَحْـشٌ وَالـرُّسُـومُ كَـمـا   رَقَّـشَ فـي ظَـهْـرِ الأدِيـمِ قَـلَـمْ

وهو أحد من قال شعراً فلُقّب به. واسمُه - فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْباني - عمرو. وقال غيره: عَوْف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل. وهو أحد المتيَّمين. كان يهوى ابنةَ عمه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضُبيعة، وكان المرقِّش الأصغر ابنَ أخي المرقش الأكبر. واسمه - فيما ذكر أبو عمرو - ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك. وقال غيره: هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك. وهو أيضاً أحد المتيَّمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذِر الملك ويتشبّب بها. وكان للمرقِّشين جميعاً وقعٌ في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب، وبأسٌ وشجاعة ونجدة وتَقدُّم في المَشَاهد ونكايةٌ في العدوّ وحسنُ أثر. كان عوف بن مالك بن ضُبَيعة عمّ المرقِّش الأكبر من فرسان بكر بن وائل. وهو القائل يوم قِضَة: يا لَبَكر بن وائل، أفي كل يوم فرار! ومحْلوفي لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلاّ ضربتُه بسيفي. وبرك يقاتل؛ فسمِّي البُرَك يومئذٍ. وكان أخوه عَمْرو بنُ مالك أيضاً من فُرْسان بكر، وهو الذي أسر مُهلهِلاً، التقيا في خيْلين من غير مُزاحفة[1] في بعض الغارات بين بكْر وتغْلِب، في موضع يقال له نقا الرَّمْل، فانهزمتْ خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسره فانطلق به

(١) الزحف: الجماعة يزحفون إلى العدو. والمزاحفة: الزحف.

إلى قومه، وهم في نواحي هجر[١]، فأحسن إساره[٢]، ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هجر، وكان صديقاً لمهلهل يشتري منه الخمر، فأهدى إليه وهو أسيرٌ زِقَّ خمر؛ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكْراً وشرِبوا عند مهلهل في بيته ـ وقد أفرد له عمروٌ بيتاً يكون فيه ـ فلما أخذ فيهم الشرابُ تغنّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب، فسمع ذلك عمرُو بن مالك فقال: إنه لريّانُ، والله لا يشرب ماء حتى يرِد ربيبٌ ـ يعني جملاً كان لعمرو بن مالك، وكان يتناول الدَّهاس[٣] من أجواف هجر فيرعى فيها غِبّاً بعد عشر في حمارَّة القيْظ ـ فطلبت رُكْبانُ بني مالك ربيباً وهم حِراص على ألاّ يُقتل مهلهل. فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً، ونحر عمرو بن مالك يومئذٍ ناباً فأسرج جلدها على مهلهل وأخرج رأسه. وكانت بنتُ خال مهلهل امرأتُه بنتُ المُحلِّل أحدِ بني تغلب قد أرادت أن تأتيه وهو أسير؛ فقال يذكرها: [الخفيف]

ظَبْيَـةٌ مـا ابْـنـةُ الـمُـحَـلِّـلِ شَـنْـبـا ءُ لَـعُـوبٌ لَـذِيـذَةٌ فِـي الـعِـنـاقِ[٤]

فلما بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات. فكان هَبَنَّقَةُ القيسيّ أحدُ بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثروان يقول ـ وكان مُحمَّقاً وهو الذي تضرِب به العربُ المثلَ في الحمق ـ: لا يكون لي جمل أبداً إلا سميتُه رَبيباً (يعني أن ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهِلاً). ذكر ذلك أجمع ابنُ الكلبي وغيرُه من الرواة. والقصيدة الميميّة التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقّش يقولها في مَرْثِية ابنِ عم له. وفيها يقول:

[الكامل]

بَـلْ هَـلْ شَـجَـتْـكَ الـظُّـعْـن بـاكِـرَةً كَـأنَّـهـا الـنَّـخِـيـلُ مِـنْ مَـلْـهَـمِ[٥]

قال أبو عمرو ـ ووافقه المفضّل الضبي ـ: وكان من خبر المرقّش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماءَ بنتَ عوف بن مالك ـ وهو البُرَك ـ عَشِقَها وهو غلام فخطبها إلى أبيها، فقال: لا أُزوّجك حتى تُعرَف بالبأس ـ وهذا قبل أن تخرج ربيعة من

(١) هجر: اسم يطلق على أكثر من موضع والظاهر أنه يريد به هنا هجر التي قصبتها الصفا (معجم البلدان ٥/ ٣٩٣).
(٢) الإسار: القيد.
(٣) الدهاس: الأرض السهلة.
(٤) الشَّنباء: التي في أسنانها ماء ورقة وعذوبة.
(٥) الظعن: النساء بهوادجهن. ومَلهم: قرية باليمامة موصوفة بكثرة النخيل (معجم البلدان ٥/ ١٩٥).

أرض اليمن ـ وكان يعِده فيها المواعيد. ثم انطلق مرقِّش إلى ملك من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه. وأصاب عوفاً زمانٌ شديد؛ فأتاه رجل من مُراد أحدُ بني غُطَيف، فأرغبه في المال فزوّجه أسماء على مائةٍ من الإبل، ثم تنحّى عن بني سعد ابن مالك. ورجع مرقش، فقال إخوته: لا تخبروه إلاّ أنها ماتت؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفُّوها في مِلْحَفة ثم قَبروها. فلما قدِم مرقِّش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتَوْا به موضع القبر، فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره. فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطَّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب، فقال أحدُهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقِّش أخبرناه أنه قبرُ أسماء. فكشفَ مرقِّشٌ عن رأسه ودعا الغلام ـ وكان قد ضَنِيَ ضناً شديداً ـ فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المراديّ أسماء؛ فدعا مرقِّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة كان عَسِيفاً[1] لمرقِّش فأمرها بأن تدعوَ له زوجَها فدعته، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المراديَّ عليها فأحضره إياها فركبها ومضى في طلبه، فمرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضاً. وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نَجْران[2] وهي أرض مراد، ومع الغُفَليّ امرأتُه وليدةُ مرقِّش، فسمع مرقِّش زوج الوليدة يقول لها: اتركيه فقد هلَك سقماً وهلكنا معه ضُرّاً وجُوعاً. فجعلت الوليدةُ تبكي من ذلك؛ فقال لها زوجها: أطيعيني، وإلا فإني تاركُك وذاهب. قال: وكان مرقِّش يكتب، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْمَلَة ـ وكانا أحبّ ولده إليه ـ إلى نَصرانيّ من أهل الحيرة فعلّمهما الخطَّ. فلما سمع مرقِّش قول الغُفَليّ للوليدة كتب مرقِّش على مُؤَخَّرة الرحل هذه الأبيات:

يـا صـاحِـبَـيَّ تَـلَـبَّـثـا لا تَـعْـجَـلا ... إنَّ الـرَّواحَ رَهِـيـنُ ألاّ تَـفْـعَـلا[3]

فَـلَـعَـلَّ لُـبْـثَـكُـمَـا يُـفـرِّطُ سَـيِّـئاً ... أوْ يَـسـبِـقُ الإسْـراعُ سَـيْـبـاً مُـقْـبِـلا[4]

يـا رَاكِـبـاً إمَّـا عَـرَضْـتَ فَـبَـلِّـغَـنْ ... أنَـسَ بْـنَ سَـعْـدٍ إنْ لَـقِـيـتَ وحَـرْمَـلا

لِـلَّـهِ دَرُّكُـمَـا وَدَرُّ أبِـيـكُـمَـا ... إنْ أفْـلَـتَ الـعَـبْـدانِ حَـتّـى يُـقْـتَـلا

مَـنْ مُـبْـلِـغُ الأقْـوامِ أنَّ مُـرَقِّـشـاً ... أضْـحَـى عـلَـى الأصْـحـابِ عِـبْـئـاً مُـثْـقِـلا

---

(١) العَسِيف: الأجير.

(٢) نجران: اسم لأكثر من موضع ويقصد به هنا موضعاً على يومين من الكوفة (معجم البلدان ٥/ ٢٦٦).

(٣) الرواح: الرجوع، العودة.

(٤) الإفراط: التقدم والعَجَلة. والسَّيب: العطاء.

وَكَـأَنَّـمَـا تَـرِدُ الـسِّـبَـاعُ بِـشِـلْـوِهِ إِذْ غَـابَ جَـمْـعُ بَـنِـي ضُـبَـيْـعَـةَ مَـنْـهَـلا[1]

قال: فانطلق الغُفَليّ وامرأتُه حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا: مات المرقِّش. ونظر حرملةُ إلى الرَّحْل وجعل يُقلّبه فقرأ الأبيات، فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يصدقاهُ ففعلا، فقتلهما، وقد كانا وصفا له الموضع. فركب في طلب المرقِّش حتى أتى المكان، فسأل عن خبره فعرف أنّ مرقِّشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها. فلما بَصُرَ به قال له: من أنت وما شأنُك؟ فقال له مرقِّش: أنا رجل من مُراد، وقال للراعي: من أنت؟ قال: راعي فلان، وإذا هو راعي زوج أسماء. فقال له مرقِّش: أتستطيع أن تكلّم أسماء امرأة صاحبك؟ قال: لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جاريتُها كلّ ليلة فأحلِبُ لها عنزاً فتأتيها بلبنها. فقال له: خذ خاتمي هذا، فإذا حلبت فألقه في اللبن، فإنها ستعرفه، وإنك مُصيبٌ به خيراً لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعي الخاتم. ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه؛ فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها. فلما سكنت الرّغوة أخذته فشربته وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثنِيّتها[2]، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته؛ فقالت للجارية: ما هذا الخاتم؟ قالت: ما لي به علم؛ فأرسلتْها إلى مولاها وهو في شرفٍ بنجْران؛ فأقبل فزعاً؛ فقال لها: لم دعوتِني؟ قالت له ادْعُ عبدك راعي غنمك فدعاه، فقالت: سلْه أين وجد هذا الخاتم! قال: وجدته مع رجل في كهف خُبّان[3]. قال: ويقال كهف جبار ـ فقال: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيبٌ به خيراً، وما أخبرني منْ هو، ولقد تركته بآخر رمَق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقِّش، فأعجِل السّاعة في طلبه. فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طَرقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء وقال قبل أن يموت: [الوافر]

سَـرَىٰ لَـيْـلاً خَـيَـالٌ مـن سُـلَـيْـمـى فَـأَرَّقَـنِـي وأَصْـحَـابِـي هُـجُـودُ
فَـبِـتُّ أُدِيـرُ أَمْـرِي كُـلَّ حَـالٍ وَأَذْكُـرُ أَهْـلَـهَـا وَهُـمُ بَـعِـيـدُ

(١) الشلو: بقية الجسد إذا أُكل منه، وجمعه أشلاء.
(٢) ثنيتها: أسنان مقدم فمها.
(٣) خُبّان: قرية باليمن في وادي خبان قرب نجران (معجم البلدان ٢/ ٣٤٣).

عَلَى أنْ قد سَمَا طَرْفِي لِنارٍ يُشَبُّ لهَا بِذِي الأرْطَى وَقُودُ[١]
حَوَالَيْهَا مَهاً بِيضُ التَّراقِي وَآرامٌ وَغِزْلانٌ رُقُودُ[٢]
نَواعِمُ لا تُعالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ أوانِسُ لاَ تَرُوحُ ولا تَرُودُ
يَرُحْنَ مَعاً بِطَاءَ المَشْيِ بُدّاً عَلَيْهِنَّ المَجاسِدُ والبُرُودُ[٣]
سَكَنَّ بِبَلْدَةٍ وَسَكَنْتُ أُخْرَى وَقُطِّعَتِ المَواثِقُ وَالعُهُودُ
فَمَا بالِي أفِي وَيُخانُ عَهْدِي ومَا بالِي أُصَادُ ولا أصِيدُ
وَرُبَّ أسِيلَةِ الخَدَّيْنِ بِكْرٍ مُنَعَّمَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ
وَذو أُشُرٍ شَتِيتُ النَّبْتِ عَذْبٌ نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرّاقٌ بَرُودُ[٤]
لَهَوْتُ بِهَا زماناً في شَبابِي وَزارَتْهَا النَّجائِبُ وَالقَصِيدُ
أُناسٌ كُلَّمَا أخْلَقْتُ وَصْلاً عَنانِي مِنْهُمُ وَصْلٌ جَدِيدُ

ثم مات عند أسماء، فدُفِن في أرض مُرَاد.

وقال غيرُ أبي عمرو والمفضَّل: أتى رجل من مُرَاد يُقال له قرنُ الغَزَال، وكان مُوسِراً، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مُمْلِقاً[٥]؛ فزوّجها أبوها من المراديّ سرّاً؛ فَظَهر على ذلك مرقِّش فقال: لئن ظفرتُ به لأقتلنّه. فلما أراد أن يَهتديها[٦] خاف أهلُها عليها وعلى بعلها من مرقِّش، فتربّصوا بها حتى عزب[٧] مرقِّش في إبله، وبنى المراديُّ بأسماء واحتملها إلى بلده. فلما رجع مرقِّش إلى الحيّ رأى غلاماً يتعرّق عظماً؛ فقال له: يا غلام، ما حدث بعدي في الحيّ؟ وأوجس في صدره خيفةً لِمَا كان؛ فقال الغلام: اهتدى المرادي امرأتَه أسماء بنت عوف. فرجع المرقّش إلى حيّه فلبس لأمته[٨] وركب فرسه الأغرّ، واتّبع آثَارَ القوم يريد قتلَ المراديّ. فلما طلع لهم قالوا للمراديّ: هذا مرقِّش، وإن لقيك فنفسُك دون نفسه. وقالوا لأسماء: إنه سيمرّ عليك، فأطلعي رأسَك إليه وأسْفِرِي؛ فإنه لا يرميك ولا

(١) الأرطى: شجر ينبت بالرّمل وهو شبيه الغضى، واحدته أرطاة.
(٢) التراقي: عظام الصّدر. والآرام: الحجارة تنصب في الصحراء يهتدى بها، واحدها إرم.
(٣) بُدّ: جمع بدّاء، وهي كثيرة لحم الفخذين.
(٤) الأُشر: تحزز في الأسنان.
(٥) المُمْلِق: الفقير.
(٦) اهتدى الرجل امرأته: ضمها إليه ونقلها إلى بيته.
(٧) عَزَب: بَعُد وغاب.
(٨) اللأمة: الدرع.

يضرّك، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقَه إخوته فيردّوه. وقالوا للمراديّ: تقدّم فتقدّم. وجاءهم مرقّش. فلما حاذاهم أطْلَعَت أسماءُ من خِدْرها ونادتْهُ، فغَضّ[١] من فرسه وسار بقربها، حتى أدركه أخواه أَنَسٌ وحَرْمَلة فعذَلاَه وردّاه عن القوم. ومضى بها المُراديّ فألحقها بحيّه. وضَنِي[٢] مرقّش لفراق أسماء. فقال في ذلك: **[الطويل]**

أمِنْ آلِ أسماءَ الرسومُ الدَّوارسُ ... تُخطِّطُ فيها الطيرُ قَفْرٌ بَسابِسُ[٣]

وهي قصيدة طويلة. وقال في أسماء أيضاً:

أَغالِبُكَ القَلْبُ اللَّجُوجُ صَبابةً ... وَشوقاً إلى أسْماءَ أمْ أنتَ غالِبُهْ
يَهيمُ وَلاَ يَعْيَا بأسْماءَ قَلْبُهُ ... كذاكَ الهَوَى إمْرارُهُ وعَواقِبُهْ
أيُلْحَى امْرؤٌ في حُبِّ أسْماءَ قدْ نَأى ... بِغَمْزٍ مِنَ الوَاشِينَ وازْوَرَّ جانِبُهْ[٤]
وَأسْماءُ هَمُّ النَّفسِ إنْ كُنتَ عالماً ... وبادِي أحادِيثِ الفُؤادِ وَغائِبُهْ
إذا ذَكَرَتْها النَّفْسُ ظَلْتُ كأنَّنِي ... يُزعْزِعُنِي قَفْقافُ وِرْدٍ وَصالبُهْ[٥]

وقال أبو عمرو: وقع المجالِد بن رَيّان ببني تَغْلِب بجُمْران[٦] فَنكى فيهم وأصاب مالاً وأسرى، وكان معه المرقِّش الأكبر، فقال المرقش في ذلك: **[المتقارب]**

أَتَتْنِي لِسانُ بَنِي عامِرٍ ... فَجَلَّى أحادِيثُها عَنْ بَصَرْ[٧]
بأنَّ بَنِي الوَخْمِ ساروا معاً ... بِجَيْشٍ كَضَوْءِ نُجُومِ السَّحَرْ[٨]
بِكُلِّ خَبُوبِ السُّرَى نَهْدَةٍ ... وَكُلِّ كُمَيْتٍ طُوالٍ أغَرْ[٩]
فَما شَعَرَ الحَيُّ حَتّى رأوْا ... بَرِيقَ القَوانِسِ فَوْقَ الغُرَرْ[١٠]

---

(١) غضّ من فرسه: إذ انقص من حدته.
(٢) ضَنِي: مَرِض.
(٣) تخطط: ترعى. والبَسْبَس: البر المقفر.
(٤) يُلحىٰ: يلام.
(٥) قفقافة: اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان من الورد أي الحمى. وصالبه: شدة حرارته مع رعدة.
(٦) جُمران: اسم لأكثر من جبل (معجم البلدان ٢/ ١٦٢).
(٧) اللسان هنا: الرسالة.
(٨) بنو الوخم: بنو عامر.
(٩) الخبوب: الذي يمشي الخَبَب، وهو ضرب من العدْو. والنهدة: الضخمة.
(١٠) القوانس: جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد. والغُرَر: الوجوه.

فَـأَقْـبَـلْـنَـهُـمْ ثُـمَّ أَدْبَـرْنَـهُـمْ وَأَصْـدَرْنَـهُـمْ قَـبْـلَ حِـيـنِ الـصَّـدَرْ[١]
فَـيَـا رُبَّ شِـلْـوٍ تَـخَـطَّـرْفْـنَـهُ كـريـم لَـدَى مَـزْحَـفٍ أو مَـكَـرْ[٢]
وكـائِـنْ بِـجُـمْـرانَ مـن مُـزْعَـفٍ ومِـنْ رَّجُـلٍ وَجْـهُـهُ قـد عُـفِـرْ[٣]

(١) الصَّدَرُ: الانصراف عن الوِرْد.

(٢) الشِّلو: بقية الجسد. وتخطرفنه: استلبنه.

(٣) زعفه وأزعفه: رماه أو ضربه فمات مكانه سريعاً.

أخبار المرقِّش الأصغر

[توفي نحو ٥٠ هـ/ نحو ٥٧٠ م]

[اسمه ونسبه ولقَبُه]

فهو ـ على ما ذكر أبو عمرو ـ رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة. والمرقِّش الأكبر عمّ الأصغر، والأصغر عمّ طَرَفة بن العبد. قال أبو عمرو: والمرقِّش الأصغر أشعر المرقِّشَين وأطولهما عُمراً. وهو الذي عشِق فاطمة بنت المنذر، وكانت لها وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان، وكان لها قَصْر بكاظمة[١] وعليه حَرَس. وكان الحرس يَجُرّون كل ليلة حولَه الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان. وكان لبنت عجلان في كلّ ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها. فقال عمرو بن جَنَاب بن مالك لمرقِّش: إنّ بنت عجلان تأخذ كلَّ عشيّة رجلاً ممن يُعجبها فيبيت معها. وكان مرقِّش تَرْعِيةً[٢] لا يفارق إبلَه، فأقام بالماء وترك إبلَه ظمأى، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شَعْراً. وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس. فجاء مرقِّش فبات عند ابنة عَجْلان؛ حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها. فقالت لها: ما هذا بفخذيك؟ ـ وإذا نُكَتٌ[٣] كأنها التين وكآثار السِّيَاط من شدّة حَفْزه إياها عند الجماع ـ قالت: آثار رجل بات معي الليلة. وقد كانت فاطمةُ قالت لها: لقد رأيت رجلاً جميلاً راحَ نَحْوَنَا بالعشِيّة لم أره قبلَ ذلك؛ قالت: فإنه فتىً قعد عن إبله وكان يرعاها، وهو الفتى الجميل الذي رأيتِه، وهو الذي بات معي فأثر فيّ هذه الآثار. قالت لها فاطمة: فإذا كان غدٌ وأتاك

---

(١) كاظمة: على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة وهي منطقة من دولة الكويت.

(٢) تَرْعية: يجيد رعية الإبل.

(٣) النكتة: الأثر.

فقدِّمي له مِجْمَراً[١] ومُرِيه أن يجلسَ عليه وأعطيه سِواكاً، فإن استاك به أو ردّه فلا خير فيه، وإن قعد على المجمر أو ردّه فلا خير فيه. فأتته بالمجمر فقالت له: اقعُد عليه؛ فأبى وقال: أدنيه مني، فدخّن لحيته وجُمّته وأبى أن يقعد عليه، وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به. فأتت ابنةُ عجلان فاطمة فأخبرتها بما صنع، فازدادت به عجباً وقالت: ائتيني به. فتعلقتْ به كما كانت تتعلق، فمضى معها وانصرف أصحابه. فقال القوم حين انصرفوا: لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجْلان المرقِّشَ! وكان الحرس ينثرون التراب حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويَجُرُّون عليه ثوباً حين تُمسي ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عجلان؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقَافة[٢] فينظرون أثرَ من دخل إليها ويعودون فيقولون له: لم نر إلا أثر بنت عجلان. فلما كانت تلك الليلة حملتْ بنتُ عجلان مرقِّشاً على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب، وأدخلته إليها فبات معها. فلما أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا: نظرنا أثر بنت عجلان وهي مُثْقَلة. فلبث بذلك حيناً يدخل إليها. فكان عمرو بن جَنَاب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه. فقال له: ألم تكن عاهدتَني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب؟! فأخبره مرقِّشٌ الخبر؛ فقال له: لا أرضى عنك ولا أكلّمك أبداً أو تُدخلَني عليها، وحلف على ذلك. فانطلق المرقِّش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنتَ عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشْعر، فأتته بنت عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقِّش. فلما أراد مباشرتها وجدتْ شعرَ فخذيه فاستنكرته، وإذا هو يُرْعَد[٣]؛ فدفعته بقدمها في صدره وقالت: قبَّح الله سرّاً عند المُعَيْدي. ودعت بنتَ عجلان فذهبت به، وانطلق إلى موضع صاحبه. فلما رآه قد أسرع الكَرَّةَ ولم يلبث إلا قليلاً، علم أنه قد افتضح، فعَضّ على إصبعه فقطعها. ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه ـ يعني الإبل التي كان مقيماً فيها ـ حياءً مما صنَع. وقال مرقش في ذلك:

---

(١) المجْمَر: ما يوضع فيه الجمر.
(٢) القافة هنا: من عندهم الخبرة بآثار الماشي.
(٣) الرِّعْدة: الاضطراب يكون من الفزع وغيره.

[الطويل]

أَلاَ يا اسْلَمي لا صُرْمَ لِي اليومَ فاطمَا ... ولا أبَداً ما دام وَصْلُكِ دائمَا
رَمَتْكَ ابنةُ البَكْرِيِّ عنْ فرعِ ضالَةٍ ... وهُنَّ بنا خُوصٌ يُخَلْن نعائما[١]
تَراءَتْ لنَا يومَ الرحيلِ بوارِدٍ ... وعذبِ الثنايا لم يكن متراكما[٢]
سَقَاهُ حَبابُ المُزْنِ في مُتَكَلَّلٍ ... من الشَّمسِ رَوّاه رباباً سَوَاجِما[٣]
أَرَتْكَ بذاتِ الضّالِ منها معاصِماً ... وخدّاً أسِيلاً كالوذِيلةِ ناعِمَا[٤]
صحَا قلبُه عنهَا على أنّ ذِكرةً ... إذا خطَرَتْ دارَتْ بهِ الأرضُ قائِمَا
تَبَصَّرْ خليلِي هل ترىٰ منْ ظَعائنٍ ... خَرجْنَ سِراعاً واقتعدْنَ المفائِمَا[٥]
تَحَمَّلْنَ منْ جوِّ الوَريعةِ بعدَمَا ... تغالى النهارُ وانتجعن الصَّرائِمَا[٦]
تَحلَّين ياقوتاً وشَذْراً وصِيغةً ... وجَزْعاً ظَفَارِيّاً ودُرّاً تَوَائما[٧]
سَلَكْنَ القُرَى والجِزع تُحدَى جمالُها ... ووركن قَوّاً واجْتَزَعْنَ المَخارِما[٨]
ألاَ حبّذَا وَجْهٌ تُريكَ بياضَهُ ... ومُنْسَدِلاتٌ كالمثانِي فواحِما[٩]
وإنِّي لأَسْتَحيِي فُطَيْمةَ جائِعاً ... خَمِيصاً وَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ طاعِما
وإنِّي لأَسْتَحْيِيكِ وَالخَرْقُ بَيْنَنَا ... مَخافَةَ أنْ تَلْقَى أخاً لي صارِمَا[١٠]
وإنِّي وإنْ كَلَّتْ قَلُوصِي لَراجِمٌ ... بِها وَبِنَفْسِي يا فُطَيْمَ المَرَاجِمَا
ألاَ يا اسْلَمِي بالكَوْكَبِ الطَّلْقِ فاطِمَا ... وإنْ لَمْ يكُنْ صَرْفُ النَّوى مُتلائِمَا[١١]

---

(١) الضال من السّدر: ما لم يشرب الماء. والخوص: الإبل الغائرة العيون من جهد السّيْر. والنعائم: جمع نعامة.
(٢) الوارد من الشعر: الطويل.
(٣) المُزْن: السحاب.
(٤) الوَذيلة: سبيكة الفضة.
(٥) المفائم: العظام من الإبل، واحدها مفأم.
(٦) الوريعة: ما غَلُظ من الأرض. والصرائم: جمع صريمة وهي القطعة من الرمل.
(٧) الشذر: اللؤلؤ الصغير. والجَزْع: المخرز. وظفاري: نسبة إلى ظفار، بلد باليمن. وتوائم: اثنتين اثنتين.
(٨) الجزع: منعطف الوادي. وورّكْن: عدلن. وقَو: منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة، وهو اسم لوادٍ بين اليمامة وهجر. واجتزعن: قطعن. والمخارِم: أطراف الطرق، واحدها مخرم.
(٩) المنسَدِلات: الذوائب من الشعر. والمثاني الفواحم: الحبال السود.
(١٠) الخَرْق: الفلاة الواسعة.
(١١) الطَّلق: الذي لا حر فيه ولا قرو لا شيء يؤذي.

أَلاَ يَا اسْلَمِي ثم اعْلَمِي أنَّ حاجَتِي إلَيكِ فَرُدِّي مِنْ نَوالِكِ فاطِمَا
أفاطِمَ لَوْ أنَّ النِّساءَ بِبَلْدَةٍ وَأنْتِ بأُخْرَى لاَبْتَغَيْتُكِ هائِمَا
مَتَى ما يشَأْ ذو الوُدِّ يَصْرِمْ خَلِيلَهُ وَيَغْضَبْ عليهِ لاَ مَحَالَةَ ظالِمَا
وآلَى جَنَابٌ حِلْفَةً فَأطَعْتَهُ فَنَفْسَكَ وَلِّ اللَّوْمَ إنْ كُنْتَ نادِمَا
فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النّاسُ أمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائِمَا
أَلَمْ تَرَ أنَّ المَرْءَ يَجْذِمُ كَفَّهُ ويَجْشَمُ مِنْ لَوْم الصَّدِيقِ المَجَاشِما(١)
أَمِنْ حُلْمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُتُ واجِماً وَقَدْ تَعْتَرِي الأَحْلامُ مَنْ كانَ نائِمَا(٢)

صوت

من المائة المختارة

[الطويل]

إذا قَلْتُ تَسْلُو النَّفسُ أو تَنْتَهِي المُنَى أَبَى القَلْبُ إلاّ حُبَّ أُمِّ حَكِيم
مُنَعَّمَةٌ صَفْراءُ حُلْوٌ دلالُهَا أَبِيتُ بِهَا بَعْدَ الهُدُوءِ أَهِيمُ(٣)
قَطُوفُ الخُطَا مَخْطُوطَةُ المَتْنِ زانَها مَعَ الحُسْنِ خَلْقٌ فِي الجَمَالِ عَمِيمُ(٤)

الشعر مُختلَف في قائله، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبد الله العَبْشَميّ، ومنهم من يرويه لقَطَرِيّ بن الفُجَاءة المازِنيّ، ومنهم من يرويه لعبيدة بن هِلال اليَشْكُرِيّ. والغناء لِسيَاط، وله فيه لحنان: أحدهما، وهو المختار، ثقيلٌ أوّل بالوسطى، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسّبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. ولبعض الشُّراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية، وفيها ذِكْرٌ لأمّ حكيم هذه أيضاً، تُنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويُختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه. وفيها أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات منها: [الطويل]

لَعَمْرُكَ إنِّي فِي الحَيَاةِ لَزاهِدٌ وفِي العَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيم
وَلَوْ شَهِدَتْنِي يَوْمَ دُولاَبَ أَبْصَرَتْ طِعانَ فَتًى في الحَرْبِ غَيْرِ ذَمِيمِ(٥)

ذكر المبرّدُ أن الشعر لقَطَرِيّ بن الفُجاءة، وذكر الهَيْثم بن عَدِيّ أنه لعَمْرو

(١) يَجذِم: يقطع. ويجشم: يركب المكروه.
(٢) تنكت في الأرض: تخطط فيها.
(٣) في هذا الشعر إقواء وهو اختلاف حركة الروي.
(٤) قطوف الخُطَا: بطيئة المشي.
(٥) دولاب: قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ (معجم البلدان ٢/ ٤٨٥).

القَنَا، وذكر وَهْب بن جَرير أنه لحَبِيب بن سهم التَّميميّ، وذكر أبو مِخْنَف أنه لعبيدة ابن هلال اليَشْكريّ، وذكر خالد بن خدَاش أنه لعمرو القنا أيضاً. والغناء لمَعْبد ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس.

خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران وهي وقعة دولاب وشيء من أخبار هؤلاء الشُّراة وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه

هذان الشعران قِيلا في وقعة دُولاب، وهي قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مُسْلم بن عُبَيس ابن كُرَيز خليفةِ عبد الله بن الحارث بن نَوْفل بن عبد المطلب، وذلك في أيام ابن الزبير. أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة عن المدائني، وأخبرني بها عُبيد الله بن محمد الرازِي عن الخَرّاز عن المدائنيّ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِدَاش، أن نافعَ بنَ الأزرق، لمّا تفرقتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم في أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقد كان متشكِّكاً في ذلك. فقالت له امرأته: إن كنتَ قد كفَرت بعد إيمانك وشكَكتَ فيه، فدع نِحْلتك[1] ودَعْوتك، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفّار حيثُ لقِيتَهم وأَثْخن في النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[2] فقَبِل قولَها واستعرض[3] الناسَ وبَسَط سيفَه، فقتل الرجال والنساء والوِلْدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم. وإذا وطئ بلداً فعل مثلَ هذا به إلى أن يُجيبه أهلُه جميعاً ويدخلوا ملّته، فيرفع السيفَ ويضع الجِباية فيجبي الخراج. فعظم أمرُه واشتدّت شوكته وفشا عمّالهُ في السواد. فارتاع لذلك أهلُ البصرة ومشوْا إلى الأحنف بن قيس فشكوْا إليه أمرهم وقالوا له: ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان، وسِيرتُهم كما تَرى؛ فقال لهم الأحنف: إنّ سيرتَهم في مصركم إن ظَفِروا به مثل سيرتهم في سوادكم، فخذوا في جهاد عدوِّكم. وحرّضهم الأحنفُ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح. فأتاه عبدُ الله بن الحارث بن نَوْفل، وسأله أن يؤمِّر عليهم أميراً،

---

(١) نحلَتُك: مَذهبُك.

(٢) سورة نوح: الآية ٢٦.

(٣) استعرض الناس: قتلهم.

فاختار لهم مُسلم بن عُبيس بن كُرَيز بن رَبيعة، وكان فارساً شجاعاً دَيِّناً، فأمَّره عليهم وشيَّعه. فلما نَفَذَ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة، وإني لأُحاربُ قوماً إن ظفرت بهم فما وراءَهم إلا سيوفُهم ورماحهم. فمن كان من شأنِه الجهادُ فلينهضْ، ومن أحبّ الحياة فليرجع. فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه؛ فلما صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسّرت الرماحُ وعُقِرت الخيلُ وكثُرت الجراحُ والقتلى، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد؛ فقُتل في المعركة ابنُ عُبيس وهو على أهل البصرة، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذ أيضاً؛ فعجب الناس من ذلك، وإنّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير، وقُتل رئيسا العسكرين، والشُّراة يومئذ ستُّمائة رجل، فكانت الحدّة يومئذٍ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سدُوس. وأتى ابنُ عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيع بن عمرو الغُدَانيّ، وكان يقال له الأجْذم، كانت يده أُصيبت بكابل[1] مع عبد الرحمٰن بن سَمُرة. واستخلف نافعُ بن الأزرق عُبيدَ الله بن بشير بن الماحوز أحدَ بني سَلِيط بن يَرْبوع. فكان رئيسَا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَرْبوع، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يَرْبوع، ورئيس الشُّراة من بني سليط بن يربوع، فاتَّصَلَت الحربُ بينهم عشرين يوماً. قال المدائني في خبره: وادّعَى قتل نافع بن الأزرق رجلٌ من باهِلة يقال له سلامة. وتحدّث بعد ذلك قال: كنتُ لما قتلتُه على بِرْذون[2] وَرْد فإذا أنا برجل ينادِي، وأنا واقف في خُمْس[3] بني تَميم، فإذا به يَعْرِض عليَّ المبارزةَ فتغافلتُ عنه، وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خُمْس إلى خُمْس وليس يُزايلني، فصِرْتُ إلى رَحْلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة، فلما أكثر خرجتُ إليه، فاختلفْنا ضربتين فضربته فصرَعتُه، ونزلتُ فأخذت رأسَه وسلبتُه، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلت نافعاً، فخرجتْ لتثأر به. قالوا: فلما قُتل نافع وابن عُبيس ووُلّي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشُّراة نيّفاً وعشرين يوماً، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: إني مقتول لا محالة؛ قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إني رأيت البارحة كأنّ يدي التي أُصيبتْ بكابل انحطّتْ من السماء فٱستَشْلَتْني. فلما

(١) كابل: من ثغور طخارستان، ولها من المدن: واذان وخواش وغيرها (معجم البلدان ٤/٤٢٦).
(٢) البرذون من الخيل: وهي ما كانت من غير نتاج العرب.
(٣) الخُمْس هنا: الفرقة من الجيش.

كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم[١] فقُتل يومئذ ـ قال: استشلاه: أخذه إليه. يقال: استشلاه واشتلاه ـ قال: فلما قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَب إذ لم يكن لهم رئيس؛ ثم أجمعوا على الحَجّاج بن باب الحِمْيريّ. وقد اقتتل الناسُ يومئذ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثلَه، تطاعنوا بالرماح حتى تقصّفتْ، ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوة، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة ويتكادمون[٢] بالأفواه. فلما تدافع القومُ الراية وَأبَوْها واتّفقوا على الحَجّاج بن باب امتنع من أخذها. فقال له كُرَيب بن عبد الرحمٰن: خذها فإنها مَكْرُمة؛ فقال: إنها لراية مشؤومة، ما أخذها أحد إلا قُتل. فقال له كُرَيب؛ يا أعور! تقارعتِ العربُ على أمرها ثم صيّروها إليك فتأبى خوفَ القتل! خذ اللواءَ ويحك! فإن حضر أجلُك قُتلتَ إن كانت معك أو لم تكن. فأخذ اللواء وناهضهم، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كَرَاديس[٣]، والخوارجُ أقوى عُدّة بالدروع والجواشن[٤]. وجعل الحجّاجُ يُغمض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنه قد قُتل، ثم يرفع رأسه وسيفُه يقطر دماً، ويفتح عينيه فيَرى الناس كراديسَ يقاتل كلٌّ قوم في ناحية. ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمْران بن الحارث الراسبيّ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحد منهما قتل صاحبه، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا؛ وأصبح أهل البصرة ـ وقد هرب عامّتهم، وولَّوْا حارثةَ بن بدر الغُدَانيّ أمْرَهم ـ ليس بهم طِرْق[٥] ولا بالخوارج. فقالت امرأة من الشُّراة ـ وهي أم عِمْران قاتِل الحجّاج بن باب وقَتِيلِه ـ ترثي ابنَها عِمْران: [البسيط]

اللّـهُ أيّـدَ عِـمْـرانـاً وَطَـهَّـرَهُ ... وَكانَ عِمْرانُ يَدْعُو اللّهَ في السَّحَرِ
يَـدْعُـوهُ سِـرّاً وإعْـلانـاً لِـيَـرْزُقَـهُ ... شَـهـادةً بِـيَـدَيْ مِـلْـحـادَةٍ غُـدَرِ[٦]
ولّـى صـحـابـتُـهُ عـنْ حَـرِّ مَـلْـحَـمَـةٍ ... وشـدَّ عِـمْـرانُ كـالـضِّـرغـامَـةِ الـذكَـرِ[٧]

---

(١) غاداهم: باكرهم.
(٢) يتكادمون بالأفواه: يتعاضون.
(٣) الكراديس: كتائب الخيل، واحدها كردوس.
(٤) الجواشن: جمع جوشن وهو زرد يُلبس على الصدر.
(٥) الطّرْق: القوة.
(٦) الملحادة: من الإلحاد والهاء للمبالغة والإلحاد هو الجَور والعدول عن الدّين. وغُدَر: كثير الغدر.
(٧) الضرغام: الأسد.

قال: فلما عَقَدوا لحارثة بن بدر الرياسة وسلّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبُتوا، فإذا فَتح اللَّهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالي زيادةُ فريضة؛ فندب[١] الناس فالتقَوْا وليس بأحد منهم طِرق، وقد فشت فيهم الجراحاتُ فلهم أنين، وما تطأ الخيل إلا على القتلى. فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمعٌ من الشُّراة ـ يقول المُكَثِّر إنهم مائتان والمقلِّل إنهم أربعون ـ فاجتمعوا وهم يُريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبة[٢] واحدة، فحملوا على المسلمين. فلما رآهم حارثةُ بن بدْر نكَص برايته فانهزم وقال: [مجزوء الرجز]

كَرْنِبُوا وَدَوْلِبوا ... وَحَيْثُ شِئْتُمْ فَاذْهَبُوا[٣]

وقال:

أيرُ الحِمَارِ فَرِيضَةٌ لِعَبِيدِكُمْ ... وَالخُصيتان فَرِيضَةُ الأعْرابِ

وتتابع الناسُ على أثره منهزمين، وتبعتهم الخوارجُ، فَألْقوا أنفسهم في دُجَيْل[٤] فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيَّتُهم. وكان ممن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان. ولحقتْ قِطعةٌ من الشُّراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم، فعطفت عليهم خيلٌ من بني تَميم فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشَفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم. وعبرَتْ بقيّةُ الناس، فصار حارثةُ ومن معه بنهر تِيرَى[٥] والشُّراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام. وكان على الأزد يومئذ قَبِيصَة بن أبي صُفْرة أخو المُهلَّب، وهو جدّ هَزَارُمَرْد. قال: وغرِق يومئذٍ من الأزد عدد كثير. فقال شاعر الأزارقة: [الوافر]

يَرَى مَنْ جاءَ ينظُرُ مِن دُجَيْلٍ ... شيوخَ الأزْدِ طافِيَةً لِحَاهَا

وقال شاعر آخر منهم: [الكامل]

شَمِتَ ابنُ بدرٍ، والحوادثُ جمَّةٌ ... والظالمون بنافعِ بنِ الأزرقِ

---

(١) ندب: وَجّه.

(٢) الكبكبة: الجماعة.

(٣) كرنِبُوا: انزلوا كرنبى: وهي موضع في نواحي الأهواز (معجم البلدان ٤/٤٥٧). ودَولبوا: انزلوا دولاب.

(٤) دُجَيل: نهر بالأهواز حفره أردشير أحد ملوك الفرس (معجم البلدان ٢/٤٤٣).

(٥) تِيرَى: بلد من نواحي الأهواز فتحت سنة ثماني عشرة (معجم البلدان ٢/٦٦).

والـمـوتُ حَـتْـمٌ لا مَـحـالـةَ واقِـعٌ مَـنْ لا يُـصَـبِّـحْـهُ نـهـاراً يـطْـرُقِ[١]
فَـلَـئِـنْ أَمِـيـرَ الْـمُـؤْمِـنِـيـنَ أَصَـابَـهُ رَيْـبُ الـمَـنُـونِ فَـمـنْ تُـصِـبْـهُ يَـغْـلَـقِ[٢]

قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة، فيما ذكر المبرِّد، وقال المدائني في خبره: إن صالح ابنَ عبد الله العَبْشَمِيّ قائلُ ذلك؛ وقال خالد بن خدَاش: بل قائلها عمرو القَنَا؛ قال وهب بن جرير عن أبيه فيما حدّثني به أحمد بن الجَعْد الوَشّاء عن أحمد بن أبي خَيْثمة عن أبيه عن وَهْب بن جَرير عن أبيه: إن حَبيب بن سَهْم قائلُها: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ إنّـي فِـي الـحَـيـاةِ لَـزَاهِـدٌ وَفِـي الـعَـيْـشِ مَـا لَـمْ أَلْـقَ أُمَّ حَـكِـيـمِ
مِـنَ الـخَـفِـراتِ البيضِ لَـمْ أَرَ مِـثْـلَـهـا شِـفَـاءً لِـذِي بَـثٍّ وَلاَ لِـسَـقِـيـمِ
لَـعَـمْـرُكَ إنّـي يَـوْمَ أَلْـطِـمُ وَجْـهَـهَـا عَـلَـى نـائـبـاتِ الـدَّهْـرِ غَـيْـرُ حَـلِـيـمِ
وَلَـوْ شَـهِـدتْـنِـي يَـوْمَ دولابَ أَبْـصَـرَتْ طِـعانَ فَـتًـى فِـي الـحَـرْبِ غَـيْـرِ لَـئِـيـمِ
غَـدَاةَ طَـفَـتْ عَـلْـمَـاءِ بَـكْـرُ بـنُ وَائـلٍ وَأُلاَّفُـهـا مِـنْ حِـمْـيَـرٍ وَسـلـيـمِ[٣]
ومَـالَ الـحِـجَـازِيُّـونَ نَـحْـوَ بِـلادِهِـمْ وَعُـجْـنـا صُـدُورَ الـخَـيْـلِ نَـحْـوَ تَـمِـيـمِ
وَكَـانَ لِـعَـبْـدِ الـقَـيْـسِ أَوَّلُ جِـدِّهـا وَوَلَّـتْ شُـيـوخُ الأَزْدِ فَـهِـيَ تَـعُـومُ[٤]
فَـلَـمْ أَرَ يَـوْمـاً كَـانَ أَكْـثَـرَ مُـقْـعَـصـاً يَـمُـجُّ دَمـاً مِـنْ فـائِـظٍ وكَـلِـيـمِ[٥]
وَضَـارِبَـةً خـدّاً كـريـمـاً عـلـى فَـتًـى أَغَـرَّ نَـجِـيـبِ الأُمَّـهـاتِ كَـرِيـمِ
أُصِـيـبَ بِـدُولابٍ ولَـمْ تَـكُ مَـوطِـنـاً لَـهُ أَرْضُ دُولابٍ ودَيْـرُ حَـمِـيـمِ[٦]
فَـلَـو شَـهِـدَتْـنَـا يَـومَ ذَاكَ وَخَـيْـلُـنَـا تُـبـيـحُ مِـنَ الـكُـفَّـارِ كُـلَّ حَـرِيـمِ
رَأَتْ فِـتْـيَـةً بَـاعُـوا الإِلـهَ نُـفُـوسَـهُـمْ بِـجَـنَّـاتِ عَـدْنٍ عِـنْـدَهُ وَنَـعِـيـمِ

حدّثني حَبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا خَلاّد الأرقط قال: كانَ الشُّراةُ والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يَهيج بعضهُم بعضاً. فتواقف يوماً عبيدة بن هِلال اليَشْكُرِيّ وأبو حُزَابَة التَّميمي وهما في الحرب؛ فقال عبيدة:

---

(١) طَرَق القومَ: أتاهم ليلاً.
(٢) أمير المؤمنين: يريد به نافع بن الأزرق. ويغلق: أي لا ينفلت ولا ينجو.
(٣) عَلْماء: يريد على الماء.
(٤) في هذا البيت إقواء.
(٥) المقعص: يقال أقعصه بالرمح إذا طعنه به فمات مكانه. والفائظ: الميت. والكليم: الجريح.
(٦) دَيْر حَميم: موضع بالأهواز (معجم البلدان ٢/ ٥٠٦).

يا أبا حُزَابة، إني سائلُك عن أشياء، أفتصْدُقني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تَضمّنْت لي مثل ذلك؛ قال: قد فعلتُ. قال: سل عما بدا لك. قال: ما تقول في أئمتكم؟ قال: يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْج الحرام. قال: وَيْحَك! فكيف فعلُهم في المال؟ قال: يَجْبونه من غير حِلّه، ويُنفقونه في غير حقه. قال: فكيف فعلُهم في اليتيم؟ قال: يظلمونه مالَه، ويمنعونه حقه، وينيكون أمّه. قال: ويلك يا أبا حُزَابة! أفمثلَ هؤلاء تتّبع؟! قال: قد أجبتُ، فاسمع سؤالي ودع عنك عتابي على رأيي؛ قال: قل. قال: أيُّ الخمر أطيبُ: أخمر السهل أم خمر الجبل؟ قال: ويلك! أتسأل مثلي عن هذا؟ قال: قد أَوْجبتَ على نفسك أن تُجيب؛ قال: أمّا إذا أبَيْتَ فإنّ خمر الجبل أقوى وأسكر، وخمرَ السهل أحسنُ وأسلس. قال أبو حُزَابة: فأيّ الزَّواني أفْره[١]: أزواني رَامَهُرْمُز[٢] أم زواني أرَّجَان[٣]؟ قال: ويلك! إن مثلي لا يُسأل عن مثل هذا؛ قال: لا بدّ من الجواب أو تغدر؛ فقال: أمّا إذا أبيت فزواني رَامَهُرْمُز أرقّ أبشاراً، وزواني أرَّجَان أحسن أبداناً. قال: فأيّ الرجلين أشعر: أجرير أم الفرزدق؟ قال: عليك وعليهما لعنة الله أيهما الذي يقول:

وَطَوَى الطِّرادُ مَعَ القِيادِ بُطُونَها ... طَيَّ التِّجارِ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا

قال: جرير؛ قال: فهو أشعرهما. قال: وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلّب محكِّمين له في ذلك؛ فقال: أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني! ما كنت لأحكم بينهما، ولكني أدلُّكم على من يحكم بينهما ثم يَهون عليه سِبابُهما، عليكم بالشُّرَاة فسَلُوهم إذا تواقفتم. فلما تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: حُدِّثْتُ أن امرأة من الخوارج كانت مع قطَرِيّ بن الفُجَاءة يقال لها أُمُّ حكيم، وكانت من

---

(١) فره فرهاً: نَشِط.

(٢) رامهرمز: مدينة بنواحي خوزستان (معجم البلدان ٣/ ١٧).

(٣) أرجان: مدينة برية بحرية سهلية جبلية (معجم البلدان ١/ ١٤٢).

أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنِهم بدينهم تمسُّكاً، وخطَبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِب إلى ذلك؛ فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز: [الرجز]

أَحْمِلُ رَأْساً قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهْ وَقَدْ مَلِلْتُ دَهْنَهُ وَغَسْلَهْ

أَلاَ فَتًى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهْ

قال: وهم يُفَدُّونها بالآباء والأمهات، فما رأيت قبلَها ولا بعدها مثلَها.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِرَاس قال: حدّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال:

كان عبيدة بن هلال إذا تكافَّ[1] الناسُ ناداهم: ليخرجْ إليّ بعضكُم؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر؛ فيقول لهم: أيّما أحبُّ إليكم: أقرأ عليكم القرآن أو أُنشدُكم الشعر؟ فيقولون له: أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك، فأنشدْنا؛ فيقول لهم: يا فَسَقَةُ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعرَ على القرآن، ثم لا يزال يُنْشِدهم ويستنشدهم حتى يَمَلّوا ثم يفترقون.

(١) تكافَّ: امتنع.

أخبار سياط ونسبه

[توفي ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م]

[اسمه ونسبه ولقبه وولاؤه]

سِياطٌ لقب غلب عليه، واسمُه عبد الله بن وهب، ويُكْنى أبا وهب، مكيّ مولى خُزاعة. وكان مقدَّماً في الغناء روايةً وصنعةً، ومقدَّماً في الضرب معدوداً في الضُّرّاب. وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي، وعنه أخذا ونَقلا ونقل نظراؤهما الغناء القديم، وأخذه هو عن يونس الكاتب. وكان سياط زوجَ أمِّ ابن جامع. وفيه يقول بعض الشعراء: [الخفيف]

مَا سَمِعْتُ الغِنَاءَ إلاَّ شَجَانِي ... مِنْ سِيَاطٍ وَزَادَ فِي وَسْوَاسِي

غَنِّنِي يَا سِيَاطُ قَدْ ذَهَبَ اللَّيـ ... ـلُ غِنَاءً يَطِيرُ مِنْه نُعَاسِي

مَا أُبَالِي إِذَا سَمِعْتُ غِنَاءً ... لِسِيَاطٍ مَا فَاتَنِي لِلرُّؤاسِي

والرؤاسيّ الذي عَنَاه هو عباس بن مِنْقار، وهو من بني رُؤاس. وفيه يقول محمد بن أَبَان الضَّبِّيّ:

إذَا وَاخَيْتَ عَبَّاساً ... فَكُنْ مِنْهُ عَلَى وَجَلِ[1]

فَتًى لاَ يَقْبَلُ العُذْرَ ... وَلاَ يَرْغَبُ فِي الوَصْلِ

وَمَا إِنْ يَتَغَنَّى مَنْ ... يُوَاخِيهِ مِنَ النُّبْلِ

قال حَمَّاد بن إسحاق: لُقِّب سِيَاطٌ هذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يتغنّى:

---

(١) الوَجَل: الخوف.

[الوافر]

كَـأَنَّ مَـزَاحِـفَ الـحَـيَّـاتِ فِـيــهِ قُـبَـيْـل الـصُّـبْـحِ آثَـارُ الـسِّـيَـاطِ

وأخبرني محمد بن خلف قال: حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه، وأخبرني به عبد الله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسواسة الموصليّ ـ ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة ـ عن حماد عن أبيه، قالا: غنّى إبراهيمُ الموصليّ يوماً صوتاً لِسيَاط؛ فقال له ابنه إسحاق: لمن هذا الغناء يا أبتِ؟ قال: لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله: لسياط. قال: وقال المهديّ يوماً وهو يشرب لسَلاّم الأبرش: جئني بِسِيَاط وعقاب وحِبال؛ فارتاع كلٌّ من حضر وظنّ جميعهم أنه يريد الإِيقاع بهم أو ببعضهم؛ فجاءه بسياط المغنّي وعقاب المدني ـ وكان الذي يُوقِع عليه ـ وحبال الزامر. فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك.

[بينه وبين أبي ريحانة]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: مرّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رثّ؛ فوثب إليه أبو ريحانة وقال: بأبي أنت يا أبا وهب، غنّني صوتَك في شعر ابن جُنْدب: [الطويل]

فُـؤَادِي رَهِـيـنٌ فِـي هـواكِ وَمُـهْـجَـتـي تَـذُوبُ وَأَجْـفَـانِـي عـلـيـكِ هُـمُـولُ

فغنّاه إياه، فشقّ قميصَه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجهداً. فقال له رجل: ما أغنى عنك ما غنّاك من شقِّ قميصك! فقال له يابن أخي، إن الشعر الحسنَ من المغنِّي الحسن ذي الصوت المُطْرِب أدفأ للمقرور[١] من حمّام مُحمّى. فقال له رجل: أنت عندي من الذين قال الله جل وعزّ: ﴿فما رَبحتْ تِّجارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٢] فقال: بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى: ﴿الّذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾[٣] وقد أخبرني بهذا الخبر عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه فذكر قريباً من هذا؛ ولفْظُ أبي أيوب وخبرُه أتم.

---

(١) المقرور: الذي أصابهُ برد شديد. والقرّ: البرد الشديد القارس.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٦.

(٣) سورة الزمر، الآية ١٨.

وأخبرني إسماعيل بن يُونس الشِّيعي، المعروف بابن أبي اليسع، قال: حدّثنا عمر بن شَبّة، أنّ سِياطاً مَرّ بأبي رَيْحانة المَدَنيّ، فقال له: بحق القبر ومنْ فيه غَنِّني بلَحْنك في شعر ابن جُنْدب: [الطويل]

لِكُلِّ حَمَامٍ أَنْتَ بَاكٍ إذا بَكَى ... وَدَمْعُكَ مُنْهَلٌّ وَقَلْبُكَ يَخْفِقُ

مَخَافَةَ بُعْدٍ بَعْدَ قُرْبٍ وَهِجْرَةٍ ... تَكُونُ وَلَمَّا تأتِ وَالقَلْبُ مُشْفِقُ

وَلِي مُهْجَةٌ تَرْفَضُّ مِنْ خَوفِ عَتْبِهَا ... وَقَلْبٌ بِنارِ الحُبِّ يصْلَى ويُحْرَقُ

أَظَلُّ خَلِيعاً بَيْنَ أهلِي مُتَيَّماً ... وَقَلْبِي لِمَا يَرْجُوهُ مِنْها مُعَلَّقُ

فغنّاه إياه؛ فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشي عليه. فقال له رجل لمّا أفاق: يا أبا ريحانة، ما أغنى عنك الغناء! ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدّم أخبرني إسماعيل قال: حدّثني عمر بن شبّة قال: مرّت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قِربةٌ وهي تغنّي وتقول: [الطويل]

وأَبْكِي فَلاَ لَيلَى بَكَتْ مِنْ صَبابةٍ ... إلَيَّ وَلاَ لَيْلَى لِذِي الوُدِّ تَبْذُلُ

وَأَخْنَعُ بِالعُتْبَى إذَا كُنتُ مُذْنِباً ... وَإنْ أَذْنَبَتْ كُنْتُ الَّذِي أَتَنَصَّلُ(١)

فقام إليها فقال: يا سيِّدتي أعيدي؛ فقالت: مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري؛ فقال: أنا أحملها عنك؛ فدفعتها إليه فحملها، وغنته الصوت، فطرب فرمى بالقربة فشقّها. فقالت له الجارية: أمن حقّي أن أُغنّيَك وتشقّ قربتي! فقال لها: لا عليك، تعالَيْ معي إلى السّوق؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفَته واشترى لها بثمنها قربةً جديدة. فقال له رجل: يا أبا ريحانة، أنت والله كما قال الله عز وجل: ﴿**فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾؛ فقال: بل أنا كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**الَّذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُون أَحْسَنَه**﴾.

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال: حدّثني أبو العَيْناء قال: قال إسحاق الموصليّ:

بلغني أنّ أبا رَيْحانة المدنيّ كان جالساً في يومٍ شديد البرد وعليه قميص

---

(١) أخنع: أذل وأخضع. وأتنصّل: أتبرأ من الذنب وكأنني المذنب.

خَلَق[١] رَقيق؛ فمرّ به سِيَاط المغنّي فوثب إليه وأخذ بِلجامه وقال له: يا سيِّدي، بحق القبر ومَنْ فيه غنِّني صوت ابن جُنْدب، فغنّاه: [الطويل]

فُؤادِي رَهِينٌ فِي هَوَاكِ ومُهْجَتِي ... تَذُوبُ وَأَجْفانِي عَلَيْكِ هُمُولُ

فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقي عارياً وغُشي عليه، واجتمع الناسُ حوله وسِياطٌ واقفٌ متعجِّب مما فعل. ثم أفاق وقام إليه؛ فرحمه سِياط وقال له: ما لك يا مشؤوم؟ أيَّ شيء تريد؟ قال: غنّني بالله عليك: [الكامل]

وَدِّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيلُ ... إنَّ الوَداعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ

مِثْلُ القَضِيبِ تَمَايَلَتْ أَعْطافُهُ ... فَالرِّيحُ تَجْذِبُ مَتْنَهُ فَيَمِيلُ

إنْ كَانَ شأنُكُمُ الدَّلالُ فإنَّهُ ... حَسَنٌ دَلالُكِ يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ

فغنّاه إياه؛ فلطَم وجهَه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً. ومضى سياط، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس. فلما أفاق قيل له: ويحك! خرقتَ قميصَك وليس لك غيره! فقال: دعوني، فإن الغناء الحسن من المغنّي المطرب أدفأ للمقرور من حَمّام المهديّ إذا أُوقِد سبعةَ أيام. قال: ووجّه له سِيَاط بقميص وجُبّة وسَراوِيل وعمامة.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الله الخُزَاعيّ وحَمّاد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال:

كان سياطٌ أستاذَ أبي وأستاذَ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر. فاعتلّ علة، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه. فقال له أبي: أعْزِزْ عليّ بِعِلَّتِكَ أبا وهب! ولو كانت مما يُفتدى لفديتُك منها. قال: كيف كنتُ لكم؟ قلنا: نِعمْ الأستاذ والسيِّد. قال: قد غنَّيتُ لنفسي ستين صوتاً فأُحبّ ألاّ تغيِّروها ولا تنتحلوها. فقال له أبي: أفعلُ ذلك يا أبا وهب، ولكن أيَّ ذلك كرهتَ: أن يكون في غنائك فضلٌ فأُقصِّر عنه فيُعْرَف فضلُك عليّ فيه، أو أن يكون فيه نقصٌ فأُحسنه فيُنسب إحساني إليك ويأخذه الناس عني لك؟ قال: لقد استعفيتَ من غير مكروه. قال الخزاعيّ في خبره: ثم قال لي إسحاق: كان سياط خُزَاعيّاً، وكان له زامر يقال له حِبال،

(١) خَلَق: بالٍ.

وضارب يقال له عقاب. قال حماد قال أبي: أدركت أربعةً كانوا أحسن الناس غناء، سِيَاطٌ أحذُهم. قال: وكان موتُه في أوّل أيام موسى الهادي.

أخبرني يحيى قال: حدّثنا أبو أيوب عن مصعب قال: دخل ابن جامع على سِيَاط وقد نزل به الموت؛ فقال له: ألك حاجة؟ فقال: نعم، لا تَزِد، في غنائي شيئاً ولا تنقُص منه، دعه رأساً برأس، فإنما هو ثمانية عشرَ صوتاً.

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال: حدّثنا حَمّاد قال: حدّثني محمد بن حَديد أخو النَّضْر بن حديد، أن إخواناً لسياط دَعَوْه، فأقام عندهم وبات، فأصبحوا فوجدوه ميّتاً في منزلهم فجاءوا إلى أُمّه وقالوا: يا هذه، إنّا دعونا ابنَك لنُكرمه ونُسَرَّ به ونأنَس بقربه فمات فجأة، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئتِ، ونشدْناكِ الله ألاّ تعرّضينا للسلطان أو تَدّعي فيه علينا ما لم نفعلْه. فقالت: ما كنتُ لأفعل، وقد صدقتم، وهكذا مات أبوه فجأة. قال: فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته. وقد ذُكرت هذه القصةُ بعينها في وفاة نُبَيْه المغنّي، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى.

أخبرنا يحيى بن عليّ وعيسى بن الحسين الزيات ـ واللفظ له ـ قالا: حدّثنا أبو أيوب قال: حدّثنا أحمد بن المَكّي قال: غنّيتُ إبراهيم بن المهديّ لسياط:

ضَافَ قَلْبِي الهَوَى فأكْثَرَ سَهْوِي

فاستحسنه جدّاً، وقال لي: ممن أخذته؟ قلت: من جارية أبيك قُرَشِيَّة الزَّبّاء؛ فقال: أُشعرتُ أنه كان لأبي ثلاثُ جوارٍ مُحسنات كلُّهن تسمّى قرشيّة، منهن قرشيّة الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء، وكانت الزباء أحسنهن غناء ـ يعني التي أخذتُ منها هذا الصوت ـ قال: وكنت أسمعها كثيراً تقول: قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدت أغانيهم، فما رأيت فيهم مثل سِياط قطُّ. هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة.

نسبة هذا الصوت

صوت

[الخفيف]

ضَافَ قَلْبِي الهَوَى فأكْثَرَ سَهْوِي وَجَوَى الحُبِّ مُفظِعٌ غَيْرُ حُلْوِ
لَوْ عَلاَ بَعْضُ مَا عَلانِي ثَبِيراً ظَلَّ ضَعْفاً ثَبِيرُ مِنْ ذَاكَ يَهْوِي[١]
مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى الغَوانِي خَلِيّاً يَا ثِقَاتِي فإنَّنِي غَيرُ خِلْوِ

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق.

صوت

من المائة المختارة

[البسيط]

يَا أمَّ عَمْرٍو لَقَدْ طَالَبْتُ وُدَّكُمُ جُهْدِي وأَعْذَرْتُ فِيهِ كُلَّ إعْذَارِ
حَتَّى سَقِمْتُ، وَقَدْ أصْبَحْتِ سَالِمَةً مِمَّا أُعالِجُ مِنْ هَمٍّ وَتَذْكَار

لم يُسَمَّ قائلُ هذا الشعر. والغناء للرَّطّاب. والرَّطّاب مدنيّ قليل الصنعة ليس بمشهور. وقيل له الرَّطّاب لأنه كان يبيع الرُّطَب بالمدينة. ولحنُه المختار هزجٌ بالوسطى.

صوت

من المائة المختارة

[المنسرح]

تَصَدَّعَ الأَنَسُ الجَمِيعُ أمْسَى فَقَلْبِي بِهِ صُدوعُ[٢]
فِي إثْرِهِمْ وَجُفُونُ عَيْنِي مُخْضَلَّةٌ كُلُّهَا دُمُوع

لم يُسمّ لنا قائل هذا الشعر ولا عرَفْناه. والغناء لدُكَين بن يزيد الكُوفي. ولحنه المختار من خفيف الثقيل بالوسطى، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المختارة للواثق. وذكر هذا الصوت في مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دكين، وجنّسه في الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر

(١) ثبير: من أعظم جبال مكة بينها وبين عَرَفَة (معجم البلدان ٢/ ٧٣).

(٢) الأَنَس: الحي المقيمون.

الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر، فزعم أنه ينسب إلى مَعْبد وإلى الغَرِيض. وفيه بيتان آخران وهما:

فَالْقَلْبُ إنْ سِيمَ عَنْكِ صَبْراً كُلِّفَ مَا لَيْسَ يَسْتَطِيعُ
عَاصٍ لِمَنْ لاَمَ فِي هَوَاكُمْ وَهْوَ لَكُمْ سَامِعٌ مُطِيعُ

صوت

من المائة المختارة

[مجزوء الكامل]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الّذِي قَدْ زَانَ مَنْطِقَهُ البَيَانُ
لاَ تَعْتِبَنَّ عَلَى الزَّمَانِ فَلَيْسَ يُعْتِبُكَ الزَّمَانُ

الشعر لعبد الله بن هارون العَرُوضيّ. والغناء لنُبَيه المُغَنّي، ولحنه المختار ثقيل أوّل بالبنصر.

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنه وقع إليّ له خبرٌ إلا ما شُهر من حاله في نفسه. وهو عبد الله بن هارون بن السَّمَيْدع، مولى قريش، من أهل البصرة. وأخذ العروضَ من الخليل بن أحمد، فكان مقدَّماً فيه. وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدّب أولادَهم، وكان يمدحهم كثيراً، فأكثرُ شعره فيهم. وهو مُقِلّ جدّاً. وكان يقول أوزاناً من العروض غريبةً في شعره، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضيّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة، وجعل أكثرَ شعره من هذا الجنس. فأمّا عبد الله ابن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرتُه.

ذِكْرُ نُبَيْهِ أخبارُهُ

[توفي ٢ هـ/ ٦٢٤ م]

[أصله وصنعته]

زعم ابن خُرْداذبه أنه رجل من بني تمِيم صلِيبةٌ، وأن أصله من الكوفة، وأنه كان في أوّل أمره شاعراً لا يغنّي، ويقول شعراً صالحاً. فهوِيَ قينة ببغداد فتعلَّم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها، ولم يزل يتزيَّد حتى جاد غناؤه وصنع فأحسن واشتهر، ودُوِّن غناؤه وعُدَّ في المُحسِنين. فمما قاله في هذه الجارية وغَنَّى فيه قولُه:

صوت [الكامل]

يَا رَبِّ إنِّي ما جَفَوْتُ وَقَدْ جَفَتْ ... فَإلَيْكَ أَشْكُو ذَاكَ يَا رَبَّاهْ
مَولاةُ سَوْءٍ مَا تَرِقُّ لِعَبْدِهَا ... نِعْمَ الغُلامُ وَبِئْسَتِ المَولاَهْ
يَا رَبِّ إنْ كَانَتْ حَيَاتِي هكَذا ... ضَرَراً عَلَيَّ فَمَا أُرِيدُ حَيَاهْ

الغناء لنُبيه ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. ومن الناس من ينسِبُ الشعر والغناء إلى عُلَيّة بنت المهديّ.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: قلت لمخارق، وقد غنّى هذا الصوت يوماً: [الطويل]

مَتى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِيَّ وَصارِماً ... وأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ

فسألته لمن هو، فقال: هذا لنُبيه التَّمِيمي، وكان له أخوان يقال لهما مُنبِّه ونبْهان، وكان ينزل شهارْسُوج الهيْثم في درب الرَّيْحان. قال أبو زيد: وسمعتُ مخارقاً يحدِّث إسحاق بن إبراهيم قال: سمعت أباك إبراهيم بن ميْمون يقول ـ وقد

ذكر نُبَيْهاً ـ: إن عاش هذا الغلام ذهب خبرنا. قال: وكنت قد غنّيته صوتاً أخذته عنه، وهو: [الطويل]

شَكَوتُ إلَى قَلبِي الفِراقَ فَقَالَ لِي ... مِنَ الآنَ فَايْأَسْ لاَ أغُرُّكَ بِالصَّبْرِ

إذَا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وأَسْلَمَنِي العَزَا ... فَفُرْقَةُ مَنْ أَهْوَى أَحَرُّ مِنَ الجَمْرِ

[وفاته]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال: حدّثني عليّ بن المفضَّل قال: اصطبحنا يوماً أنا ونُبَيْه عند عبيد الله بن أبي غسّان، فغنانا نُبيه لحنه: [مجزوء الكامل]

يَا أيُّهَا الرَّجُلُ الّذِي ... قَدْ زَانَ مَنْطِقَهُ البَيَانُ

فما سمعت أحسن منه، وكان صوتُنا عليه بقية يومنا. ثم أردنا الانصراف، فسألَنا عُبيد الله أن نَبيت عنده ونصطبح من غد فأجبناه. وقال لنُبيْه: أي شيء تشتهي أن يُصلح لك؟ قال: تشتري لي غزالاً فتُطعمني كبده كباباً، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحب؛ فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أحب. فلما استوفى أكْله استلقى لينام، فحرّكناه فإذا هو ميت، فجزِعْنا من ذلك. وبعث عبيدُ الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رأته استرجَعَتْ ثم قالت: لا بأس عليكم! هو رابع أربعة ولدتُهم كانت هذه مِيتتهم جميعاً ومِيتة أبيهم من قبلهم؛ فسكنّا إلى ذلك. وغُسّل في دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلّي عليه، ومضينا به إلى مقابرهم فدُفن هناك.

صوت

من المائة المختارة

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِسُعْدَى وَعَبْرَتِي ... تَرَقْرَقُ فِي العَيْنَيْنِ ثُمَّ تَسِيلُ

أُسائِلُ رَبْعاً قَدْ تَعَفَّتْ رُسُومُهُ ... عَلَيْهِ لأَصْنافِ الرِّياحِ ذُيولُ(١)

لم يُسمَّ لنا قائل هذا الشعر. والغناء لسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

---

(١) الذيل: آخر كل شيء.

أخبار سُلَيم

[توفي ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م]

[اسمه ونسبه وكنيته]

هو سُلَيم بن سَلاّم الكُوفيّ، ويُكنى أبا عبد الله. وكان حسن الوجه حسن الصوت. وقد انقطع وهو أمردُ إلى إبراهيم الموصليّ، فمال إليه وتعشّقه، فعلّمه وناصحه، فبرع وكثرت روايتُه، وصنع فأجاد. وكان إسحاق يهجوه ويطعن عليه واتّفق له اتفاقٌ سيِّىء: كان يخدمُ الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنِه إسحاق وفُلَيح بن العَوْراء وحَكَم الواديّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط. وكان من أبخل الناس، فلما مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال؛ فقبضها السلطان عنه.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه أن إسحاق قال في سُليم: [الطويل]

سُلَيْمُ بْنُ سَلاَّمٍ عَلى بَرْدِ خلْقِهِ ... أَحَرُّ غِناءً مِنْ حُسَيْنِ بْنِ مُخرِزِ

وأخبرنا إسماعيل بن يُونس قال: حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق أنّ الرشيد قال لبَرْصُوما الزامر - وكانت فيه لكُنة -: ما تقول في ابن جامع؟ قال: زِقٌّ من أسَل (يريد من عسل). قال: فإبراهيم؟ قال: بستان فيه فاكهة وريحان وشوك. قال: فَيزيد حَوْراء؟ قال: ما أبْيَد أسنانه! (يريد ما أبيض). قال: فَحُسين بن محْرِز؟ قال: ما أهسن خظامه! (يريد ما أحسن خضابَه). قال: فسُلَيم بن سلاّم؟ قال: ما أنظف ثيابه!

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شَبّة عن إسحاق: وغنّى سُلَيم يوماً وبَرْصُومَا يزمِرُ عليه بين يدي الرشيد، فقصّر سُلَيم في موضع صيحة، فأخرج

برصوما الناي من فيه ثم صاح به وقال له: يا أبا عبد الله، صَيهة أشدّ من هذا، صيهة أشدّ من هذا؛ فضحك الرشيد حتى استلقى. قال: وما أذكر أني ضحكت قطُّ أكثر من ذلك اليوم.

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال محمد بن الحسن بن مصعَب: إنما أخَّر سُليماً عن أصحابه في الصنعة وَلعُه بالأهزاج، فإن ثُلُثَي صنعته هَزَج، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم. قال: ثم قال محمد: غنَّى سُلَيم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثة أصواتٍ من الهَزَج وِلاءً، أوّلها:

مُـتْ عَـلَـى مَـنْ غِـبْـتَ عَـنْـهُ أَسَـفَـا

والثاني:

أَسْـرَفْـتَ فِـي الإِغْـرَاضِ والـهَـجْـرِ

والثالث:

أَضْـبَـحَ قَـلْـبِـي بِـهِ نُـدوبُ

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال له: لو كنت الحكَمَ الواديّ ما زِدْتَ على هذا الإِحسان في أهزاجك. (يعني أنّ الحكم كان منفرداً بالهزج).

نسبة هذه الأصوات

صوت

[الرمل]

مُتْ عَلَى مَنْ غِبْتَ عَنْهُ أَسَفَا ... لَسْتَ مِنْهُ بِمُصِيبٍ خَلَفَا
لَنْ تَرَى قُرَّةَ عَيْنٍ أبداً ... أَوْ تُرَى نَحْوَهُمْ مُنْصَرِفَا
قُلْتُ لَمَّا شَفَّنِي وَجْدِي بِهِمْ ... حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا بِي وَكَفَى
بَيَّنَ الدَّمْعُ لِمَنْ أَبْصَرَنِي ... مَا تَضَمَّنْتُ إذا مَا ذَرَفَا

الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لسُلَيم، وله فيه لحنان، أحدهما في الأوّل والثاني هَزَج بالوسطى، والآخر في الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق. وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها: **صوت** [السريع]

أَسْـرَفْـتَ فِـي الإِعْـرَاضِ وَالـهَـجْـرِ وَجُـزْتَ حَـدَّ الـتِّـيـهِ والـكِـبْـرِ
الـهَـجْـرُ والإِعْـرَاضُ مِـنْ ذِي الـهَـوَى سُـلَّـمُ ذِي الـغَـدْرِ إِلَـى الـغَـدْرِ
مَـا لِـي ولـلْـهِـجْـرانِ حَـسْـبِـي الَّـذِي مَـرَّ عَـلَـى رَأْسِـي مِـنَ الـهَـجْـرِ
وَدُونَ مَـا جَـرَّبْـتُ فِـيـمَـا مَـضَـى مَـا عَـرَّفَ الـخَـيْـرَ مِـنَ الـشَّـرّ

الغناء لسُلَيم هزج بالبنصر.

ومنها: **صوت** [مخلع البسيط]

أَصْـبَـحَ قَـلْـبِـي بِـهِ نُـدوبُ أَنْـدَبَـهُ الـشَّـادِنُ الـرَّبِـيـبُ[1]
تَـمَـادِيـاً مِـنْـهُ فِـي الـتَّـصَـابِـي وَقَـدْ عَـلاَ رَأْسِـيَ الـمَـشِـيـبُ
أَظَـنَّـنِـي ذَائِـقـاً حِـمَـامِـي وَأَنَّ إِلْـمَـامَـهُ قَـرِيـبُ
إِذَا فُـؤادٌ شَـجَـاهُ حُـبٌّ فَـقَـلَّـمَـا يَـنْـفَـعُ الـطَّـبِـيـبُ

الشعر لأبي نُوَاس. والغناء لسُليم، وله فيه لحنان: خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق، وهزج بالوسطى عن الهشاميّ. وزعَمتْ بَذْلُ أنّ الهزج لها.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: كان سُليم بن سَلاَّم كوفياً، وكان أبوه من أصحاب أبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاتِه وثِقاته، فكان يكاتب أهلَ العراق على يده. وكان سُليم حسنَ الصوت جَهيرَه، وكان بخيلاً.

قال أحمد بن أبي طاهر وحدّثني أبو الحواجب الأنصاريّ، واسمه محمد، قال: قال لي سُلَيم يوماً: امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادْعُه وَوَافِياني مع الظهر، فجئناه مع الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنة ونبيذاً، ولم يُطْعمنا شيئاً، ولم نكن أكلنا شيئاً. فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً، فأدخله إلى الكنيف[2] وجلسنا نأكل؛ فدخل علينا، فلما رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال: أهكذا يفعل الناس! تأكلون ولا تُطعموني! وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فَنِيَ الخبز والبيض.

---

(١) الشَّادِن: ولد الظبية. والرَّبيب: المُرَبّى المنعَم عليه.
(٢) الكنيف: السترة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني الفضل بن محمد اليزيدي قال: حدّثني أبي قال: كان سُلَيم بن سَلاّم صديقي وكان كثيراً ما يغشاني. فجاءني يوماً وأعلمني الغلامُ بمجيئه، فأمرتُ بإدخاله، فدخل وقال: قد جئتك في حاجة؛ فقلت: مقضيّة. فقال: إنّ المِهْرجان بعد غد، وقد أُمرنا بحضور مجلس الخليفة، وأُريد أن أُغنّيه لحناً أصنعه في شعر لم يعرفه هو ولا مَنْ بحضرته، فقُلْ أبياتاً أُغني فيها مِلاحاً؛ فقلت: على أن تُقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن! قال: أفعل. فردّوا دابّته وأقام عندي، وقلت:

ومنها:

صوت

[مجزوء الوافر]

أَتَـيْـتُـكَ عَـائِـذاً بِـكَ مِـنْـ ... ـكَ لَـمَّـا ضَـاقَـتِ الْـحِـيَـلُ

وَصَـيَّـرَنِـي هَـواكَ وَبِـي ... لِـحَـيْـنِـي يُـضْـرَبُ الـمَـثَـلُ

فَـإِنْ سَـلِـمَـتْ لَـكُـمْ نَـفْـسِـي ... فَـمَـا لاَقَـيْـتُـهُ جَـلَـلُ

وإنْ قَـتَـلَ الـهَـوَى رَجُـلاً ... فَـإِنِّـي ذَلِـكَ الـرَّجُـلُ

فغنَّى فيه وشربنا يومئذٍ عليه، وغنّانا عدة أصوات من غنائه، فما رأيته مذ عرفته كان أنشط منه يومئذٍ.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال: حدّثني عبد الله بن محمد اليزيدي قال: حدّثني أخي محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سَرَقت من الشعر قطُّ إلا معنيين: قال مسلم بن الوليد: [الطويل]

ذَاكَ ظَبْـيٌ تَـحـيَّـرَ الـحُـسْـنُ فِي الأرْ ... كَـانِ مِـنْـهُ وَجَـالَ كُـلَّ مَـكَـانِ

عـرَضَـتْ دُونَـهُ الـحـجَـالُ فَـمَـا يَـلْـ ... قَـاكَ إلاَّ فِـي النَّـوم أو فِـي الأَمَـانِـي[1]

فاستعرت معناه فقلت:

صوت

[مجزوء الرمل]

يَـا بَـعِـيـدَ الـدّارِ مَـوْصُـو ... لاً بِـقَـلْـبِـي ولِـسَـانِـي

---

(١) الحجال: جمع حجلة وهي الستارة.

رُبَّـمَـا بَـاعَـدَكَ الـدَّهْـ ـرُ فَـأَدْنَـتْـكَ الأَمَـانِـي

ـ الغناء في هذين البيتين لسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشاميّ ـ.

قال: وقال مسلم أيضاً: [الوافر]

مَـتَـى مَـا تَـسْـمَـعِـي بِـقَـتِـيـلِ أرْضٍ فَـإنِّـي ذَلِـكَ الـرَّجُـلُ الـقَـتِـيـلُ

ـ ويُروى: «أُصيبَ فإنني ذاك القتيل» ـ فقلت: [مجزوء الوافر]

أَتَـيْـتُـكَ عَـائِـذاً بِـكَ مِـنْـ ـكَ لَـمَّـا ضَـاقَـتِ الـحِـيَـلُ
وَصَـيَّـرَنِـي هَـوَاكَ وبِـي لِـحَـيْـنِـي يُـضْـرَبُ الـمَـثَـلُ
فَـإنْ سَـلِـمَـتْ لَـكُـمْ نَـفْـسِـي فَـمَـا لاقَـيْـتُـهُ جَـلَـلُ
وإنْ قَـتَـلَ الـهَـوَى رَجُـلاً فَـإنِّـي ذلِـكَ الـرَّجُـلُ

وجدت في كتاب عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل، ولم أسمعه من أحد، أن إبراهيمَ بن المهديّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده ـ قال حمدون: وكنت فيهم ـ وكان فيمن دعا مُخَارِق، فسار إليه وهو سكران لا فضل فيه لطعام ولا لشراب، فاغتمّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع؛ فقال: لا والله أيها الأمير، ما كان آفتي إلا سُليم بن سلاّم؛ فإنه مرّ بي فدخل عليّ فغنّاني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السَّحَر حتى لم يبق فيّ فضلٌ وأخذتُه. فقال له إبراهيم: فَغَنِّنَاه إملالاً[1]، فغنّاه:

صوت

[الطويل]

إذَا كُـنْـتَ نَـدْمَـانِـي فَـبَـاكِـرْ مُـدامـةً مُـعَـتَّـقَـةً زُفَّـتْ إلَـى غَـيْـرِ خـاطِـبِ
إذا عُـتِّـقَـتْ فِـي دَنِّـهـا الـعـامَ أقْـبَـلَـتْ تـردَّى رداءَ الحُسْنِ في عَيْنِ شَارِبِ[2]

ـ الغناء لسُليم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ـ قال فبعث إبراهيم إلى سُليم فأحضره، فغنّاه إياه وطرحَه على جواريه وأمر له بجائزة، وشربنا عليه بقية يومنا حتى صِرْنا في حالة مُخارق وصار في مثل أحوالنا.

(١) إملالاً: أي من غير زيادة ولا نقصان.
(٢) تَرَدَّى: لبس الرّداء.

صوت

من المائة المختارة

[مجزوء الكامل]

عَتَقَ الفُؤادُ مِنَ الصِّبَا ... وَمِنَ السَّفاهَةِ والعِلاقِ
وَحَطَطْتُ رَحْلِي عَنْ قَلو ... ص الحُبِّ فِي قُلُصٍ عِتاقِ
وَرَفَعْتُ فَضْلَ إزارِيَ الْـ ... ـمَجْرورَ عَنْ قَدَمِي وسَاقِي
وكَفَفْتُ غَرْبَ النَّفْسِ ... حَتَّى ما تَتُوقُ إلى مَتاقِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر. والغناء لابن عَبّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لغيره، بل قيل: إنه لعمرو.

أخبار ابن عبّاد

[اسمه ونسبه ولقبه وَولاؤه]

هو محمد بن عبّاد، مولى بني مخزوم، وقيل: إنه مولى بني جُمَح، ويُكْنى أبا جعفر. مكّيّ من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم. وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء، مُتقِن الصنعة كثيرُها. وكان أبوه من كتّاب الديوان بمكة؛ فلذلك قيل ابن عباد الكاتب.

[غناؤه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثّقفي عن ابي خالد الكِناني عن ابن عبّاد الكاتب قال: والله إني لأمشي بأعلى مكة في الشِّعْب؛ إذا أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة، فظننتُ أنهم قالوا له: هذا ابن عبّاد؛ فمال إليّ فْمِلتُ إليه؛ فقال لي: أنت ابن عبّاد؟ قلت: نعم؛ قال: مِلْ معي هاهنا، ففعلت؛ فأدخلني شعبَ ابن عامر ثم أدخلني دِهليز ابن عامر وقال: غنِّني؛ فقلت: أُغنِّيك هكذا وأنت مالِك! ـ وقد كان يبلغني أنه يثلِب أهلَ مكة ويتعصّب عليهم ـ فقال: بالله إلا غَنَّيْتَني صوتاً من صنعتك. فاندفعت فغنَّيته:

صوت

[الوافر]

أَلاَ يَـا صَـاحِـبَـيَّ قِـفَـا قَـلِـيـلاً عَـلـى رَبْـعٍ تَـقَـادَمَ بـالـمُـنِـيـفِ[1]

---

(١) المُنِيف: اسم لأكثر من موضع منها أنه حصن في جبل صَبِر من أعمال تعزّ باليمن (معجم البلدان ٥/ ٢١٧).

فَـأَمْـسَـتْ دارُهُـمْ شَـحِـطَـت وَبَـانَـتْ وَأَضْحَى القَلْبُ يَخْفِقُ ذَا وَجِيفِ[١]

وما غنّيته إياه إلا على احتشام. فلما فرغتُ نظر إليّ وقال لي: قد والله أحسنتَ! ولكنّ حَلْقكَ كأنه حلقُ زانية. فقلت: أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ. وهذا اللحن من صدور غناء ابن عبّاد. ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

[وفاته]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا: حدّثنا أبو أيّوب المديني قال: حدّثني جماعة من أهل العلم، أنّ ابنَ عبّاد الكاتب تُوفِّي ببغداد في الدولة العباسية ودُفن بباب حرب[٢]. وقال أبو أيوب: أظنه فيمن قدم من مُغَنِّي الحجاز على المهديّ.

صوت

من المائة المختارة

[السريع]

يَـا طَـلَـلاً غَـيَّـرَهُ بَـعْـدِي صَـوْبُ رَبِـيـعٍ صَـادِقِ الـرَّعْـدِ
أَرَاكَ بَـعْـدَ الأُنـسِ ذَا وَحْـشَـةٍ لَـسْـتَ كَـمَـا كُـنْـتَ عَـلَـى الـعَـهْـدِ
مَـا لِـي أُبَـكِّـي طَـلَـلاً كُـلَّـمَـا سَـاءَلْـتُـهُ عَـيَّ عَـنِ الـرَّدِّ
كَـانَ بِـهِ ذُو غُـنُـجٍ أَهْـيَـفٌ أَحْـوِرُ مَـطْـبُـوعٌ عَـلَـى الـصَّـدِّ[٣]

لم يُسمِّ أبو أحمد قائل هذا الشعر. والغناء ليحيى المكيّ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى.

(١) شَحِطت: بَعُدت. الوجيف: الخَفَقان.
(٢) باب حرب: موضع ببغداد ينسب إلى حرب البلخي (معجم البلدان ١/٣٠٧).
(٣) الغُنج: التّكسر والتدلُّل.

أخبار يحيى المكي ونسبه

[توفي ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م]

[اسمه ونسبه ولقبه وولاؤه]

هو يحيى بن مرزوق، مولى بني أمية، وكان يَكْتُم ذلك لخدمته الخلفاءَ من بني العباس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه، فإذا سُئل عن وَلائه انتمى إلى قريش ولم يَذْكر البطن الذي ولاؤه لهم، واستعفَى من سأله عن ذلك. ويُكنى يحيى أبا عثمان. وذكر ابن خُرْداذْبَهْ أنه مولى خُزاعة. وليس قولُه مما يحصَّل، لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دِرَاية.

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعي صديقنا رحمه الله قال: حدّثني وَسْواسة بن الموصليّ ـ وقد لقيتُ وسواسة هذا، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلماً، ولم أسمع هذا منه فكتبتُه وأشياءَ أُخَر عن أبي بكر رحمه الله ـ قال حدّثني حماد بن إسحاق قال: قال لي أبي: سألت يحيى المكّي عن ولائه، فانتمى إلى قريش؛ فاستزدتُه في الشَّرح فسألني أن أُعفيَه.

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا: حدّثنا أبو أيوب المديني قال: كان يحيى المكي يُكنى أبا عثمان، وهو مولى بني أُمَيّة، وكان يكتم ذلك ويقول: أنا مولى قريش.

ولما قال أعشى بني سُلَيم يمدح دَحمان: [البسيط]

كَانُوا فُحُولاً فَصَارُوا عِنْدَ حَلْبَتِهِمْ لَمَّا انبَرَى لَهُم دَحْمَانُ خِصيانَا
فَأَبْلِغُوهُ عَنِ الأَعْشَى مَقَالَتَهُ أعْشَى سُلَيم أبي عَمْرو سُلَيْمَانَا
قُولُوا يَقُولُ أبُو عَمْرو لِصُحْبَتِهِ يَا لَيتَ دَحْمَانَ قَبْلَ المَوْتِ غَنّانَا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ ـ ويقال إن ابنه حَمْدان بن أبان قالها.

والأشبه عندي أنها لأبان، وما أظنّ ابنه أدرك يحيى -: [البسيط]

يَا مَنْ يُفَضِّلُ دَحْمَاناً وَيَمْدَحُهُ عَلَى المُغَنِّينَ طُرّاً قُلْتَ بُهتانَا
لَو كُنْتَ جَالَسْتَ يَحْيَى أَوْ سَمِعْتَ بِهِ لَمْ تَمْتَدِحْ أَبَداً ما عِشْتَ إنسانَا
ولَمْ تَقُلْ سَفَهاً في مُنْيَةٍ عَرَضَتْ يا ليتَ دَحْمانَ قَبْلَ المَوْتِ غَنّانا[١]
لَقَدْ عَجِبْتُ لِدحمانٍ ومادِحِهِ لاَ كَانَ مَادحُ دَحْمانٍ وَلاَ كَانَا
مَا كَانَ كابْنِ صَغِيرِ العَينِ إذْ جَرَيا بَلْ قَامَ فِي غَايَةِ المَجْرَى ومَا دَانَى
بَذَّ الجِيادَ أَبُو بَكْرٍ وَصَيَّرَها مِنْ بَعْدِ ما قَرِحَتْ جُذْعاً وثُنيانا[٢]

يعني بأبي بكر ابنَ صغير العين، وهو من مغنّي مكة. وله أخبار تُذكر في موضعها إن شاء الله تعالى.

[مكانته في الغناء وتأليفه فيه]

وعُمِّرَ يحيى المكي مائةً وعشرين سنة، وأصاب بالغناء ما لم يُصبه أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل. وكان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهديّ في أوّل خلافته، فخرج أكثرُهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يخدِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا. وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي، وكان يغنّي مرتجلاً، ويحضُر مجلس المعتمد مع المغنين فيُوقِع بقضيب على دواة. ولَقِيَه جماعة من أصحابنا، وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائز المغنيات، منهم قمرية العَمْريّة، وكانت أمَّ ولد عمرو بن بانة. وممن أدركه من أصحابنا جَحْظة، وكتبنا عنه عن ابن المكي هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله. وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفُلَيح يفزَعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه، ويعايي[٣] بعضُهم بعضاً بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا منها ووفّروا نصيبَه. وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة. وله كتاب في الأغاني ونِسَبِها وأخبارها وأجناسها كبيرٌ جليل مشهور، إلا أنه كان كالمطَّرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته. والعملُ على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحّح كثيراً

(١) المُنْيَة: البُغية وما يُتمنى.
(٢) قَرِح الفرس: صار قارِحاً: أي طلع نابه. والجُذع: هو ما كان في الثانية من عمره. والثنيان: جمع ثني وهو ما كان في الثالثة من عمره.
(٣) عايا فلان فلاناً معاياة: ألقى إليه كلاماً أو عملاً لا يُهتدى لوجهه.

مما أفسده أبوه، وأزال ما عرّفه من تخاليط أبيه، وحقّق ما نسبه من الأغاني إلى صانعه. وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت.

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع قال: حدّثني وَسْواسة بن الموصلي قال: حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال: عَمِل جدّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد الله بن طاهر، وهو يومئذٍ شابّ حديث السن، فاستحسنه وسُرّ به، ثم عَرضه على إسحاق فعرّفه عَوَاراً[1] كثيراً في نِسَبه، لأن جدّي كان لا يصحّح لأحد نسبة صوت البتّة، وينسِبُ صنعته إلى المتقدمين، وينحلِ بعضَهم صنعة بعض ضناً بذلك على غيره، فسقط من عين عبد الله وبقي في خزانته؛ ثم وقع إلى محمد بن عبد الله، فدعا أبي، وكان إليه محسناً وعليه مُفْضِلاً، فعرَضه عليه؛ فقال له: إن في هذه النِّسب تخليطاً كَثيراً، خلّطها أبي لضنه بهذا الشأن على الناس، ولكني أعمل لك كتاباً أُصحح هذا وغيرَه فيه. فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم. وصحّح له الكتاب الأوّل أيضاً فهو في أيدي الناس. قال وَسْواسة: وحدّثني حمّاد أن أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكيّ تقديماً كثيراً ويفضّله ويناضل أباه وابنَ جامع فيه، ويقول: ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحدٌ منكم من أحد أمرين: إمّا أن يكون مُحقّاً فيه كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين، كما تقولون، فهو أفضل له وأوضح لتقدّمه عليكم. قال: وكان أبي يقول: لولا ما أفسد به يحيى المكي نفسَه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلّة ثَباته على ما يَحكيه من ذلك، لما تقدّمه أحد. وقال محمد بن الحسن الكاتب: كان يحيى يخلّط في نِسَب الغناء تخليطاً كثيراً، ولا يزال يصنع الصوت بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أُخرى وبابن سُريج وابن مُحرز، ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غناه على ما أحدث فيه من ذلك، فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها، وليس أحد يعرفها؛ فيُسأل عن ذلك فيقول: أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل؛ فلا يُشَكّ في قوله، ولا يَثبتُ لمباراته أحد، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها، حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مَظانّه ودوّنه، وكشف عَوَار يحيى في منحولاته وبيّنها للناس.

(١) العَوَار: العيب.

[رأي إسحاق فيه]

أخبرني عمّي قال: سمعتُ عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمد بن سعيد المالكيّ ـ وكان مغنياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القوّاد ـ قال:

حضرتُ يحيى المكيّ يوماً وقد غَنّى صوتاً فسُئل عنه فقال: هذا لمالك ـ ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت ـ ثم غَنّى لحناً لمالك فسئل عن صانعه فقال: هذا لي؛ فقال له إسحاق: قلتَ ماذا؟ فديتُك، وتضاحك به. فسئل عن صانعه فأخبر به، ثم غنّى الصوت. فخجل يحيى حتى أمسك عنه؛ ثم غنّى بعد ساعة في الثقيل الأوّل، واللّحن:

صوت [الكامل]

إنَّ الـخَـلِـيـطَ أَجَـدَّ فَـاحْـتَـمَـلا وَأَرَادَ غَـيْـظَـكَ بِـالَّـذِي فَـعَـلا
فَـظَـلِـلْـتَ تـأمُـلُ قُـرْبَ أَوْبَـتِـهِـمْ وَالـنَّـفْـسُ مِـمَّـا تـأمُـلُ الأَمَـلا[١]

فسُئل عنه فنسبه إلى الغَريض. فقال له إسحاق: يا أبا عثمان، ليس هذا من نَمَط الغريض ولا طريقته في الغناء، ولو شئتَ لأخذتَ ما لك وتركتَ للغريض ما له ولم تتْعب. فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه. فلما انصرف بعث إلى إسحاق بألطافٍ[٢] كثيرة، وبِرٍّ واسع، وكتب إليه يعاتبه ويستكفُّ شرَّه ويقول له: لستُ من أقْرانك فتُضَادَّني، ولا أنا ممن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَني، ولأنت إلى أن أُفيدك وأُعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتَسْمو به على أكفائك أحوجُ منك إلى أن تباغضني، فأعطِي غيرَك سلاحاً إذا حمَله عليك لم تقم له، وأنت أولى وما تختار. فعرف إسحاقُ صدْق يحيى، فكتب إليه يعتذر، وردّ الألطافَ التي حملها إليه، وحلَف لا يعارضه بعدها، وشرَط عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد، فوفى له بها، وأخذ منه كلَّ ما أراد من غناء المتقدمين. وكان إذا حَزبه[٣] أمرٌ في شيء منها فَزع إليه فأفاده وعاونه ونصَحه، وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك. وحَذِره يحيى، فكان إذا سُئل بحضرته عن شيء صَدَق فيه، وإذا

(١) الأَوْبَة: الرجوع.
(٢) الألطاف: الهدايا.
(٣) حَزَبَهُ: أصابه.

غاب إسحاق خلّط فيما يُسأل عنه. قال: وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقول لابنه أحمد: تعالَ حتى تأخذ مع أبي محمد ما الله يعلم أني كنتُ أبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك، فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق. قال: وكان إسحاق بعد ذلك يتعصَّب ليحيى تعصّباً شديداً، ويصفه ويقدّمه ويعترف برياسته، وكذلك كان في وَصْف أحمدَ ابنه وتقريظه[1].

قال أحمد بن سعيد: والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى. قال أحمد بن سعيد: وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلاف صوت، منها زُهَاءُ ألف صوت لم يُقاربْه فيها أحد، والباقي متوسِّط. وذكر بعضُ أصحاب أحمد ابن يحيى المكيّ عنه أنه سُئل عن صنعة أبيه فقال: الذي صحّ عندي منها ألف وثلثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعاً مَنْ تقدّم منهم ومن تأخّر، فلم يقُم له فيها أحد.

وقال حماد بن إسحاق قال لي أبي: كان يحيى المكي يُسأل عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فينسِبُه إلى غير صانعه، فيُحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسِبُه غيرَ تلك النسبة؛ حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه، فَظَهر عَوَارُه، ولولا ذلك لما قاومه أحد.

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره: قال إسحاق يوماً للرشيد، قبل أنَ تَصْلُح الحال بينه وبين يحيى المكي: أتحب يا أمير المؤمنين أن أُظهر لك كذبَ يحيى فيما ينسِبُه من الغناء؟ قال نعم. قال: أعطني أيَّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه، واسألني بحضرة يحيى عن نِسْبته فإني سأنسِبُه إلى رجل لا أصْلَ له، واسأل يحيى عنه إذا غنّيْته، فإنه لا يمتنع من أن يدّعي معرفته. فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغناه الرشيدَ؛ ثم قال له: يسألني أمير المؤمنين عن نسبته بين يديه. فلما حضر يحيى غنّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ: لمن هذا اللحن؟ فقال له إسحاق: لغناديس المديني. فأقبل الرشيد على يحيى فقال له: أكنت لقيتَ غناديس المديني؟ قال: نعم، لقيتُه وأخذت عنه صوتين؛ ثم غنّى صوتاً وقال: هذا أحدهما. فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً وعِتْقِ جواريه أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس، ولا سُمع في المغنين ولا غيرهم، وأنه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره.

---

(١) التَّقريظ: المدح.

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ المرتجل قال: غنى جدّي يوماً بين يدي الرشيد:

صوت

[البسيط]

هَلْ هَيّجَتْكَ مَغَانِي الحَيِّ والدُّورُ فاشْتَقْتَ إنَّ الغَرِيبَ الدَّارِ مَعْذُورُ
وهَلْ يَحُلُّ بِنَا إذْ عَيشُنا أَنِقٌ بِيضٌ أوانِسُ أمْثالُ الدُّمَى حُورُ[١]

ـ والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ ـ فسار إليه إسحاق وسأله أن يُعيده إياه؛ فقال: نعم، حبّاً وكرامةً لك يابن أخي، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليه؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق. فلما انصرف بعث إلى جدِّي بتَخْت[٢] ثياب وخاتم ياقوت نفيس.

حدّثني جَحظة قال: حدّثني القاسم بن زُرْزُور عن أبيه عن مولاه عليّ بن المارِقي قال: قال لي إبراهيم بن المهديّ: وَيْلَك يا مارقيّ، إن يحيى المكيَ غنّى البارحة بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكرُ زينبَ، وقد كان النبيذ أخذ مني فأُنسيت شعره، واستعدتُه إياه فلم يُعده فاحتَلْ لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك عليّ سَبَق[٣]. فقال لي المارقيّ ـ وأنا يومئذٍ غلامهُ ـ اذهب إليه فقل له إني أسأله أن يكون اليومَ عندي؛ فمضيت إليه فجئته به. فلما تغدَّوْا وُضع النبيذ؛ فقال له المارقي: إني كنت سمعتك تغنّي صوتاً فيه زينب وأنا أحب أن آخذه منك ـ وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقَّه من الاستقصاء، فلا يخرج عنه إلا بحذر، ولا يدع الطلبَ والمسألة، ولا يُلقي صوتاً إلا بِعوَض. قال لي جحظة في هذا الفصل: هذا ـ فديتُك ـ فعلُ يحيى مع ما أفاده من المال، ومع كرم مَنْ عاشره وخدَمه من الخلفاء مثل الرشيد والبرامكة وسائر الناس، لا يُلام ولا يعاب، ونحن مع هؤلاء السُّفّل إن جئناهم نكارمهم[٤] تغافلوا عنا، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير منّوا به علينا وعابونا، فمن يلومني أن أشتُمهم؟ فقلت: ما عليك لوم.

ـ قال فقال له يحيى: وأيّ شيء العِوَض إذا ألقيتُ عليك هذا الصوت؟ قال:

---

(١) أنق الشيء: راع حُسْنُه.
(٢) التَّخت: وعاء تصان فيه الثياب.
(٣) السَّبَق: الخطر يوضع في السباق من سبق أخذه.
(٤) كارمه: أهْدَى إليه ليكافئه.

ما تريد؛ قال: هذه الزَّرْبيّة[١] الأرمينيّة، كم تقعد عليها! أمَا آن لك أن تَمَلَّها؟ قال: بلى، وهي لك. قال: وهذه الظباء الحرميّة، وأنا مكيّ لا أنت، وأنا أولى بها؛ قال: هي لك، وأمر بحملها معه. فلما حَصَلت له، قال المارقيّ: يا غلام، هات العود؛ قال يحيى: والميزانَ والدراهم، وكان لا يغنّي أو يأخذَ خمسين درهماً، فأعطاه إيّاها؛ فألقى عليه قولَه: [الطويل]

بِزَيْنَبَ ألِمْ قَبْلَ أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُلْ إنْ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَّكِ القَلْبُ

ـ ولحنه لكَرْدَم ثقيلٌ أول ـ فلم يشكّ المارقيّ أنه قد أخذ الصوتَ الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجتَه. فبكّر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ، فقال له: قد جئتك بالحاجة. فدعا بالعود فغنّاه إياه، فقال له: لا والله ما هو هذا، وقد خدعك، فعاود الاحتيال عليه. فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً. فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى: قد واليتَ بين دَعَواتك لي، ولم تكن بَرّاً ولا وَصولاً، فما هذا؟ قال: لا شيء والله إلا محبتي للأخذ عنك والاقتباس منك؛ فقال: سَرَّكَ الله، فَمَهْ؟ قال: تذكرتُ الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقيت عليّ. قال: فتريد ماذا؟ قال: تذكر الصوت. قال: أفعل. ثم اندفع فغناه: [البسيط]

أَلْمِمْ بِزَيْنَبَ إنَّ البَيْنَ قَدْ أَفِدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كانَ الرَّحِيلُ غدَا[٢]

ـ والغناء لمعبد ثقيل أول ـ فقال له: نعم، فديتُك يا أبا عثمان، هذا هو أَلْقِه عليّ، قال: العِوَضَ؛ قال: ما شئتَ؟ قال هذا المِطْرَف[٣] الأسودُ؛ قال: هو لك. فأخذه وألقَى عليه هذا الصوت حتى استوى له، وبكّر إلى إبراهيم؛ فقال له: ما وراءك؟ قال: قد قضيتُ الحاجةَ، فدعا له بعود فغنّاه؛ فقال: خدعك والله، ليس هذا هو؛ فعاود الاحتيالَ عليه، وكلُّ ما تعطيه إياه ففي ذمتي. فلما كان اليومُ الثالث بعث بي إليه، فدعوتُه وفعلنا مثل فعلنا بالأمس. فقال له يحيى: فما لك أيضاً؟ قال له: يا أبا عثمان، ليس هذا الصوتُ هو الذي أردتُ؛ فقال له: لست أعلم ما في نفسك فأذكُرَه، وإنما عليّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لا يبقى عندي زينب البتةَ إلا أحضرتها؛ فقال: هاتِ على اسم الله؛ فقال: اذكر العِوَضَ؛

(١) الزَّرْبية: واحدة الزرابي وهي البُسُط وقيل: ما يُتكأ عليه.
(٢) أَفَدَ: اقترب. والثواء: الإقامة.
(٣) المِطْرَف: رداء من خز.

قلت: ما شئتَ؛ قال: هذه الدُّرّاعة[١] الوَشْيُ التي عليك؛ قال: فخذها والخمسين الدرهم، فأحضرَها. فألقى عليه ـ والغناء لمعبد ثقيلٌ أول ـ: [الطويل]

لِزَينَبَ طَيفٌ تَعتَرِينِي طَوارِقُهْ ... هُدُوءاً إذا النَّجْمُ ارجَحَنَّتْ لَواحِقُه[٢]

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحُرَم؛ فقال له حاجبه: هو متشاغل؛ فقال: قل له: قد جئتك بحاجتك. فدخل فأعلمه، فقال: يدخل فيغنيه في الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، ففعل، فقال: لا والله ما هو هذا، ولقد خدعك، فعاود الاحتيالَ عليه. ففعل مثل ذلك بيحيى؛ فقال له يحيى وهو يضحك: أمَا ظفِرتَ بزينبك بعدُ؟ فقال: لا والله يا أبا عثمان، وما أشكّ في أنك تعتمدني بالمنع مما أُريده، وقد أخذتَ كل شيء عندي معابثةً. فضحك يحيى وقال: قد استحييتُ منك الآن، وأنا ناصحك على شريطة، قال: نعم، لك الشريطة؛ قال لا تلُمني في أن أُعابثك لأنك أخذت في معابثتي، والمطلوبُ إليه أقدر من الطالب، فلا تعاود أن تحتال عليّ فإنك تظفر مني بما تريد، إنما دسّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ مني صوتاً غنّيتُه، فسألني إعادته فمنعتُه بخلاً عليه لأنه لا يلحقني منه خير ولا بركة، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً، وطَمِع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد؛ ولا والله إلا بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك، وإلا فلا تطمع في الصوت. فقال له: أمّا إذ فطنتَ فالأمر والله على ما قلتَ، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هو هو وإلا فعليك إعادتُه، ولو غنّيتَني كلَّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلا به؛ قال: اشتره. فتساوما طويلاً وماكسه[٣] حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم، فدفعها إليه، وألقى عليه:

صوت

[الكامل]

طَرَقَتْكَ زَينَبُ وَالمَزَارُ بَعِيدُ ... بمِنًى ونَحْنُ مُعرِّسُونَ هُجُودُ[٤]

فَكَأنَّمَا طَرَقَتْ بِرَيَّا رَوْضَةٍ ... أُنُفٍ تُسَحْسِحُ مُزْنُها وتَجُودُ[٥]

---

(١) الدّراعة: جبّة مشقوقة المقدم.

(٢) ارجحنّت: اهتزت ومالت.

(٣) مَاكَسَه في البيع: استحطه الثمن واستنقصه إياه.

(٤) مِنى: من درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الحجارة وهو على فرسخ من مكة (معجم البلدان ١٩٨/٥).

(٥) تُسَحْسِح: تنصب بغزارة.

ـ لحنه خفيف ثقيل. قال: وهو صوت كثير العمل، حلو النّغَم، مُحكم الصَّنْعة، صحيح القسمة، حسن المقاطع ـ فأخذه وبكّر إلى إبراهيم بن المهديّ، فقال له: قد أفقرني هذا الصوت وأعراني، وأبلاني بوجه يحيى المكي وشحّه وطلبه وشَرَهه، وحدّثه بالقصّة؛ فضحك إبراهيم. وغنّاه إياه، فقال: هذا وأبيك هو بعينه. فألقاه عليه حتى أخذه، وأخلف عليه كلَّ شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسة آلاف درهم، وحَمله على بِرْذون أشهبَ فارِهٍ[1] بسرجه ولجامه. فقال له: يا سيِّدي؛ فغلامُك زُرْزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَعَ[2] هَبْ له شيئاً، فأمر له بألف درهم.

[غناؤه للرشيد والأمين]

حدّثني جحظة قال: حدّثني هِبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال: حدّثتني رَيِّق وشَارِية جميعاً قالتا: كان مولانا ـ تعنيان أبي ـ في مجلس محمد الأمين يوماً والمغنّون حضور، فغنّى يحيى المكي ـ واللحن له خفيف ثقيل:

صوت

[مجزوء الوافر]

خَلِيلٌ لِي أَهِيمُ بِهِ ... فَمَا كَافَا ولاَ شَكَرَا[3]
بَلَى يُدْعَى لَهُ بِاسْمِي ... إذَا مَا رِيعَ أوْ عَثَرَا[4]

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه، فجعل يحيى يُفسده. وفطن الأمين بذلك، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْكِ التخليط، فدعا له وقبّل الأرض بين يديه وردّ الصوت وجوّده، ثم استعاده. فقال له يحيى: ليست تَطيب لك نفسي به إلا بعوض من مالك، ولا أنصحك والله فيه، فهذا مال مولاي أخذته، فلم تأخذ أنت غنائي! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها. فقبّل يحيى يده وأعاد الصوت وجوّده، فنظر إلى مُخَارق وعَلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت، ثم أقبل عليهما وقال: قطعة من خُصْية الشيخ تغطي أستاه عدّة صبيان،

---

(١) الفارِه: النشيط.
(٢) ظَلَعَ: عرج وغمز في مشيه.
(٣) كافا: مسهل كافأ.
(٤) رِيع: خُوِّف.

والله لا أعدتُه بحضرتكما. ثم أقبل على مولانا - تعنيان إبراهيم بن المهدي - فقال: يا سَيِّدي، إني أصير إليك حتى تأخذَه عنّي متمكّناً ولا يَشْركك فيه أحد. فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه، وأخذناه معه.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدّثنا أبو أيُّوب المديني قال: حدّثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: أرسل إليّ هارونُ الرشيد، فدخلت إليه وهو جالس على كرسي بتَلّ دَارَا[1]، فقال: يا يحيى، غنِّني:

مَتَى تَلْتَقِي الأُلاّفُ وَالعِيسُ كُلَّمَا ... تَصَعَّدْنَ مِنْ وَادٍ هَبَطْنَ إلَى وَادِ

فلم أزل أُغنِّيه إيّاه ويتناول قدحاً إلى أن أَمْسَى. فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت، وشرب عشرةَ أقداح، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، وأمرني بالانصراف.

وقال محمد بن أحمد بن يحيى المكي في خبره: حدّثني أبي أحمدُ بن يحيى قال: قال لي إسحاق: يا أبا جعفر، لأبيك مائةٌ وسبعون صوتاً، مَنْ أخذها عنه بمائة وسبعين ألفَ درهم فهو الرابح. فقلت لأبي: أيَّ شيء تعرف منها؟ فقال: لحنَه في شعر الأخطل:

صوت

[البسيط]

خَفَّ القَطِينُ فَراحُوا مِنْكَ وابْتَكَرُوا ... وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوًى فِي صَرْفِها غِيَرُ[2]

كَأَنَّنِي شارِبٌ يَوْمَ اسْتُبِدَّ بِهِم ... مِنْ قَهْوَةٍ عَتَّقَتْهَا حِمْصُ أَوْ جَدَرُ[3]

لحن يحيى المكيّ في هذين البيتين ثقيل أول - هكذا في الخبر - ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أوّل آخر، ولابن سُرَيج رمل. قال: ومنها:

---

(١) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين، وهي من بلاد الجزيرة (معجم البلدان ٢/٤١٨).

(٢) خَفَّ: ارتحل سريعاً. والقطين: القوم القاطنون. وراحوا من الرواح، وهو الذهاب في العشي وعكسها بكروا. والنوى: التحول من مكان إلى آخر. وصرف النوى: تَقلُّبها. وغِيَر الدهر: أحواله المتغيرة.

(٣) حمص: سبق شرحها. وجَدَر: قرية بين حمص وسلمية (معجم البلدان ٢/١١٣).

صوت [الكامل]

بَانَ الـخَـلِـيـطُ فَـمَـا أُؤَمِّـلُـهُ وَعَـفـا مِـنَ الـرَّوْحـاءِ مَـنْـزِلُـهُ[١]
مَـا ظَـبْـيَـةٌ أَدْمَـاءُ عَـاطِـلَـةٌ تَـحْـنُـو عَـلَـى طِـفْـلٍ تُـطَـفِّـلُـهُ[٢]

لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر. قال أحمد: قال لي إسحاق: وَدِدْتُ أن هذا الصوت لي أو لأبي وأني مُغرَّم عشرة آلاف درهم. ثم قال: هل سمعتم بأحسن من قوله: «على طفل تطفّله». قال: ومنها:

صوت [الطويل]

وَكَـفٌّ كَـعُـوَّاذِ الـنَّـقَـا لاَ يَـضِـيـرُهَـا إِذَا بَـرَزَتْ أَلاَّ يَـكُـونَ خِـضَـابُ[٣]
أَنَـامِـلُ فُـتْـخٌ لاَ تَـرَى بِـأُصُـولِـهـا ضُـموراً وَلَـمْ تَـظْـهَـرْ لَـهُـنَّ كِـعـابُ[٤]

ولحنه من الثقيل الثاني. قال: ومنها:

صوت [المنسرح]

صَـادَتْـكَ هِـنْـدٌ وَتِـلْـكَ عـادتُـهَـا فَـالـقَـلْـبُ مِـمَّـا يَـشُـفُّـهُ كَـمِـدُ
كَـمْ تَـشْـتَـكِـي الـشَّـوْقَ مِـنْ صَـبَـابَـتِـهـا وَلاَ تُـبَـالِـي هِـنْـدٌ بِـمَـا تَـجِـدُ

ولحنه من خفيف الثقيل. قال: ومنها:

صوت [مجزوء الكامل]

أَعَـسَـيْـتَ مِـنْ سَـلْـمَـى هَـوا كَ الـيَـوْمَ مُـخْـتَـلاً جَـدِيـدَا
ومَـرَابِـطَ الـخَـيْـلِ الـجِـيَـا دِ وَمَـنْـزِلاً خَـلَـقـاً هَـمُـودا[٥]

---

(١) بان الخليط: فارق وبعد، وتفرق. والرَّوحاء: قرية على ليلتين من المدينة لمن يريد مكة (معجم البلدان ٣/ ٧٦).
(٢) الأدمة في الظباء: لون مشرب بياضاً، وفي الإنسان السمرة.
(٣) عُوّاذ النقا: ديدانه التي تلوذ به. والنّقا: الكثيب من الرمل.
(٤) أنامل فتخ: لينة ناعمة. والكعب مفصل العظم.
(٥) المنزل الخَلَقُ الهمود: البالي المهدم.

ولحنه خفيف ثقيل أيضاً. قال: ومنها:

صوت

[المتقارب]

أَلاَ مَــرْحَـبــاً بِـخَـيَــالٍ أَلَــمّْ وإنْ هَـاجَ لِـلـقَـلْـبِ طُـولَ الأَلَـمْ
خَـيَــالٌ لأَسْـمَــاءَ يَـغْـتَـادُنِـي إِذَا الـلَّـيْـلُ مَـدَّ رِواقَ الـظُّـلَـمْ[1]

ولحنه ثقيل أول. قال: ومنها:

صوت

كَـمْ لَـيْـلَـةٍ ظَـلْـمـاءَ فِـيـكِ سَـرَيْـتُـهـا أَتْـعَـبْـتُ فِـيـهَـا صُـحْـبَـتِـي وَرِكَـابِـي
لا يُـبْـصِـرُ الـكَـلْـبُ الـسَّـرُوقُ، خِـبـاءَهـا ومَــوَاضِــعَ الأَوتـادِ والأَطْـنــابِ[2]

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى. وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغَريض. قال ابن المكيّ: غنّى أبي الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأطربه، ثم قال له: قم يا يحيى فخذ ما في ذلك البيت؛ فظنّه فرشاً أو ثياباً، فإذا فيه أكياس فيها عَيْن ووَرِقَ؛ فحُمِلَتْ بين يديه فكانت خمسين ألفَ درهم مع قيمة العَيْن. قال: ومنها:

صوت

[الكامل]

إنِّـي امْـرُؤٌ مَـالِـي يَـقِـي عِـرْضِـي ويَـبِـيـتُ جَـارِي آمِـنـاً جَـهْـلِـي
وَأَرَى الـذِّمَــامَــةَ لِـلـرَّفِـيــقِ إذا أَلْـقَـى رِحـالَـتَـهُ إلـى رَحْـلِـي[3]

ولحنهُ خفيفُ ثقيل. قال ابن المكي غنَّى ابنُ جامع الرشيدَ يوماً البيتَ الأول من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئاً، فأُعجب به الرشيدُ واستردّه مراراً، وأَسْكت لابن جامع المغنِّين جميعاً. وجعل يسمعه ويشرب عليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتِيمَ وعشر خِلَع، وانصرف. فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكيّ فاستأذن عليه، فأذن له، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع

(١) الرواق: الستر.
(٢) الأطناب: حبال طِوال يشد بها سرادق البيت، واحدها طنب.
(٣) الذمامة: الحُرمة والحق. والرحالة والرّحل: مركب للبعير، وهما أيضاً منزل الرجل.

واستغاث به. فقال له يحيى: أَفَزَاد على البيت الأول شيئاً؟ قال لا؛ قال أفرأيتَ إن زِدْتُك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أُنسيه، وطرحتُه عليك حتى تأخذَ ما تجعلُ لي؟ قال: النصف مما يصل إليّ بهذا السبب، قال: والله؟! فأخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أيماناً مؤكّدة؛ ثم زاده البيتَ الثاني وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف. فلما حضر المغنّون من غد ودُعي به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هذا الصوتُ، وجاء بالبيت الثاني وتحفَّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإِحسان، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خلَع، فَحَمَل ذلك كلَّه، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله. وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد، وكان يحيى في بقايا علّة فاحتجب عنه، فدفَع ابنُ جامع في صدر بوّابه ودخل إليه، فقال له: إيه يا يحيى، كيف صنعتَ! ألقيتَ الصوت على الجُرْمُقاني[1]! لا رفع الله صَرْعتَك ولا وهب لك العافية. وتشاتما ساعةً، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخ.

حدّثني عمّي قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: قال لي إسحاق:

كنت أنا وأبوك وابن جامع وفُلَيح بن أبي العَوْراء وزُبَير بن دَحمان يوماً عند الفضل بن الربيع؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأبيك (يعني يحيى)، فجعلا يُغنّيان ويُباري كلٌّ واحد منهما صاحبه، وذلك يُعجب الفضل، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجب به. فلما طال الأمر بينهما قال له الزبير: أنت تنتحل غناء الناس وتدّعيه وتنحلهم ما ليس لهم. فأقبل الفضل عليّ وقال: احكم أيها الحاكم بينهما، فلم يخفَ عليك ما هما فيه؛ فقلتُ: لئن كان ما يرويه يحيى ويغنّيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يرْووه وما لم نَرْوِه، وعلم ما جهلناه وجهلوه، ولئن كان من صنعته إنه لأحسن الناس صنعةً، وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصح أداءً للغناء، كان ما يغنّيه له أو لغيره. فسُرّ بذلك الفضل وأعجبه. وما زال أبوك يشكره لي.

---

(١) الجرمقاني: واحد الجرامقة، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام.

صوت

من المائة المختارة

[الوافر]

أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَومَ بَانُوا ... بِذِي الزِّيِّ الجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ
ظَعَائِنُ أُسْلِكَتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تُحَثُّ إِذَا وَنَتْ أَيَّ احْتِثَاثِ[1]

الشعر للنّمَيري. والغناء للغريض، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

(١) نَقْبُ المنقَّى: بين مكة والطائف (معجم البلدان ٥/٢٩٨).

أخبار النُّمَيريّ ونسبه

[توفي ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م]

[اسمه ونسبه وحبه زينب أخت الحجاج]

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خَرَشة بن رَبيعة بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جشَم بن قَسِيّ، وقَسِيّ هو ثَقيف. شاعرٌ غَزِل مولَّد؛ ومنشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبّب بها.

حدّثني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهَيْثم قال: حدّثنا العُمَريّ عن لَقيط بن بكر المُحَارِبيّ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار وأحمد ابن عبد العزيز الجوهري وحَبيب بن نصر المهلَّبي قالوا: حدّثنا عمر بن شَبّة أن النميريّ كان يهوَى زينبَ بنت يوسف أختَ الحجّاج بن يوسف بن الحكم لأبيه وأمه. وأمهما الفارعة بنت هَمّام بن عُرْوة بن مسعود الثَّقَفِيّ؛ وكانت عند المغيرة بن شُعْبة، فرآها بُكْرةً وهي تَتخلّل، فقال لها: والله لئن كان من غَداء لقد جشِعت، ولئن كان من عَشاء لقد أَنتنتِ، وطلقها. فقالت: أبعدك الله! فبئس بعلُ المرأة الحرة أنت! والله ما هو إلا مِن شَظيّة من سواكي استمسكتْ بين سِنَّيْن من أسناني. قال حَبيب بن نصر خاصّةً في خبره: قال عمر بن شبّة: حدّثنا بذلك أبو عاصم النَّبيل.

أخبرني حَبيب بن نصر قال: حدّثنا عمر بن شبة عن يعقوب بن داود الثقفيّ، وحدّثنا به ابن عَمّار والجوهريّ عن عمر بن شَبّة ـ ولم يذكرا فيه يعقوبَ بن داود ـ قالوا جميعاً: قال مُسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ ـ وكان قاضي الجماعة بالمدينة ـ: إني

لمع محمد بن عبد الله بن نُمَيْر بنَعْمان[١] وغلام يسير خَلْفَه يشتمه أقبح الشتيمة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا الحجاج بن يوسف، دَعْه فإني ذكرت أخته في شعري، فأحفظه ذلك.

قال عمر بن شبة في خبره: وولدت الفارعة أمُّ الحَجّاج من المُغيرة بن شُعْبة بنتاً فماتت، فنازع الحجاجُ عروةَ بن المُغيرة إلى ابن زياد في ميراثها، فأغلظ الحجاج لعُروة، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطاً على رأسه وقال: لأبي عبد الله تقول هذه المَقالة! وكان الحجاج حاقداً على آل زياد ينفيهم من آل أبي سفيان ويقول: آل أبي سفيان سُتْهٌ[٢] حُمْشٌ[٣]، وآل زيادٍ رُسْحٌ[٤] حُدْلٌ[٥].

[نسيبه بزينب وهربه من الحجاج وزواج زينب]

وكان يوسف بن الحَكَم اعتلّ علّة فطالت عليه؛ فَنَذَرت زينب إن عُوفي أن تمشي إلى البيت[٦]، فعُوفي فخرجت في نسوة فقطعنَ بطن وَجّ[٧]، وهو ثلثُمائة ذراع، في يوم جعلتْه مرحلةً لِثقَل بدنها، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر. فبينا هي تسير إذ لِقيها إبراهيم بن عبد الله النُّمَيري أخو محمد بن عبد الله منصرفاً من العمرة. فلما قدم الطائف أتى محمداً يسلّم عليه؛ فقال له: ألك عِلْمٌ بزينب؟ قال: نعم، لقيتها بالهَمَاء[٨] في بطن نَعْمان؛ فقال: ما أحسبك إلا وقد قلت شيئاً؛ قال: نعم، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهةَ أن يَنْشَب بيننا وبين إخوتنا شرّ. فقال محمد هذه القصيدة وهي أول ما قال:

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ إذْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ في نِسْوَةٍ عَطِراتِ

(١) نعمانُ: هو نعمان الأراك وهو وادٍ ينبته ويصب إلى ودّان، بلد غزاة النبي (ص) وهو بين مكة والطائف. وقيل: وادٍ يسكنه بنو عمرو بن الحارث بن تميم بن هذيل ياقوت ج ٥ ص ٢٣٩.

(٢) سُته: السُّته عظام الاستاه.

(٣) حُمش: السوق دقاق السوق.

(٤) الرّسح: مفردها الأرسح: قليل لحم العجز والفخذين.

(٥) الحدل: جمع أحدل وهو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر.

(٦) البيت: كناية عن الكعبة.

(٧) وَجّ: وادٍ بالطائف (معجم البلدان ٥/ ٣٦١).

(٨) الهَمَاء: موضع بنعمان بين الطائف ومكة (معجم البلدان ٥/ ٤٠٩).

صوت

[الطويل]

فَأَصْبَحَ مَا بَيْنَ الهَمَاءِ فَحزوةٍ ... إلى الماءِ ماءِ الجِزْعِ ذي العُشَراتِ[١]
لَهُ أَرَجٌ مِنْ مِجْمَرِ الهِنْدِ سَاطِعٌ ... تَطَلَّعُ رَيّاهُ مِنَ الكَفِراتِ[٢]
تَهَادَيْنَ مَا بَيْنَ المُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَأَقْبَلْنَ لاَ شُعْثاً وَلاَ غَبِرَاتِ[٣]
أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمٰواتِ عَرْشُهُ ... مَواشِيَ بالبَطْحَاءِ مُؤْتَجِراتِ[٤]
مَرَرْنَ بِفَخٍّ ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً ... يُلَبِّينَ لِلرَّحْمٰنِ مُعْتَمِراتِ[٥]
يُخَبِّئْنَ أَطْرَافَ البَنَانِ مِنَ التُّقَى ... وَيَقْتُلْنَ بالألْحَاظِ مُقْتَدِراتِ
تَقَسَّمْنَ لُبِّي يَوم نَعْمان إنَّني ... رَأَيْتُ فؤادِي عارِمَ النَّظَراتِ[٦]
جَلَوْنَ وُجُوهاً لَمْ تَلُحْهَا سَمائِمٌ ... حَرُورٌ وَلَمْ يُشْفَعْنَ بِالسَّبَرَاتِ[٧]
فَقُلْتُ يَعافِيرُ الظِّبَاءِ تَناوَلَتْ ... نِياعَ غُصُونِ المَرْدِ مُهْتَصِراتِ[٨]
وَلَمّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيرِيِّ رَاعَهَا ... وَكُنَّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
فَأَدْنَيْنَ، حَتَّى جاوَزَ الرَّكْبُ، دونَها ... حِجَاباً مِنَ القَسِّيِّ والحِبَراتِ[٩]
فَكِدْتُ اشْتياقاً نَحْوَها وصَبَابةً ... تَقَطَّعُ نَفْسِي إثْرَهَا حَسَراتِ
فَرَاجَعْتُ نَفْسِي وَالحَفِيظَةَ بعدمَا ... بَلَلْتُ رِداءَ العَصْبِ بالعَبَرَاتِ[١٠]

ـ غنّى ابن سُريج في الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان»، ولحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ قال أبو زيد: فبلغتْ هذه

(١) حزوة: الظاهر أنه اسم موضع، ولكن لم يعثر في المراجع عليه. والعُشَرات: جمع عُشَر وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو.
(٢) مجمر الهند: عود تُدَخَّن به الثياب. والكَفِرات: جمع كَفِر وهو العظيم من الجبال.
(٣) المُحَصَّبُ: موضع بين مكة ومنى (معجم البلدان ٥/ ٦٢).
(٤) البطحاء: أصله المسيل الواسع. ويريد هنا بطحاء مكة، وهناك عدة أمكنة بهذا الاسم. (معجم البلدان ١/ ٤٤٦). ومؤتجرات: طالبات للأجر.
(٥) فَخ: وادٍ بينه وبين مكة ثلاثة أميال (معجم البلدان ٤/ ٢٣٧).
(٦) عَارِم النظرات: شارد النظرات حائرها.
(٧) لاحته الشمس ولوحته: لفحته وغيرت وجهه. والسمائم: جمع سموم وهي ريح حارة. وسفعته: غيرته. والسَّبَرات: جمع سَبرة وهي شدة برد الشتاء.
(٨) اليعفور: الظبي الذي لونه لون التراب. والنياع: المتمايلة. والمَرْد: ثمر الأراك.
(٩) القَسِّيّ: ضرب من الثياب، منسوب إلى قس، من مصر. والحِبَرات: جمع حبرة وهي ضرب من برود اليمن.
(١٠) العَصْب: ضرب من البرود.

القصيدةُ عبدَ الملك بن مروان، فكتب إلى الحجّاج: قد بلغني قول الخبيث في زينب، فالْهُ عنه وأَعْرِض عن ذكره، فإنك أن أدنيته أو عاتبته أطمعته، وإن عاقبته صدّقته.

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبي قال: حدّثنا عمر بن شَبة قال: حدّثنا أبو سَلمة الغفاريّ قال: هَرَب النُّمَيري من الحَجّاج إلى عبد الملك واستجار به؛ فقال له عبد الملك: أنشدني ما قلتَ في زينب فأنشده. فلما انتهى إلى قوله:

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيرِيِّ أَعْرَضَتْ ... وَكُنَّ مِنَ اَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

قال له عبد الملك: وما كان ركبك يا نميريّ؟ قال: أربعة أحْمِرة لي كنت أجلبُ عليها القَطِران، وثلاثة أحْمِرة صحبتي تحمل البعر. فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً، ثم قال: لقد عظَّمتَ أمرك وأمر ركبك؛ وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل له عليه. فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له: أنا بريء من بَيْعة أمير المؤمنين لئن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتينّ على نفسه، ولئن أنشدني لأعفونّ عنه، وهو إذا أنشدني آمن. فقال له يزيد: ويْلَكَ! أنشده؛ فأنشده قوله:

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ إذْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ خَفِراتِ

فقال: كذبت والله، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ رَاعَهَا ... وَكُنَّ مِنَ اَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ

قال له: حقّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خَفِرات صالحات. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

مَرَرْنَ بِفَخٍّ رَائِحاتٍ عَشِيَّةً ... يُلَبِّينَ لِلرَّحْمٰنِ مُعْتَمِراتِ

فقال: صدقتَ لقد كانت حَجّاجةً صَوّامة ما علمتُها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

يُخَمِّرْنَ أطْرافَ البَنَانِ مِنَ التُّقَى ... وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِراتِ[1]

فقال له: صدقتَ، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة. ثم قال له: ويحك! إني أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب، وقولَك قولَ بريء، وقد أمّنتك، ولم

(١) معتجرات: لا بات المعجر، وهو ثوب تشدّه المرأة على رأسها.

يَعْرِض له. قال أبو زيد: وقيل: إنه طالب عريفَه به وأقسم لئن لم يَجِئْه به ليضربنّ عنقه، فجاءه به بعد هرب طويل منه؛ فخاطبه بهذه المخاطبة:

قال أبو زيد: وقال النُّمَيري في زينب أيضاً:

صوت

[الطويل]

طَرِبْتَ وَشَاقَتْكَ المَنَازِلُ من جَفْنِ ... ألاَ رُبَّما يَعْتَادُكَ الشَّوقُ بالحُزْنِ[1]
نَظَرْتُ إلى أظْعانِ زَيْنَبَ باللِّوَى ... فَأعْوِلْتُهَا لَوَ كَانَ إعْوالُها يُغْنِي[2]
فَوَاللَّهِ لا أنْسَاكِ زَيْنَبُ مَا دَعَتْ ... مُطَوَّقَةٌ وَرْقَاءُ شَجْواً عَلَى غُصْنِ
فإنَّ اخْتِمالَ الحَيِّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... عَنَاكَ وَهَلْ يَعْنِيكَ إلاَّ الَّذِي يَعْنِي
وَمُرْسِلَةٍ فِي السِّرِّ أنْ قَدْ فَضَحْتَنِي ... وَصَرَّحْتَ باسْمِي في النَّسِيبِ فَما تَكْنِي
وأشْمَتَّ بي أهْلِي وَجُلَّ عَشِيرَتِي ... لِيَهْنِئْكَ ما تَهْواهُ إنْ كانَ ذَا يَهْنِي
وَقَدْ لامَنِي فِيهَا ابنُ عَمِّي ناصِحاً ... فَقُلْتُ لهُ خُذْ لي فُؤادِي أو دَعْنِي

ـ غنّى ابنُ سريج في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات لحناً من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ قال أبو زيد: فيقال: إنه بلغ زينبَ بنت يوسف قولُه هذا فبكتْ؛ فقالت لها خادمتها: ما يُبكيكِ؟ فقالت: أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهلٌ بي لا يعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقّاً.

قال: وقال النميريُّ فيها أيضاً:

[الوافر]

أهَاجَتْكَ الظَّعائِنُ يَوْمَ بانُوا ... بِذِي الزِّيِّ الجَمِيلِ مِنَ الأثَاثِ
ظَعائِنُ أُسْلِكَتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تُحَثُّ إذَا وَنَتْ أيَّ احْتِثَاثِ
تُؤَمِّلُ أنْ تُلاقِي أهْلَ بُصْرَى ... فَيا لَكَ مِنْ لِقَاءٍ مُسْتَرَاثِ[3]
كَأنَّ عَلَى الحَدائجِ يَوْمَ بَانُوا ... نِعَاجاً تَرْتَعِي بَقْلَ البِراثِ[4]
يُهَيِّجُنِي الحَمَامُ إذا تَداعَى ... كَما سَجَعَ النَّوائِحُ بالمَراثِي

---

(١) جَفن: ناحية بالطائف (معجم البلدان ٢/ ١٤٧).

(٢) أعول الرجل والمرأة وعوّلا: رفعا صوتهما بالبكاء والصياح.

(٣) بصرى: اسم لأكثر من موضع، ولعله يريد بصرى الشام من أعمال دمشق (معجم البلدان ١/ ٤٤١). ومستراث: مستبطأ.

(٤) الحدائج: جمع حديجة وهي من مراكب النساء. والنعاج: البقر الوحشي. والبِراث: الأماكن السهلة من الرمل، واحدها بَرث.

كَـأَنَّ عُـيـونَـهُـنَّ مِـنَ الـتَّـبَـكِّـي فُـصُـوصُ الـجَـزْعِ أو يُـنْـعُ الـكَـبـاثِ[١]
أَلاَقِ أَنْـتَ فـي الـحِـجَـجِ الـبَـواقـي كَـمَـا لاقَـيـتَ فـي الـحِـجَـجِ الـثَّـلاثِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال: قرأت على أبي حدّثنا عثمان بن حَفْص وغيره أنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مَرْوان لمّا بعث بالحجّاج لحرب ابن الزبير، وقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ غلاماً منّا قال في ابنتي زينبَ ما لا يَزال الرجلُ يقول مثلَه في بنت عمّه، وإن هذا (يعني ابنَه الحَجّاج) لم يزل يَتَتَوَّق إليه ويَهُمُّ به، وأنت الآن تبعثه إلى ما هناك، وما آمنه عليه. فدعا بالحَجّاج فقال له: إن محمداً النُّمَيريّ جاري ولا سلطانَ لك عليه، فلا تعرِض له.

قال إسحاق فحدّثني يعقوب بن داود الثَّقَفي قال: قال لي مسلم بن جُنْدَب الهُذَلي: كنتُ مع النُّمَيريّ وقد قتل الحجاجُ عبد الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة، فتأخّر النميريّ حتى كان في آخرهم، فدعا به ثم قال له: إنّ مكانك لم يخفَ عليّ، اذنُ فبايعْ. ثم قال له: أنشِدْني ما قلتَ في زينب؛ قال: ما قلتُ إلا خيراً؛ قال: لَتُنشِدَنّي. فأنشده قولَه:

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ إذْ مَشَتْ بِـهِ زَيْـنَـبٌ فِـي نِـسْـوَةٍ عَـطِـراتِ
أعانَ الـذِي فَـوْقَ الـسَّـمٰـواتِ عَرْشُـهُ مَـواشِـيَ بِـالـبَـطْـحـاءِ مُـؤْتَـجِـرَاتِ
يُـخَـمِّـرْنَ أطْرافَ الأكُـفِّ مِـنَ الـتُّـقَـى ويَـخْـرُجْـنَ جُـنْـحَ الـلَّـيْـلِ مُـعْـتَـجِـراتِ

فما ذكرتُ أيها الأمير إلا كرماً وخيراً وطيباً. قال: فأنشدْ كلمتَك كلَّها فأنت آمن؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

وَلَـمَّـا رَأَتْ رَكْـبَ الـنُّـمَـيْـرِيِّ رَاعَـهـا وَكُـنَّ مِـنَ اَنْ يَـلْـقَـيْـنَـهُ حَـذِراتِ

فقال له: وما كان ركبُك؟ قال: والله ما كان إلا أربعة أحْمِرة تحمل القَطْران. فضحك الحجّاج وأمره بالانصراف ولم يَعْرِض له.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرَانيّ عن الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن عطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال: كان ابن نُمير الثَّقَفيّ يشبِّب بزينبَ بنت يوسف بن الحكم؛ فكان الحَجّاج يتهدّده ويقول: لولا أن يقول قائل صدَق لقطعتُ لسانَه.

---

(١) الجَزْع: الخرز اليماني. ويُنْع: جمع يانع: ناضج. والكَباث: النضيج من ثمر الأراك أو غير النضيج منه.

فهرب إلى اليمن ثم ركب بحرَ عَدَن[١]، وقال في هربه: [الطويل]

أَتَتْنِي عن الحَجّاج والبحْرُ بينَنا عَقارِبُ تَسْرِي وَالعُيونُ هَواجِعُ
فَضِقْتُ بها ذَرْعاً وأَجْهَشْتُ خِيفةً ولم آمَنِ الحَجّاجَ والأمْرُ فاظِعُ
وحَلَّ بيَ الخَطْبُ الذي جاءني بِهِ سَميعٌ فَلَيْسَتْ تَسْتقِرُّ الأضالِعُ
فَبِتُّ أُدِيرُ الأمرَ والرَّأيَ ليلتي وَقَدْ أخضَلَتْ خدّي الدُّموعُ التَّوابعُ
وَلَمْ أرَ خَيراً لِي مِنَ الصَّبرِ إنَّهُ أَعَفُّ وَخَيرٌ إذْ عَرَتْنِي الفواجِعُ
وَمَا أمِنَتْ نَفْسِي الذِي خِفْتُ شَرَّه وَلاَ طابَ مِمّا خَشِيتُ المَضَاجِعُ
إلى أن بَدَا لي رأسُ إسْبِيلَ طالِعاً وإسْبيلُ حصنٌ لمْ تَنَلْهُ الأصابِعُ[٢]
فَلِي عَنْ ثَقيفٍ إنْ هَمَمْتُ بنَجْوةٍ مَهامِهُ تَهْوِي بَيْنَهُنَّ الهَجارِعُ[٣]
وَفِي الأرضِ ذاتِ العَرْضِ عَنْكَ ابنَ يوسفٍ إذا شِئْتُ مَنْأىً لا أبا لَكَ واسِعُ
فإن نِلْتَنِي حَجّاجُ فاشْتَفِ جاهِداً فَإنَّ الَّذِي لا يَحْفَظُ اللَّهُ ضَائِعُ

فطلبه الحَجّاجُ فلم يقدر عليه. وطال على النُّمَيريّ مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه، فجاء حتى وقف على رأس الحَجّاج؛ فقال له: إيه يا نُميريّ! أنت القائل:

فإنْ نِلْتَنِي حَجَّاجُ فاشْتَفِ جَاهِداً

فقال: بل أنا الذي أقول: [الطويل]

أَخافُ مِنَ الحَجّاج ما لَسْتُ خائِفاً مِنَ الأَسَدِ العِرْباضِ لَمْ يَثْنِهِ ذعْرُ[٤]
أخافُ يَدَيْهِ أنْ تَنالا مَقاتِلِي بأَبْيَض عَضْبٍ لَيسَ مِنْ دونِه سِتْرُ

وأنا الذي أقول: [الخفيف]

فها أنذا طَوَّفْتُ شَرْقاً ومَغْرِباً وأُبْتُ وَقَدْ دَوَّخْتُ كُلَّ مَكانِ[٥]
فَلَو كَانَتِ العَنْقَاءُ مِنْكَ تَطيرُ بِي لَخِلْتُكَ إلاّ أنْ تَصُدَّ تراني[٦]

---

(١) بحر عدن: هو بحر القلزم، وهو أيضاً شعبة من بحر الهند، ويسمى في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع. فإن جاوز عدن سمي بحر الزنج (معجم البلدان ١/ ٣٤٤).
(٢) إسبيل: جبل في مخلاف ذِمار (معجم البلدان ١/ ١٧٣).
(٣) مَهامِه، مفردها مهمه: الفلاة لاماء فيها ولا أنيس والهجارع: جمع هجرع وهو الخفيف من الكلاب.
(٤) العرباض: الأسد العظيم.
(٥) دوّخ البلادَ: سار فيها حتى عرفها.
(٦) العنقاء: طائر خرافي.

قال: فتبسّم الحجاج وأمّنه، وقال له: لا تعاود ما تعلم؛ وخلّى سبيلَه.

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق.

قال حمّاد فحدّثني أبي قال: ذكر المدائنيّ وغيره أنّ الحجّاج عرض على زينبَ أن يزوّجها محمدَ بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عَقِيل ـ وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة، وهو يومئذٍ أشرفُ ثقفيٍّ في زمانه ـ أو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عَقيل، وهو شيخ كبير، فاختارت الحكم، فزوّجها إياه، فأخرجها إلى الشام. وكان محمد بن رياط كَرِيَّها، وهو يومئذٍ يُكْري. فلما ولي الحجاجُ العراقَ استعمل الحَكم بن أيوب على البصرة، فكلمته زينبُ في محمد بن رياط فولاّه شرطته بالبصرة. فكتب إليه الحجاج: إنك ولَّيتَ أعرابياً جافياً شرطتَك، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألك فيه. قال: ثم أنكر الحَكَمُ بعض تَعَجْرُفه فعزله. ثم استعمل الحجّاجُ الحكَم بن سعد العُذْريّ على البصرة وعزل الحكم بن أيّوب عنها واستقدمه لبعض الأمر، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة، وجهّزه من ماله. فلمّا قدِم البصرةَ هيّأتْ له زينبُ طعاماً وخرجت متنزِّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة. فقيل لها: إنّ فيهن امرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها. فقالت لها زينب: أَرِيني ساقَكِ؛ فقالت: لا، إلا بخلوة؛ فقالت: ذاك لكِ، فكشفتْه لها، فأعطتها ثلاثين ديناراً وقالت: اتَّخذي منها خَلخالاً. قال: وكان الحجاج وجّه بزينب مع حُرَمه إلى الشام لمّا خرج ابنُ الأشعث خوفاً عليهنّ. فلما قُتل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح، وكتب مع الرسول كتاباً إلى زينبَ يُخبرها الخبَر، فأعطاها الكتاب، وهي راكبة على بغلة في هودج، فنشرته تقرؤه، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفَرت، وسقطت زينبُ عنها فاندقّ عَضُداها وتَهَرَّأ[1] جوفُها فماتت. وعاد إليه الرسول، الذي نفَذ بالفتح، بوفاة زينب. فقال النميريّ يرثيها:

صوت

[الطويل]

لِـزَيـنَـبَ طَـيْـفٌ تَـعْـتَـرِيـنِـي طَـوارِقُـهْ ... هُدوءاً إذَا النَّجْمُ ارْجَحَنَّتْ لَـواحِقُـهْ[2]

سَـيـبـكـيـكِ مِـرْنـانُ الـعَـشِـيِّ يُـجـيـبُـهُ ... لَـطِـيـفُ بَـنـانِ الْـكَـفِّ دُرْمٌ مَـرَافِـقُـهْ[3]

---

(١) تهرأ اللحم: تفسخ وسقط.

(٢) ارجحن النجم: مال نحو المغرب.

(٣) مِرنان العشي: كنى به عن الصنج ذي الأوتار وهو من آلات الطرب. ودرم: جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه.

إذَا مـا بِـسَـاطُ الـلَّـهـوِ مُـدَّ وأُلـقِـيـتْ لِـلَـذَّاتِـهِ أنـمـاطُـهُ ونَـمَـارِقُـهْ(١)

غنّاه معبد، ولحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وما بقي من شعره من الأغاني في نَسيب النميريّ لم نذكر طريقتَه وصانعَه لنذكر أخباره معه.

صوت

[الطويل]

تَـضَـوَّعَ مِـسْـكـاً بطنُ نَـعْـمَـانَ أنْ مشـت بـه زيـنـبٌ فـي نِـسْـوةٍ خَـفِـراتِ
مَـرَرْنَ بـفَـخٍّ رائـحـاتٍ عَـشِـيَّـةً يُـلـبِّـيـنَ لـلـرَّحْـمٰـنِ مُـعـتـمِـراتِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزيد قالا: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني عن عبد الله بن مُسْلِم الفِهْرِيّ قال: خرج عبد الله بن جعفر متنزِّهاً، فصادف ابن سُرَيج وعَزَّةَ المَيْلاء متنزِّهَيْن، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَه وقال لعَزّة: غَنِّيني فغنّتْه، ثم قال لابن سُريج: غنّني يا أبا يحيى، فغنّاه لحنَه في شعر النميريّ:

تَـضَـوّعَ مِـسْـكـاً بـطـنُ نَـعْـمـانَ أَنْ مَـشَـتْ

فأمر براحلته فنُحرت، وشَقّ حُلّته فألقى نصفَها علىٰ عَزّةَ والنصف الآخر على ابن سريج. فباع ابنُ سريج النصفَ الذي صار إليه بمائة وخمسين ديناراً. وكانت عزّة إذا جلست في يوم زينة أو مباهاة ألقت النصف الآخرَ عليها تتجمّل به.

أخبرني محمد بن خَلَف وكَيع قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني الحسن بن عليّ بن منصور قال: أخبرني أبو عَتّاب عن إبراهيم بن محمد بن العباس المُطّلِبي أنّ سعيد بن المُسيّب مرّ في بعض أزِقَّة مكة، فسمع الأخضرَ الحَرْبيّ يتغنّى في دار العاص بن وائل:

[الطويل]

تَـضـوّعَ مِـسْـكـاً بطـنُ نـعـمـانَ إذْ مَـشَـتْ بِـهِ زَيـنـبٌ فِـي نِـسْـوةٍ خَـفِـراتِ

---

(١) الأنماط: واحدها النمط وهو الثوب من الصوف يفرش على الهودج. والنمارق: واحدها النمرق وهي الوسادة الصغيرة.

فضرب برجله وقال: هذا والله مما يَلَذّ استماعه، ثم قال: [الطويل]

وَلَيْسَتْ كَأُخرَى أوْسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِها وأبْدَتْ بَنَانَ الكفِّ للجَمَراتِ(١)
وعَلَّتْ بَنَانَ المِسْكِ وَحْفاً مرجَّلاً عَلى مِثْلِ بَدْرٍ لاَح في الظُّلُمَاتِ(٢)
وَقَامَتْ تَرَاءَى يومَ جَمْعٍ فَأَفْتَنَتْ بِرُؤْيَتِها مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَفاتِ(٣)

قال: فكانوا يرون أنّ هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب.

أخبرني عمّي قال: حدّثني الكُرَانيّ قال: حدّثني عبد الرحمٰن بن عبد الله أخي الأصمعيّ عن عبد الله بن عِمْران الهَرَوِيّ، وأخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني المُغيرة بن محمد المهلَّبيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمٰن بن عبد الله عن عبد الله بن عِمْران الهَرَوِيّ قال: لمّا تَأَيّمتْ(٤) عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه، وتجلس بالعشيّات، فيتناضل(٥) بين يديها الرُّماة. فمرّ بها النُّمَيريّ الشاعر؛ فسألت عنه فنُسب لها، فقالت: ائتوني به، فأَتَوْها به. فقالت له: أنشِدْني مما قلت في زينبَ؛ فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمّي وقد صارت عظاماً بالية. قالت: أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ؛ فأنشدها قولَه:

تَضَوَّعَ مِسْكاً بطنُ نعمانَ أنْ مَشَتْ

الأبيات. فقالت: والله ما قلت إلا جميلاً، ولا ذكرتَ إلا كرماً وطيباً، ولا وصفت إلا ديناً وتُقىً، أعطوه ألفَ درهم. فلما كانت الجمعة الأُخرى تعرّض لها؛ فقالت: عليّ به. فأُحضِر. فقالت له: أنشِدْني من شعرك في زينب؛ فقال لها: أو أُنْشِدُك من شعر الحارث بن خالد فيكِ؟ فوثب مواليها إليه؛ فقالت: دَعُوه فإنه أراد أن يَستقيد(٦) لبنت عمّه، هاتِ مما قال الحارثُ فيّ؛ فأنشدها: [الكامل]

ظَعَنَ الأميرُ بأحسَنِ الخَلْقِ وغَدَوا بِلُبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ

(١) درع المرأة: قميصها.
(٢) الوَحْف: الشعر الأسْوَد.
(٣) جمع: علم لمزدلفة سميت به لاجتماع الناس بها. وعرفات: اسم لموضع واحد في لفظ الجمع، وحده من الجبل المشرف على بطن عُرنة إلى جبال عرفة (معجم البلدان ٤/ ١٠٤).
(٤) تأيمت المرأة: مات عنها زوجها ولم تتزوج.
(٥) ناضله نضالاً ومناضلة: باراه في رمي السهام.
(٦) يستقيد: يثأر.

فقالت والله ما ذكر إلا جميلاً، ذكر أني إذا صبّحتُ زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطَّلْق، وأني غدوتُ مع أميرٍ تزوّجني إلى الشرق، وأني أحسن الخَلْق في البيت ذي الحسب الرفيع؛ أعطوه ألف درهم واكْسُوه حُلَّتين، ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُمَيريّ.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعي قال: حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه أنّ الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرقّة فحبسه مدّةً، ثم اصطبح يوماً، فبينا هو على حاله إذ تذكّره، فقال: لو كان الموصليّ حاضراً لانتظم أمرُنا وتَمَّ سرورنا. قالوا: يا أمير المؤمنين، فَجئْ به، فما له كبيرُ ذنب. فبعث فجِيءَ به. فلمّا دخل أطرق الرشيد فلم ينظر إليه، وأومأ إليه مَنْ حضر بأن يغنّي؛ فاندفع فغنّى:

تَضَوَّعَ مِسْكاً بطنُ نعمانَ أنْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ في نِسْوةٍ خَفِراتِ

فما تمالك الرشيد أن حَرّك رأسَه مراراً واهتزّ طرباً، ثم نظر إليه وقال: أحسنتَ والله يا إبراهيم! حُلُّوا قيودَه وغَطُّوه بالخِلَع، ففُعِل ذلك. فقال: يا سيِّدي، رضاك أوّلاً؛ قال: لو لم أَرْضَ ما فعلتُ هذا، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم.

ومما قاله النَّمَيْريّ في زينبَ وغُنِّي فيه:

صوت

[مجزوء الكامل]

تَشْتُو بِمَكَّةَ نَعْمَةً ... ومَصِيفُها بالطَّائِفِ
أَحْبِبْ بِتِلْكَ مَواقِفاً ... وَبِزَيْنَبٍ مِنْ واقِفِ
وعَزِيزةٍ لَمْ يَغْذُها ... بُؤسٌ وجفوةُ حائِفِ
غَرّاءَ يَحْكِيها الغزا ... لُ بِمُقْلَةٍ وسَوَالِفِ

الغناء ليحيى المكّي خفيفُ رَمَل عن الهشاميّ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سُرَيج وأنه بالبنصر. وزعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكّي أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل.

ومن الغناء في أشعاره في زينبَ:

صوت

[المتقارب]

أَلاَ مَنْ لِقَلْبٍ مُعَنّىً غَزِلْ ... يُحِبُّ المُحِلَّةَ أُخْتَ المُحِلّ

تَـــرَاءَتْ لَـــنَـــا يـــومَ فـــرعِ الأرا ... كِ بـيـنَ الـعِـشـاءِ وَبـيـنَ الأُصُـلْ[١]
كـأنَّ الـقَـرَنْـفُـلَ والـزَّنْـجَـبِـيـلَ ... وريـحَ الـخُـزَامـى وذَوْبَ الـعَـسَـلْ
يُـعَـلُّ بِـهِ بَـرْدُ أنْـيَـابِـهَـا ... إذا مَـا صَـفَـا الـكَـوكَـبُ الـمـعـتـدِلْ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر يونس أن لمالك فيه لحناً في:

كَـأنّ الـقـرنْـفُـلَ والـزَّنْـجـبـيـلَ

والبيت الذي بعده وبيتين آخرين وهما:

وَقَـالَـتْ لِـجَـارتِـهَـا هـلْ رأيـ ... ـتِ إذْ أعـرَضَ الـركـبُ فِـعْـلَ الـرَّجُـلْ
وأنَّ تَـبَـسُّـمَـهُ ضَـاحِـكـاً ... أَجَـدَّ اشْـتـيـاقـاً لِـقَـلْـب غَـزِلْ

وذكر حمّاد عن أبيه أن فيها للهُذَليّ لحناً، ولم يذكر طريقته.

المُحِلّ الذي عناه النميريّ هاهنا: الحَجّاج بن يوسف؛ سُمّي بذلك لإحلاله الكعبة، وكان أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك. ويُسمِّي أهلُ الشأم عبدَ الله بن الزبير المُحِلَّ لأنه أحلّ الكعبة، زعموا أنه بمُقامه فيها، وكان أصحابه أحرقوها بنار إستضاءُوا بها.

فأخبرني الحُسين بن يحيى المِرْداسيّ قال: قال حَمّاد بن إسحاق: قرأت على أبي: وبلغني أنّ إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس تزوّج أسماء بنت يعقوب (امرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة وهو بفارس، فمرّتْ بالأهواز على السيد الحِمْيري؛ فسأل عنها فنسبت له؛ فقال فيها قولَه:

مَـرّتْ تُـزَفُّ عَـلَـى بَـغْـلَـةٍ ... وَفَـوقَ رِحـالـتِـهَـا قُـبّـهْ[٢]
زُبَـيـريّـةٌ مِـنْ بـنـاتِ الـذي ... أحـلَّ الـحَـرامَ مِـنَ الـكَـعْـبَـهْ
تُـزَفُّ إلـى مَـلِـكٍ مَـاجِـدٍ ... فَـلاَ اجـتـمـعَـا وبِـهَـا الـوَجْـبـه

وقد قيل بأن الأبيات اللامية التي أولها:

ألاَ مَـنْ لِـقَـلْـبٍ مـعـنّـىً غَـزِلْ

---

(١) شجر الأراك: شجر تتخذ منه المساوك. واحدته أراكة.

(٢) الرحالة: مركب من مراكب النساء.

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلَة بنت الزُّبير، وقيل: إنها لأبي شَجَرة السُّلَميّ.

حدّثنا الحسين بن الطيِّب البَلْخي الشاعر قال: حدّثنا قُتَيبةُ بن سَعيد قال: حدّثني أبو بكر بن شُعَيب بن الحَبْحاب المِعْوَليّ قال: كنت عند ابن سيرينَ، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سيرين: **[المتقارب]**

كَأَنَّ المُدامَةَ والزَّنْجَبِيلَ ... وَرِيحَ الخُزامَى وَذَوْبَ العَسَلْ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أنيابِها ... إذا النَّجْمُ وَسْطَ السَّماءِ اعْتَدَلْ

وقال: الله أكبر، ودخل في الصلاة.

صوت

من المائة المختارة

[البسيط]

يا قلبُ وَيْحَكَ لا يَذْهَبْ بِكَ الخُرُقُ ... إنَّ الأُلى كنتَ تَهْواهُمْ قَدِ انطلقُوا[1]

ـ ويُروى: يذهب بك الحُرَقُ ـ

مَا بَالُهُمْ لَمْ يُبالُوا إذ هَجَرْتَهُمُ ... وَأَنْتَ مِنْ هَجْرِهِم قَدْ كِدْتَ تَحْتَرِقُ

الشعر لوضّاح اليمن. والغناء لصَبَّاح الخيّاط، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها. وفي أبيات من هذه القصيدة ألحانٌ عدّة، فجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرْمة؛ فأخّرتُ ذكرَها إلى أن تنقضي أخبارُ وَضّاح، ثم أذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(١) الخُرُق: نقيض الرِّفق.

أخبار وضّاح اليمن ونسبه

[توفي ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م]

[اسمه ونسبه ولقبه]

وَضّاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه، واسمه عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد. ثم يُختلف في تحقيق نسبه، فيقول قوم: إنه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليَمن مع وَهْرِز لنُصرة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة. ويزعُم آخرون أنه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أَيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنْجَج وهو حِمْير بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعف بن قَحْطان. فممن ذكر أنه من حمير خالد بن كُلْثوم، قال: كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن أبي جَمَد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحميريّ. فمات أبوه وهو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها، وانقضتْ عدّتها فتزوجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس. وشبّ وضّاح في حجر زوج أُمّه. فجاء عمُّه وجدّته أمُّ أبيه، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْير ثم من آل ذي قَيْفان ثم من آل ذي جَدَن يطلبونه، فادّعى زوج أمه أنه ولده. فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه، فحكم به الحاكم لهم، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء[1] في أمره وحضر معهم. فلما حكم به الحاكم للحميريين، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له: إذهب فأنت وضّاح اليمن، لا من أتباع ذي يَزن (يعني الفُرْس الذين قدم بهم ابن ذي يَزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذٍ، فلُقِّب وضّاحَ اليمن. قال خالد: وكانت أمّ داذ بن أبي جَمَد جدّةُ وضاح كِنْديّةً؛

(١) الأبناء: هم الفُرْسُ الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن.

فذلك حيث يقول في بنات عمه:

إنّ قَـلْـبِـي مُـعَـلَّـقٌ بِـنِـسَـاءٍ واضِحاتِ الخُدودِ لَسْنَ بِهُجْنِ[1]

مِـنْ بـنـاتِ الـكـريـمِ دَاذَ وفـي كِـنْـدَةَ يُـنْـسَـبْـنَ مِـنْ أُبـاةِ الـلُّـعْـنِ

وقال أيضاً يفتخر بجَدّه أبي جَمَد: [الطويل]

بَنَى لِيَ إسمَاعِيلُ مَجْداً مُؤَثَّلاً وَعَبْدُ كُلالٍ بَعْدَهُ وأبو جَمَدْ

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال: كان وضّاح اليمن والمُقنَّع الكِنْديّ وأبو زُبَيد الطائي يَرِدون مواسِمَ العرب مُقنَّعين يسترون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَراً على أنفسهم من النساء لجمالهم. قال خالد بن كلثوم: فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى حاضرٌ ذلك، وكان يزعم أنّ وضّاحاً من الأبناء؛ فقال أبو عُبيدة: داذ اسم فارسي. فقلت له: عبد كلال اسمٌ يَمَانٍ، وأبو جَمَد كنية يمانية، والعجم لا تكتني، وفي اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأَبْرَهة، وهو اسم حبشيّ، فينبغي أن تنسبهم إلى الحبشة. وأيّ شيء يكون إذا سُمّي عربيّ باسم فارسيّ! وليس كل من كُني أبا بكر هو الصدِّيق، ولا من سُمّي عُمَراً هو الفاروق، وإنما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه. قال: فوجَم أبو عبيدة وأُفحم فما أجاب.

وممن زعم أنه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمد بن زياد الكِلاَبيّ.

وقال خالد بن كلثوم: إنّ أمّ إسماعيل أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن، وأم أبيه بنت فُرْعانَ ذي الدّروع الكِنْديّ من بني الحارث بن عمرو.

[عشقه روضة وشعره فيها]

وكان وضّاحٌ يَهوى امرأةً من أهل اليمن يقال لها رَوْضة.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: ذكر هشام بن الكلبيّ أنها رَوْضة بنت عمرو، من ولد فُرْعانَ ذي الدروع الكِنْديّ.

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال: حدّثني محمد بن سَعيد الكُراني قال:

---

(١) الهجين: ابن الأمَة، أو مَن كان أبوه خيراً من أمه.

حدّثنا العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش أنّ وضّاحاً هَوِي امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة؛ فذهبت به كل مذهب. وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها؛ وعاتبه أهلُه وعشيرته. فقال في ذلك:

صوت

[المنسرح]

يا أيها القَلْبُ بَعْضَ مَا تَجِدُ ... قَدْ يَعْشَقُ المَرْءُ ثُمَّ يَتَّئِدُ
قَدْ يَكْتُمُ المَرْءُ حُبَّهُ حِقَباً ... وَهْوَ عَمِيدٌ وَقَلْبُه كَمِدُ
مَاذا تُرِيدِينَ مِنْ فَتًى غَزِلٍ ... قَدْ شَفَّهُ السُّقْمُ فيكِ والسَّهَدُ
يُهَدِّدونِي كَيْمَا أخافَهُمُ ... هَيْهاتَ أَنَّى يُهَدَّدُ الأَسَدُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها لحن لابن عَبّاد، من كتاب إبراهيمَ، غير مجنّس.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حدّثني سالم بن زيد قال: أخبرني التَّوَّزِيّ قال: حدّثنا الأصمعي عن الخليل بن أحمد قال: كان وَضّاح يهوَى امرأةً من كِنْدة يقال لها رَوْضة. فلما اشتهر أمرهُ معها خطبها فلم يُزوِّجها، وزُوِّجت غيرَه، فمكثت مدة طويلة. ثم أتاه رجل من بلدها فأسرّ إليه شيئاً فبكى. فقال له أصحابه: ما لك تبكي؟ وما خبرك؟ فقال: أخبرني هذا أنّ روضةَ قد جُذمت[1]، وأنه رآها قد أُلقيت مع المجذومين. ولم نجد لهما خبراً يرويه أهلُ العلم إلا لُمَعاً يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره، فأمّا خبرٌ متصل فلم أجده إلا في كتاب مصنوعٍ غَثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه. وأصابها الجُذام بعد ذلك، فانقطع ما بينهما. ثم شبّب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجةِ الوليد بن عبد الملك، فقتله الوليد لذلك. وأخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية.

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال: حدّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال: حدّثنا مُصعَب بن عبد الله قال: كان وَضّاح اليمن يَهوى امرأة يقال لها روضة، ويشبِّب بها في شعره، وهي امرأة من أهل اليمن. وفيها يقول:

---

(١) جُذِمت: أُصيبت بالجذام وهو داء يسبب تساقط اللحم والأعضاء.

صوت

[مجزوء الكامل]

يــا رَوْضــةَ الــوَضّــاحِ قَــدْ عَــنَّـيْـتِ وَضّـاحَ الـيَـمَـنْ
فَـاسْـقِـي خَـلِـيـلَـكِ مِـنْ شَـرا بِ لَـمْ يُـكَـدِّرْهُ الـدَّرَنْ[1]
الـرِّيـحُ ريـحُ سَـفَـرْجَـلٍ والـطَّـعْـمُ طَـعْـمُ سُـلاَفِ دَنْ
إنّـي تُـهَـيِّـجُـنِـي إلَـيْـكِ حَـمـامَـتـانِ عَـلَـى فَـنَـنْ

قال مُصعَب: فحدّثني بعض أهل العلم ممن كان يعرف خبر وَضاح مع روضةَ من أهل اليمن، أنّ وضّاحاً كان في سفر مع أصحابه، فبينا هو يسير إذ استوقفهم وعدَل عنهم ساعةً، ثم عاد إليهم وهو يبكي. فسألوه عن حاله؛ فقال: عدلتُ إلى روضة، وكانت قد جُذمت فجُعِلَتْ مع المجذومين، وأُخرجت من بلدها، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْراً[2] من نفقتي. وجعل يبكي غمّاً بها.

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات؛ فإن في جميعها غناء.

ومما قاله وضّاح في روضةَ المذكورة وفيه غناء، وأنشدَنَا حَرَمِيّ عن الزُّبير عن عمه:

صوت

[الطويل]

أَيَا رَوْضَةَ الوَضَّاحِ يَا خَيرَ رَوْضَةٍ لأهْلِكِ لَوْ جَادُوا عَلَيْنَا بِمَنزِلِ
رَهِينُكِ وَضّاحٌ ذَهَبْتِ بِعَقْلِهِ فَإنْ شِئْتِ فَاحْيِيهِ وَإنْ شِئْتِ فاقتلِي
وتُوقِدُ حِيناً بالْيَلَنْجُوجِ نارَهَا وَتُوقِدُ أحْياناً بِمِسْكٍ ومَنْدَلِ[3]

والأبيات الأُول النونية فيها زيادة على ما رواه مصعب، وفي سائرها غناء.
وتمامُها بعد قوله: [مجزوء الكامل]

«إنّـي تُـهَـيِّـجُـنِـي إلَـيْـكِ حَـمـامَـتـانِ عَـلَـى فَـنَـنْ»
الـزَّوجُ يَـدْعُـو إلْـفَـهُ فَـتَـطَـاعَـمَـا حُـبَّ الـسَّـكَـنْ

---

(١) الدَّرَن: الوَسَخ.
(٢) الصَّدْر هنا: الطائفة من الشيء.
(٣) اليلنجوج: عود البخور. والمندل: عود الطيب.

لاَ خَـيـرَ فِـي نَـثِّ الـحَـدِيـ ... ـثِ وَلا الـجَـلِـيـسِ إذَا فَـطَـنْ[١]
فَـاغـصِـي الـوُشَـاةَ فـإنَّـمَـا ... قـولُ الـوُشَـاةِ هُـوَ الـغَـبَـنْ
إنَّ الـوُشَـاةَ إذَا أتَـوْ ... كِ تَـنَـصَّـحُـوا ونَـهَـوْكِ عَـنْ[٢]
دَسَّـتْ حُـبَـيـبَـةُ مَـوْهِـنـاً ... إنِّـي وَعَـيْـشِـكِ يَـا سَـكَـنْ
أُبْـلِـغْـتُ عَـنْـكِ تَـبَـدُّلاً ... وأَتَـى بِـذَلِـكَ مُـؤتَـمَـنْ
وَظَـنَـنْـتُ أنَّـكِ قـدْ فَـعَـلْـ ... ـتِ فَـكِـدْتُ مِـنْ حَـزَنٍ أُجَـنّْ
ذَرَفَـتْ دمُـوعِـي ثُـمَّ قُـلْـ ... ـت بِـمَـنْ يُـبَـادِلُـنِـي بِـمَـنْ
أسْـكُـتْ فَـلَـسْـتَ مُـصَـدَّقـاً ... مَـا كَـانَ يَـفْـعَـلُ ذَا أُظُـنْ
إنِّـي وَجَـدِّكَ لَـوْ رَأَيْـ ... ـت خَـلِـيـلَـنـا ذَاكَ الـحَـسَـنْ
يَـجْـفُـوهُ ثُـمَّ يُـحِـبُّـنـا ... وَالـلَّـهِ مِـتُّ مِـنَ الـحَـزَنْ
أَخْـبِـرْهُ إمَّـا جِـئْـتَـه ... أنَّ الـفُـؤادَ بِـهِ يُـجَـنّْ
أَبْـغَـضْـتُ فِـيـهِ أَحِـبَّـتِـي ... وقَـلَـيْـتُ أَهْـلِـي والـوَطَـنْ[٣]
أَتَـرَكْـتَـنِـي حَـتَّـى إذَا ... عُـلِّـقْـتُ أبْـيَـضَ كـالـشَّـطَـنْ[٤]
أنْـشَـأْتَ تَـطْـلُـبُ وَصْـلَـنـا ... فِـي الـصَّـيـفِ ضَـيَّـعْـتَ الـلَّـبَـنْ[٥]

ـ هكذا قال: وغيره يرويه: «في الصيف ضيحت اللبن»[٦] أي مذقته. قال ـ:

لَـو قِـيـلَ يَـا وَضَّـاحُ قُـمْ ... فَـاخْـتَـرْ لِـنَـفْـسِـكَ أَوْ تَـمَـنّْ
لَـمْ أَغْـدُ رَوْضَـةَ وَالَّـذِي ... سَـاقَ الـحَـجِـيـجُ لَـهُ الـبُـدُنْ[٧]

الغناء في الأوّل من القصيدة وهو «يا روضة الوضّاح» يُنسب إن شاء الله. وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعةٌ، وبعضها لم يَقَع إليّ أنه صُنِع فيه. فمن قوله فيها:

---

(١) نَثُّ الحديث: نشره.
(٢) عن: يريد عني.
(٣) قلى: هجر.
(٤) الشَّطن: الحبل.
(٥) في الصيف ضيعت اللبن: مثل يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوّته على نفسه.
(٦) مذق اللبن بالماء: مزجه.
(٧) البدنة من الإبل والبقر: كالأضحية تُنحر بمكة.

صوت

[السريع]

يَـا رَوْضُ جِـيـرَانُـكُـمُ الـبـاكِـرُ ... فَـالـقَـلْـبُ لاَ لاَهٍ وَلاَ صَـابِـرُ
قَـالَـتْ ألا لاَ تَـلِـجَـنْ دَارَنَـا ... إنَّ أَبَـانَـا رَجُـلٌ غَـائِـرُ
قُـلْـتُ فَـإنِّـي طَـالِـبٌ غِـرَّةً ... مِـنْـهُ وسَـيْـفِـي صَـارِمٌ بَـاتِـرُ
قَـالَـتْ فَـإنَّ الـقَـصْـرَ مِـنْ دُونِـنَـا ... قُـلْـتُ فـإنِّـي فَـوْقَـهُ ظَـاهِـرُ
قَـالَـتْ فـإنَّ الـبَـحْـرَ مِـنْ دونِـنَـا ... قُـلْـتُ فَـإنِّـي سَـابِـحٌ مَـاهِـرُ
قَـالَـتْ فَـحَـوْلِـي إخْـوَةٌ سَـبْـعَـةٌ ... قُـلْـتُ فـإنِّـي غَـالِـبٌ قَـاهِـرُ
قَـالَـتْ فَـلَـيْـثٌ رَابِـضٌ بَـيْـنَـنَـا ... قُـلْـتُ فـإنِّـي أَسَـدٌ عَـاقِـرُ[١]
قَـالَـتْ فَـإنَّ الـلَّـهَ مِـنْ فَـوقِـنَـا ... قُـلْـتُ فَـربِّـي رَاحِـمٌ غَـافِـرُ
قَـالَـتْ لَـقَـدْ أَعْـيَـيْـتَـنَـا حُـجَّـةً ... فَـأْتِ إذَا مَـا هَـجَـعَ الـسَّـامِـرُ[٢]
فَـاسْـقُـطْ عَـلَـيْـنَـا كَـسُـقُـوطِ الـنَّـدَى ... لَـيْـلَـةَ لاَ نَـاهٍ وَلاَ زَاجِـرُ

الغناء في هذه الأبيات هَزَجٌ يمنيّ، وذكر يحيى المكي أنه له.

وقال في روضةَ وهو بالشام: [الوافر]

أَبَـتْ بـالـشَّـام نَـفْـسِـي أَنْ تَـطِـيـبَـا ... تَـذَكَّـرْتُ الـمَـنَـازِلَ وَالـحَـبِـيـبَـا
تَـذَكَّـرْتُ الـمَـنَـازِلَ مِـنْ شَـعُـوبٍ ... وَحَـيّـاً أَصْـبَـحُـوا قُـطِـعُـوا شُـعُـوبَـا[٣]
سَـبَـوا قَـلْـبِـي فَـحَـلَّ بِـحَـيْـثُ حَـلُّـوا ... ويُـغْـظِـمُ إنْ دَعَـوْا ألاّ يُـجِـيـبَـا
أَلاَ لَـيْـتَ الـرِّيَـاحَ لَـنَـا رَسُـولٌ ... إلـيـكُـمُ إنْ شَـمَـالاً أو جَـنُـوبَـا
فَـتَـأْتِـيَـكُـمْ بِـمَـا قُـلْـنَـا سَـرِيـعـاً ... وَيَـبْـلُـغَـنَـا الـذِي قُـلْـتُـمْ قَـرِيـبَـا
أَلاَ يَـا رَوْضُ قَـدْ عَـذَّبْـتِ قَـلْـبِـي ... فَـأَصْـبَـحَ مِـنْ تَـذَكُّـرِكُـمْ كَـئِـيـبَـا
وَرَقَّـقَـنِـي هَـوَاكِ وَكُـنْـتُ جَـلْـداً ... وأَبْـدَى فِـي مَـفَـارِقِـيَ الـمَـشِـيـبَـا[٤]
أَمَـا يُـنْـسِـيـكَ رَوْضَـةَ شَـحْـطُ دارٍ ... ولا قُـربٌ إذا كـانَـتْ قَـرِيـبَـا[٥]

ومما قال فيها أيضاً:

---

(١) عاقر: من عقر عدوّه: جرّحه.
(٢) السّامر: اسم جمع بمعنى المتسامرين.
(٣) شَعوب: موضع باليمن (معجم البلدان ٣/ ٣٥٠).
(٤) الجَلْد: الشديد القوي.
(٥) شحط دار: بُعد دار.

طَرِبَ الفؤادُ لِطَيْفِ رَوْضَةَ غاشِي وَالقَومُ بَيْنَ أَباطِحٍ وعِشَاشِ[١]
أَنَّى اهتَدَيتِ وَدونَ أرْضِكِ سَبْسَبٌ قَفْرٌ وحَزْنٌ في دُجَىً ورِشَاشِ[٢]
قَالَتْ تَكَالِيفُ المُحِبِّ كَلِفْتُها إنَّ المُحِبَّ إذَا أُخِيفَ لَمَاشِي
أَدْعوكِ رَوْضَةَ رَحْبِ واسْمكِ غَيْرُهُ شَفَقاً وأَخْشَى أَنْ يَشِي بِكِ وَاشِي
قَالَتْ فَزُرْنَا قُلْتُ كَيْفَ أَزُورُكُمْ وَأَنَا امْرُؤٌ لِخُروجِ سِرِّكِ خَاشِي
قَالَتْ فَكُنْ لِعُمومَتِي سِلْماً معاً والطُفْ لإِخْوَتِيَ الذِينَ تُماشِي
فَتَزورُنَا مَعَهُمْ زِيارَةَ آمِنٍ وَالسِّرُّ يا وضّاحُ لَيس بِفَاشِي
وَلَقِيتُها تَمْشِي بِأَبْطَحِ مَرَّةً بِخَلاخِلٍ وَبِحُلَّةٍ أَكْباشِ[٣]
فَظَلِلْتُ مَغْموداً وَبِتُّ مُسَهَّداً ودُموعُ عَيْنِي فِي الرِّداءِ غَواشِي
يَا رَوضُ حبُّكِ سَلَّ جِسْمِي وانْتَحَى فِي العَظْمِ حتَّى قَدْ بَلَغْتِ مُشاشِي[٤]

ومما قال فيها أيضاً: [الكامل]

طَرَقَ الخَيالُ فَمَرْحَباً سَهْلاَ بِخَيالِ مَنْ أَهْدَى لَنَا الوَصْلاَ
وسَرَى إلَيَّ وَدُونَ مَنْزِلِهِ خَمْسٌ دَوائِمُ تُعْمِلُ الإِبْلاَ
يَا حَبَّذا مَنْ زَارَ مُعْتَسِفاً حَزْنَ البِلادِ إلَيَّ والسَّهْلاَ
حتَّى أَلَمَّ بِنَا فَبِتُّ بِهِ أَغْنَى الخَلائِق كُلِّهِم شَمْلاَ
يَا حَبَّذَا هِيَ حَسْبُكَ قَدكَ فِي واللَّهِ مَا أَبْقَيْتِ لِي عَقْلاَ
واللَّهِ ما لِي عَنْكِ مُنْصَرَفٌ إلاَّ إلَيْكِ فَأَجْمِلِي الفِعْلاَ

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا القاسم بن الحسن المَرْوَزيّ قال: حدّثنا العُمَريّ عن لَقيط والهَيْثم بن عَدِيّ: أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليد بن عبد الملك في الحج فأَذِن لها، وهو يومئذٍ خليفة وهي زوجته. فقدمت مكةَ ومعها من الجواري ما لم يُرَ مثلُه حسناً. وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممن تَبِعها. وقَدِمتْ، فتراءت للناس، وتصدَّى لها أهلُ الغَزَل والشعر، ووقعتْ عينُها على وَضّاح اليمن فهَوِيتْه.

(١) الأباطح: واحدها الأبطح وهو المسيل الواسع فيه رمل ودقاق الحصى. والعِشاش: جمع عَشة، وهي الأرض القليلة الشجر.
(٢) الرَّشاش: واحده الرّش وهو المطر القليل.
(٣) الأكباش: من برود اليمن.
(٤) المشاش: النفس، والمشاش أيضاً: رؤوس العِظام.

فحدّثنا الحرميّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْري عن محمد بن جعفر مولى أبي هُرَيرة عن أبيه عن بُدَيح قال: قَدِمتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً، والوليدُ يومئذٍ خليفة. فبعثتْ إلى كُثَيِّر وإلى وضّاح اليمن أن انسُبا بي. فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنَّسيب بها؛ فوجدَ الوليدُ عليه السبيلَ فقتله. وأمّا كُثيّر فعدَل عن ذكرها ونَسب بجاريتها غاضِرة فقال:

صوت [الوافر]

شَجَا أَظْعانُ غاضِرَةَ الغَوَادِي ... بِغَيرِ مَشُورةٍ عَرَضاً فُؤادِيْ
أَغَاضِرُ لَو شَهِدْتِ غداةَ بِنْتُمْ ... حُنُوَّ العائِداتِ عَلى وِسادِي[1]
أَوَيْتِ لِعَاشِقٍ لَمْ تشكُمِيهِ ... بِوَاقِدَةٍ تُلَذِّعُ كالزِّنادِ[2]

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ وحَبَش.
قال بُدَيح: فكنتَ لمّا حجّتْ أم البنين لا تشاء أن تَرى وجهاً حسناً إلا رأيتَه معها.
فقلت لعُبيد الله بن قيس الرُّقَيات: بمن تشبِّب من هذا القَطين؟ فقال لي: [الهزج]

وَمَا تَصْنَعُ بالسِّرِّ ... إذَا لَمْ تَكُ مَجْنُونَا
إذا عَالَجْتَ ثِقْلَ الحُـ ... ـبِّ عَالَجْتَ الأمَرِّينَا[3]
وَقَدْ بُحْتَ بأمْرٍ كَا ... نَ فِي قَلْبِيَ مَكْنُونَا
وَقَدْ هِجْتَ بِمَا حَاوَلْـ ... ـتَ أمْراً كانَ مدفُونَا

قال: ثُمَّ خلا بي فقال لي: اكتُم عليّ، فإنَّك موضع للأمانة؛ وأنشدني:

صوت [مجزوء الكامل]

أَصَحَوْتَ عَنْ أُمِّ البَنِيـ ... ـنَ وذِكْرِهَا وعَنائِهَا

---

(١) بنتم: بعدتم. والعائدات: زائرات المريض.
(٢) أوى: رَقَّ ورثى.
(٣) الأمرون: الدواهي.

وهَجَرْتَها هَجْرَ امرِئٍ لَمْ يَقْلُ صَفْوَ صَفَائِهَا
قُرَشِيّةٌ كالشّمسِ أشْـ ـرَقَ نُورُهَا بِبَهَائِهَا
زادَتْ عَلَى البِيضِ الحِسا نِ بِحُسْنِها ونقائِهَا
لَمّا اسْبَكَرَّتْ لِلشَّبا بِ وَقُنِّعَتْ بِرِدَائِهَا[١]
لَمْ تَلْتَفِتْ لِلِدَاتِهَا وَمَضَتْ على غُلَوائِهَا[٢]
لَوْلاَ هَوَى أمِّ البَنِيـ ـنَ وحَاجَتِي لِلِقَائِهَا
قَدْ قَرَّبَتْ لِيَ بَغْلَةً مَحْبُوسَةً لِنَجَائِهَا[٣]

قال بُدَيح: فلمّا قتل الوليدُ وضّاحَ اليمن، حجّتْ بعد ذلك أم البنين محتجبةً لا تكلِّم أحداً، وشخصت كذلك، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات، فقال: يا بديح

صوت

[المنسرح]

بَانَ الحَبِيبُ الذِي بِهِ تَثِقُ واشتَدَّ دُونَ الحبِيبةِ القَلَقُ
يَا مَنْ لِصَفْراءَ فِي مَفَاصِلِهَا لِينٌ وفِي بَعْضِ بَطْشِهَا خُرُقُ

وهي قصيدة قد ذُكرت مع أخبار ابن قيس الرقيّات.

الغناء في الأبيات الأُوَل التي أولها:

أَصَحَوْتَ عَنْ أُمِّ البَنِين

يُنسب في موضع آخر إن شاء الله.

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤَمَّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال: حدّثني كُثَيِّر قال: حججتُ مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك، فأرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبا بي، فهِبْتُ ذلك ونسَبت بجاريتها غاضرة، فقلت: [الوافر]

شَجَا أَظْعَانُ غَاضِرَةَ الغَوَادِي بِغَيرِ مَشُورَةٍ عَرَضاً فُؤادِي
أغاضِرُ لَو شَهِدْتِ غَداةَ بِنْتُمْ حُنُوَّ العَائداتِ علَى وِسادِي

(١) اسبكر: استقام واعتدل وتمّ.
(٢) اللِّدة: الترب الذي ولد معك أو تربى معك.
(٣) النجاء: الخلاص.

أَوَيْتِ لِعاشِقٍ لَمْ تَشْكُمِيهِ ... بِواقِدَةٍ تَلَذَّعُ كالزِّنادِ

وأمّا وضّاح فنسَب بها، فبلغ ذلك الوليد فطلبه فقتله.

أخبرني عمّي قال: حدّثني محمد بن سعد الكُرَانيّ قال: حدّثني أبو عمر العُمَريّ عن العُتْبيّ قال: مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك، وهو يومئذٍ خليفة، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده[1] عنده وتقوّي أمره. فقَدِم عليه وضّاح وأنشده قوله فيه:

صوت

[الوافر]

صَبَا قَلْبِي وَمَالَ إليكِ مَيْلا ... وأرَّقَنِي خَيالُكِ يا أُثَيْلا[2]

يَمَانِيَةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِي ... دَقيقَ مَحَاسِنٍ وتُكِنُّ غَيْلا[3]

دَعِينا ما أَمَمْتُ بناتِ نَعْشٍ ... مِنَ الطَّيْفِ الذِي يَنْتابُ لَيْلا[4]

وَلَكِنْ إنْ أردْتِ فَصَبِّحِينَا ... إذَا أمَّتْ رَكَائِبُنَا سُهَيْلا[5]

فإنَّكِ لَوْ رأيتِ الخَيلَ تعدُو ... سِرَاعاً يتَّخِذْنَ النَّقْعَ ذَيْلا[6]

إذاً لرأيتِ فوقَ الخيلِ أُسْداً ... تُفيدُ مَغانِماً وتُفِيتُ نَيْلا[7]

إِذَا سَارَ الوَلِيدُ بِنَا وَسِرْنا ... إلى خَيْلٍ نَلُفُّ بِهِنَّ خَيْلاَ

وَنَدْخُلُ بالسُّرورِ دِيارَ قومٍ ... ونُعْقِبُ آخَرِينَ أذىً وَوَيْلاَ

فأحسنَ الوليد رِفْده وأجزل صلته. ومدحه بعدّة قصائد. ثم نُمي إليه أنه شَبّب بأم البنين، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه، ودبر في قتله.

ومدحه وضّاح بقوله أيضاً:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لا تَنامُ كأنَّما ... طَلَبَ الطَّبِيبُ بِهَا قَذىً فأضَلَّهُ

بَلْ مَا لِقَلْبِكَ لاَ يَزَالُ كَأَنَّهُ ... نَشْوَانُ أَنْهَلَهُ النَّدِيمُ وَعَلَّهُ

---

(١) الرِّفد: الصِّلة.
(٢) أُثيل: اسم امرأة.
(٣) الغَيل: الساعد الممتلىء.
(٤) بَنات نعش: من الكواكب.
(٥) سُهيل: نجم بهي.
(٦) النقع: الغبار.
(٧) تُفيت: يريد أن الأعداء يفوتهم نيل شيء منها.

مَـا كُـنْـتُ أحْـسَـبُ أنْ أَبِـيـتَ بِـبَـلْـدَةٍ وَأخِـي بِـأُخْـرى لا أَحُـلُّ مَـحَـلَّـهُ
كُـنَّـا لَـعَـمْـرُكَ نـاعِـمِـيـنَ بِـغِـبْـطَـةٍ مَـعَ مَـا نُـحِـبُّ مَـبِـيـتَـهُ وَمَـظَـلَّـهُ
فَـأَرَى الَّـذِي كُـنَّـا وَكَـانَ بِـغِـرَّةٍ نَـلْـهُـو بِـغِـرَّتِـهِ ونَـهْـوَى دَلَّـهُ
كـالـطَّـيْـفِ وافَـقَ ذا هَـوَى فـلَـهَـا بِـهِ حَـتَّـى إِذَا ذَهَـبَ الـرُّقَـادُ أَضَـلَّـهُ
قُـلْ لِـلَّـذِي شَـعَـفَ الـبَـلاءُ فُـؤادَهُ لاَ تُـهْـلِـكَـنَّ أخـاً فَـرُبَّ أخٍ لَـهُ[1]
وَالْـقَ ابْـنَ مَـروانَ الـذِي قَـدْ هَـزَّهُ عِـزَقُ الـمَـكَـارِمِ وَالـنَّـدَى فَـأَقَـلَّـهُ
واشْـكُ الَّـذِي لاَقَـيْـتَـهُ مِـنْ دونِـهِ وانـشُـرْ إلـيـهِ دَاءَ قَـلْـبِـكَ كُـلَّـهُ
فَـعَـلَى ابنِ مَرْوانَ السَّلامُ مِنْ امْرِئٍ أمْـسَـى يَـذوقُ مِـنَ الـرُّقَـادِ أَقَـلَّـه
شَـوْقـاً إلَـيْـكَ فَـمَـا تَـنَـالُـكَ حَـالُـهُ وَإِذَا يَـحُـلُّ الـبـابَ لَـمْ يُـؤْذَنْ لَـهُ
فَـإِلـيـكَ أَعْـمَـلْـتُ الـمَـطَـايـا ضُـمَّـراً وَقَـطَـعْـتُ أَزْواحَ الـشِّـتَـاءِ وظِـلَّـهُ
وَلَـيَـالِـيـاً لَـو أنَّ حَـاضِـرَ بَـثِّـهَـا طَـرَفُ الـقَـضِـيـبِ أصـابَـهُ لأشَـلَّـهُ

فَلَمْ يزلْ مجفُوّاً حتى وجَد الوليد له غِرّة، فبعث إليه مَن اختلسه ليلاً فجاءه به، فقتله ودفنه في داره، فلم يُوقف له على خبر.

وقال خالد بن كلثوم في خبره: كان وضّاح قد شبّب بأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان امرأة الوليد بن عبد الملك، وهي أم ابنه عبد العزيز بن الوليد، والشرفُ فيهم. فبلغ الوليدَ تشبُّبه بها فأمر بطلبه فأُتيَ به، فأمر بقتله. فقال له ابنه عبد العزيز: لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقِّق قولَه، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دَهْبَل؛ فإنه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله؛ فقال: إذاً تُحقّق قوله، ولكن تَبَرُّه وتحسن إليه فيستحي ويَكُفُّ ويكذّب نفسه. فلم يقبل منه. وجعله في صندوق ودفنه حياً. فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد فَخَارٌ خرجا فيه إلى أن أغْلظا المُسَابَّةَ، وذلك في دولة بني العباس؛ فوضع الشُّعُوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أن أمّ البنين عْشِقتْ وَضّاحاً، فكانت تُدخله صندوقاً عندها. فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق، فأخذه فدفنه. هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبير بن بكّار جميعاً.

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال: حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال: حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الكَلْبيّ قال: عَشِقَتْ أمُّ البنين

---

(١) شَعَفَ: بمعنى شغف.

وضّاحاً، فكانت تُرسل إليه فيدخل إليها ويُقيم عندها؛ فإذا خافت وارتْه في صندوق عندها وأقفلتْ عليه. فأُهدي للوليد جَوْهر له قيمة فأعجبه واستحسنه، فدعا خادماً له فبعث به معه إلى أم البنين وقال: قل لها: إن هذا الجوهر أعجبني فآثرتُك به. فدخل الخادم عليها مفاجأة ووضّاح عندها، فأدخلتْه الصندوقَ وهو يَرى، فأدّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر، ثم قال: يا مولاتي، هبيني منه حجراً؛ فقالت: لا، يابنَ اللَّخْناء[1] ولا كرامة. فرجع إلى الوليد فأخبره؛ فقال: كذبتَ يابن اللخناء، وأمر به فوُجِئتْ عنقُه. ثم لبس نعليه ودخل على أمّ البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه، فجلس عليه ثم قال لها: يا أمّ البنين، ما أحبَّ إليكِ هذا البيت من بين بيوتك! فلِمَ تختارينه؟ فقالت: أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجي كلَّها فأتناولها منه كما أريد من قرب. فقال لها: هَبي لي صندوقاً من هذه الصناديق، قالت: كلُّها لك يا أمير المؤمنين، قال: ما أريدها كلَّها وإنما أريد واحداً منها؛ فقالت له: خذ أيَّها شئتَ، قال: هذا الذي جلستُ عليه؛ قالت: خذ غيره فإن لي فيه أشياءَ أحتاج إليها؛ قال: ما أريد غيره؛ قالت: خُذْه يا أمير المؤمنين. فدعا بالخَدَم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه. ثم دعا عَبيداً له فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقةً، فنُحّي البساط وحُفرت إلى الماء. ثم دعا بالصندوق فقال[2]: إنه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد كفَّنّاك ودفناكَ ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر، وإن كان باطلاً فإنا دفنّا الخشب، وما أهونَ ذلك! ثم قُذِفَ به في البئر وهِيل عليه الترابُ وسُوِّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه. ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم. قال: وما رأتْ أمّ البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهير قال: حدّثني مصعب بن عبد الله قال: مرضت أم البنين ووضّاحُ مقيم بدمشق، وكان نازلاً عليها؛ فقال في علّتها:

(١) يابن اللخناء: سب كان يجري على ألسنة العرب في القديم. واللَّخن نتن الريح عامة.

(٢) ليست في الأصل.

صوت

[الكامل]

حتّامَ نَكْتُم حُزْنَنَا حَتّاما ... وعَلامَ نَسْتَبْقِي الدُّموعَ عَلاما
إنّ الّذي بِي قدْ تفاقَمَ واعْتَلَى ... وَنَمَا وَزادَ وأَوْرَثَ الأسْقَامَا
قَدْ أصْبَحَتْ أُمُّ البَنِينِ مَرِيضَةً ... نَخْشَى ونُشْفِقُ أنْ يكونَ حِمامَا
يَا رَبِّ أمْتِعْنِي بِطُولِ بَقَائِهَا ... واجْبُرْ بِهَا الأرْمالَ والأيتامَا
واجْبُرْ بِهَا الرَّجُلَ الغَرِيبَ بأرْضِهَا ... قَدْ فَارَقَ الأخْوالَ والأعْمَامَا
كَمْ راغِبِينَ وَراهِبِينَ وبُؤَّسٍ ... عُصِمُوا بِقُرْبِ جَنابِهَا إعْصامَا
بِجَنابِ ظاهِرَةِ الثَّنَا مَحْمُودَةٍ ... لا يُسْتَطاعُ كلامُها إعْظامَا[1]

الغناء في الأول والثاني والثالث والرابع والخامس لَحَكم الواديّ خفيفُ رمل بالوسطى، عن الهشامي وعبد الله بن موسى. وممّا وجد في روايتي هارون بن الزّيات وابن المكيّ في الرابع ثم الخامس ثم الأول والثاني لعمر الوادي خفيفُ رمل من رواية الهشامي.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زُهير قال: حدّثنا مصعب قال: بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبّبُ وَضّاح بأمّ البنين فهَمّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له: إن قتلته فضحتَني وحقّقتَ قوله، وتوهّم الناسُ أن بينه وبين أمّي ريبة. فأمسك عنه على غيظ وحَنَق، حتى بلغ الوليد أنه قد تعدّى أمَّ البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك، وكانت زوجةَ عمرَ بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وقال فيها:

بِنْتُ الخليفَةِ والخَلِيفَةُ جَدُّها ... أُخْتُ الخَلِيفةِ والخَلِيفَةُ بَعْلُها
فَرِحَتْ قَوابِلُهَا بِهَا وَتَباشَرَتْ ... وَكذاكَ كانُوا في المَسَرّةِ أهلُهَا

فأَحْنق[2] واشتدّ غيظه وقال: أمَا لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنّا مذهب! ثم دعا به فأُحضر، وأمر ببئر فحُفرتْ ودفنه فيها حيّاً.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشُون قال: أنشدت محمد بن المنكدِر

---

(١) الثنا: يكون في الخير خاصة.
(٢) أحنق الرجل: حقد كثيراً.

قولَ وضّاح: [الطويل]

فَمَا نَوَّلَتْ حَتَّى تَضَرَّعْتُ عِنْدَهَا ... وَأَعْلَمْتُهَا ما رَخَّصَ اللَّهُ فِي اللَّمَمْ

قال: فضحك وقال: إن كان وضّاح إلا مُفْتياً لنفسه. وتمام هذه الأبيات:

تَرجَّلَ وَضّاحٌ وأسْبَلَ بعدَمَا ... تَكَهّلَ حِيناً في الكُهُولِ وَمَا احْتَلَمْ[١]

وعُلِّقَ بَيْضَاءَ العَوارِضِ طَفْلَةً ... مُخَضَّبَةَ الأطْرافِ طَيِّبَةَ النَّسَمْ[٢]

إذا قُلْتُ يَوماً نَوِّلِينِي تَبَسَّمَتْ ... وقالَتْ مَعاذَ الله مِنْ فِعْلِ مَا حَرُمْ

فَمَا نَوَّلَتْ حَتَّى تَضَرَّعْتُ عندَها ... وَأَعْلَمْتُها ما رَخَّصَ اللَّهُ فِي اللَّمَمْ[٣]

[رثاؤه أباه وأخاه]

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرَاني، قال: حدّثنا العُمَرِي عن العُتّبي في خبره الأوّل المذكور من أخبار وَضّاح مع أمّ البنين قال: كان وضّاح مقيماً عند أم البنين، فورد عليه نعيُ أخيه وأبيه، فقال يرثيهما[٤]: [الوافر]

أَرَاعَكَ طَائِرٌ بَعْدَ الخُفُوقِ ... بِفَاجِعَةٍ مُشَنَّعَةِ الطُّروقِ

نَعَمْ وَلَهاً على رَجُلٍ عَمِيدٍ ... أَظَلُّ كأنَّنِي شَرِقٌ بِرِيقِي

كأنِّي إذْ عَلِمْتُ بِهَا هُدُوّاً ... هَوَتْ بِي عاصِفٌ مِنْ رأسِ نِيقِ[٥]

أُعَلُّ بزفْرةٍ مِنْ بَعْدِ أُخرى ... لَهَا فِي القَلْبِ حَرٌّ كالحَرِيقِ

وَتَرْدُفُ عَبْرَةٌ تَهتانَ أُخْرَى ... كفائِضِ غَرْبِ نَضّاحٍ فَتيقِ[٦]

كأنِّي إذْ أُكَفْكِفُ دَمْعَ عَيْنِي ... وأنْهَاهَا أقُولُ لَهاً هَرِيقِي

ألاَ تِلْكَ الحَوادِثُ غِبْتُ عَنهَا ... بأرْضِ الشَّام كالفَرْدِ الغَرِيقِ

فَمَا أَنْفَكُّ أَنْظُرُ في كِتابٍ ... تُدارِي النَّفْسَ عَنْهُ هَوَى زَهوقِ[٧]

يُخَبِّرُ عن وفاة أخٍ كريمٍ ... بَعِيدِ الغَوْرِ نَفّاعٍ طَلِيقِ

---

(١) الترجل والترجيل: تسريح الشعر.

(٢) الطّفل: الرخص الناعم. والأنثى طفلة.

(٣) اللّمم: صغار الذنوب.

(٤) ورد في ترجمته هنا أنّ أباه مات وهو طفل.

(٥) النيق: أعلى موضع في الجبل.

(٦) تهتان: مطر غزير.

(٧) الزهوق: الهالك.

وَقَـرْمٍ يُـغْـرِضُ الـخُـضْـمـانُ عَـنْـهُ ... كَـمَـا حـادَ الـبِـكـارُ عَـنِ الـفَـنِـيـقِ[1]
كَـرِيـمٍ يَـمـلأُ الـشِّـيـزَى وَيَـقْـرِي ... إذَا مَـا قَـلَّ إيـمـاضُ الـبُـرُوقِ[2]
وأعْـظَـمُ مَـا رمِـيـتُ بِـهِ فَـجُـوعـاً ... كِـتَـابٌ جَـاءَ مِـنْ فَـجٍّ عَـمِـيـقِ[3]
يُـخَـبِّـرُ عَـنْ وفـاةِ أَخٍ فَـصَـبْـراً ... تَـنَـجَّـزْ وَعْـدَ مَـنَّـانٍ صَـدُوقِ
سَـأَصْـبِـرُ لِـلْـقَـضَـاءِ فَـكُـلُّ حَـيٍّ ... سَـيَـلْـقَـى سَـكْـرَةَ الـمَـوْتِ الـمَـذُوقِ
فَـمَـا الـدُّنـيـا بِـقَـائِـمَـةٍ وَفـيـهَـا ... مِـنَ الأخْـيـاءِ ذُو عَـيْـنٍ رَمُـوقِ
وَلِـلأخْـيَـاءِ أيّـامٌ تَـقَـضَّـى ... يَـلُـفُّ خِـتَـامُـهَـا سُـوقـاً بِـسُـوقِ
فَـأغْـنَـاهُـمْ كَـأعْـدَمِـهِـم إذَا مَـا ... تَـقَـضَّـتْ مُـدّةُ الـعَـيْـشِ الـرَّقِـيـقِ
كَـذَلِـكَ يُـبْـعَـثُـونَ وَهُـمْ فُـرَادَى ... لِـيَـوْمٍ فِـيـهِ تَـوْفِـيَـةُ الـحُـقُـوقِ
أبَـعْـدَ هُـمَـامِ قـومِـكَ ذِي الأيـادِي ... أبـي الـوَضَّـاحِ رَتَّـاقِ الـفُـتـوقِ[4]
وَبَـعْـدَ عُـبَـيْـدَةَ الـمَـحْـمُـودِ فِـيـهِـمْ ... وبَـعْـدَ سَـمَـاعَـةَ الـعَـوْدِ الـعَـتِـيـقِ
وبـعـدَ ابْـنِ الـمـفـضَّـلِ وابْـن كـافٍ ... هُـمَـا أخـواكَ فِـي الـزَّمـنِ الأنِـيـقِ
تُـؤَمِّـلُ أنْ تَـعِـيـشَ قَـرِيـرَ عَـيْـنٍ ... وأيْـنَ أمـامَ طَـلاَّبٍ لَـحُـوقِ
وَدُنـيـاكَ الَّـتِـي أمْـسَـيْـتَ فـيـهَـا ... مُـزَايِـلَـةُ الـشَّـقِـيـقِ عَـنِ الـشَّـقِـيـقِ

ومِمَّا قاله في مَرْثِيَة أهله وذكْر الموت وغُنّي فيه ـ وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة ـ:

صوت

[المنسرح]

مَـا لَـكَ وَضَّـاحُ دائِـمَ الـغَـزَلِ ... أَلَـسْـتَ تَـخْـشَـى تَـقَـارُبَ الأَجَـلِ
صَـلِّ لِـذِي الـعَـرْشِ واتَّـخِـذْ قَـدَمـاً ... تُـنْـجِـيـكَ يـومَ الـعِـثَـارِ والـزَّلَـلِ[5]
يَـا مَـوْتُ مَـا إنْ تَـزالُ مـعْـتَـرِضـاً ... لآمِـلٍ دونَ مُـنْـتَـهَـى الأَمَـلِ
لَـو كَـانَ مَـنْ فَـرَّ مِـنْـكَ مُـنْـفَـلِـتـاً ... إذاً لأسْـرَعْـتُ رحـلَـةَ الـجَـمَـلِ
لٰـكِـنَّ كَـفَّـيْـكَ نَـالَ طُـولُـهُـمَـا ... مَـا كَـلَّ عـنْـهُ نَـجَـائِـبُ الإبِـلِ

(١) البِكار: جمع بكر وهو الفتي من الإبل. والفنيق: الجمل المكرم.
(٢) الشيزى: خشب أسود تعمل منه القصاع والجفان.
(٣) الفجوع: الفاجع، فعول للمبالغة.
(٤) رتّاق الفُتوق: جامع الشمْل.
(٥) العثار: الزلل.

تَـنَـالُ كَـفَّـاكَ كُـلَّ مُـشْـهِـلَـةٍ وَحُـوتَ بَـحْـرٍ ومَـعْـقِـلَ الـوَعِـلِ
لَـوْلاَ حِـذارِي مِـنَ الـحُـتُـوفِ فَـقَـدْ أَصْـبَـحْـتُ مِـنْ خـوفِـهَـا عَـلَـى وَجَـلِ
لَـكُـنْـتُ لِـلْـقـلـبِ فـي الـهَـوَى تَـبَـعـاً إنَّ هَــواهُ رَبـائِـبُ الـحَـجَـلِ
حِـرْمـيَّـةٌ تَـسْـكُـنُ الـحِـجـازَ لَـهـا شَـيْـخٌ غَـيُـورٌ يَـغْـتَـلُّ بـالـعِـلَـلِ[1]
عُـلِّـقَ قَـلْـبِـي رَبِـيـبَ بَـيْـتِ مُـلُـو كِ ذاتَ قُـرطَـيْـنِ وَغـثَـةَ الـكَـفَـلِ[2]
تَـفْـتَـرُّ عَـنْ مَـنْـطِـقٍ تَـضَـنُّ بِـهِ يَـجْـرِي رُضـابـاً كـذائِـبِ الـعَـسَـلِ

[تشبيه بروضة وحبابة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني سليمان بن أبي أيّوب عن مُصْعَب قال: قال وضّاح اليمن في حبابة جارية يزيد بن عبد الملك، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه، وسمع غناءها فأُعجب بها إعجاباً شديداً:

صوت [مجزوء الكامل]

يَـا مَـنْ لِـقَـلْـبٍ لا يُـطِـيـ ـعُ الـزَّاجِـرِيـنَ ولا يُـفِـيـقْ
تَـسْـلُـو قُـلُـوبُ ذوِي الـهَـوَى وَهُـوَ الـمُـكَـلَّـفُ والـمَـشُـوقْ[3]
تَـبَـلَـتْ حَـبَـابَـةُ قَـلْـبَـهُ بـالـدَّلِّ والـشَّـكْـلِ الأنِـيـقْ[4]
وَبِـعَـيْـنِ أحْـوَرَ يَـرْتَـعِـي سَـقْـطَ الـكَـثِـيـبِ مِـنَ الـعَـقِـيـقْ[5]
مَـكْـحُـولَـةٌ بـالـسِّـحْـرِ تُـنْـ ـشِـي نَـشْـوَةَ الـخَـمْـرِ الـعَـتِـيـقْ
هَـيْـفَـاءُ إنْ هِـيَ أقْـبَـلَـتْ لاحَـتْ كَـطَـالِـعَـةِ الـشُّـروقْ
وَالـرِّدْفُ مِـثْـلُ نـقـاً تَـلَـبَّـ ـدَ فَـهْـو زُحْـلُـوقٌ زَلُـوقْ
فِـي دُرَّةِ الأصْـدَافِ مـعـ ـتـنِـقـاً بِـهَـا رَدْعَ الـخَـلُـوقْ[6]
دَاوِي هَـوَايَ وَأَطْـفِـئِـي مـا فِـي الـفُـؤادِ مِـنَ الـحَـرِيـقْ

---

(١) حِرْميّة: نسبة إلى الحَرَم على غير قياس.
(٢) وَغثة: كثيرة اللحم.
(٣) كلف به: ولع به.
(٤) تَبَلَه الحب: أسقمه.
(٥) سَقْط الكثيب: منقطعه.
(٦) الرَّدْع: أثر الطيب في الجسد.

وَتَرَفَّقِي أَمَلِي فَقَدْ كَلَّفْتِنِي مَا لاَ أُطِيقْ
فِي القَلْبِ مِنْكِ جَوَى المُحِبّ وَرَاحَةُ الصَّبِّ الشَّفِيقْ
هَذَا يَقُودُ بِرُمَّتِي قَوداً إِلَيكِ وَذَا يَسُوقْ[1]
يَا نَفْسُ قَدْ كَلَّفْتِنِي تَعَبَ الهَوَى مِنها فَذُوقْ[2]
إِنْ كُنْتِ تَائِقَةً لِحَرِّ صَبَابَةٍ مِنها فَتُوقْ

ومما قاله في روضة وفيه غناء قوله:

صوت

[الخفيف]

يَا لَقَوْمِي لِكَثْرَةِ العُذَّالِ وَلِطَيْفٍ سَرَى مَلِيحِ الدَّلالِ
زَائرٌ فِي قُصُورِ صَنْعَاءَ يَسْرِي كُلَّ أَرْضٍ مَخُوفَةٍ وجِبَالِ[3]

ـ والغناء لابن عبّاد عن الهشامي رمل ـ وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيّدة يقول فيها:

يَقْطَعُ الحَزْنَ والمَهَامِهَ والبِيدَ وَمِنْ دُونِهِ ثَمَانُ لَيَالِي
عَاتِبٌ فِي المَنَامِ أَخْبِبْ بِعُتْبَاهُ إِلَيْنَا وقَوْلِهِ مِنْ مَقَالِ
قُلْتُ أَهْلاً وَمَرْحَباً عَدَدَ القَطْرِ وسَهْلاً بِطَيْفِ هَذا الخَيَالِ
حَبَّذَا مَنْ إِذَا خَلَوْنَا نَجِيّاً قَالَ: أَهْلِي لَكَ الفِدَاءُ ومَالِي
وَهِيَ الهَمُّ والمُنَى وهَوَى النَّفْسِ إِذا اعْتَلَّ ذو هَوىً بِاعْتِلالِ
قِسْتُ ما كَانَ قَبْلَنَا مِنْ هَوى النَّاسِ فَمَا قِسْتُ حُبَّهَا بِمِثَالِ
لَمْ أَجِدْ حُبَّهَا يُشَاكِلُهُ الحُبُّ ولاَ وَجْدُنَا كَوَجْدِ الرِّجَالِ
كُلُّ حُبٍّ إِذا اسْتَطَالَ سَيَبْلَى وَهَوى رَوْضَةِ المُنَى غَيرُ بَالِي
لَمْ يَزِدْهُ تَقَادُمُ العَهْدِ إِلاّ جِدَّةً عِنْدَنَا وَحُسْنَ اخْتِلالِ
أَيُّهَا العَاذِلُونَ كَيْفَ عِتَابِي بَعْدَمَا شَابَ مَفْرِقِي وقَذَالِي
كَيْفَ عَذْلِي عَلَى الَّتِي هِيَ مِنِّي بِمَكَانِ اليَمِينِ أُخْتِ الشِّمَالِ

---

(١) الرُّمّة: قطعة حبل يشد بها.
(٢) فذوق: الأصل فَذُوقي.
(٣) قصور صنعاء: قصر زيدان وهو قصر المملكة، وقصر شوحطان، وقصر كوكبان (معجم البلدان ٣/ ٤٢٦).

وَالَّـذِي أَحْـرَمُـوا لَـهُ وأحَـلُّـوا بِـمِنًـى صُبْـحَ عاشِراتِ الـليالِي[١]
مَا مَلَكْتُ الهَوَى ولاَ النَّفْسَ مِنِّي مُنْذُ عُلِّقْتُهَا فكيفَ احْتِيالِي
إنْ نأتْ كانَ نأيُهَا المَوْتَ صِرْفاً أو دَنَتْ لي فَثَمَّ يَبْدُو خَبَالِي
يابنةَ المالِكِيِّ يا بَهْجَةَ النَّفْـ ـسِ أفِي حُبِّكُمْ يَحِلُّ اقْتِتَالِي
أيُّ ذَنْبٍ عَلَيَّ إنْ قُلْتُ إنِّي لأُحِبُّ الحِجازَ حُبَّ الزُّلالِ
لأُحِبُّ الحِجازَ مِنْ حُبِّ مَنْ فيـ ـهِ وأَهْوَى حِلاَلَهُ مِن حِلالِ[٢]

ومما فيه غناء من شعر وضاح:

صوت [المديد]

أَيُّهَا النَّاعِبُ مَاذَا تَقُولُ فَكِلانَا سائِلٌ وَمَسُولُ
لا كَسَاكَ اللَّهُ ما عِشْتَ رِيشاً وَبِخَوْفٍ بِتَّ ثُمَّ تَقِيلُ
ثُمَّ لا أَنْقَفْتَ في العُشِّ فَرْخاً أَبَداً إلا عَلَيْكَ دَلِيلُ[٣]
حِينَ تُنْبِي أَنَّ هِنْداً قَرِيبٌ يَبْلُغُ الحاجاتِ مِنْهَا الرَّسُولُ
وَنَأَتْ هِنْدٌ فَخَبَّرْتَ عَنْهَا أَنَّ عَهْدَ الوِدِّ سَوْفَ يَزُولُ

ومنها:

صوت [الكامل]

حَيِّ التي أَقْصَى فؤادِكَ حَلَّتِ عَلِمَتْ بأنَّكَ عاشِقٌ فَأَدَلَّتِ
وإذا رأتْكَ تَقَلْقَلَتْ أحْشاؤُهَا شَوقاً إليكَ فأكْثَرَتْ وأقَلَّتِ
وإذَا دَخَلْتَ فأُغْلِقَتْ أبوابُها عَزَمَ الغَيُورُ حِجابَها فاعْتَلَّتِ
وَإذَا خَرَجْتَ بَكَتْ عَلَيْكَ صَبَابَةً حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُها ما بَلَّتِ
إنْ كُنْتَ يا وَضَّاحُ زُرْتَ فَمَرْحَباً رَحُبَتْ عَلَيْكَ بِلادُنا وَأظَلَّتِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها ليحيى المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى، من كتابه. ولابنه أحمد فيها هزج. وذكر حَبَش أن ليحيى فيها أيضاً خفيف ثقيل.

---

(١) عاشِرات الليالي: الليلة العاشرة من ذي الحجة.
(٢) الحلال: جمع حلة وهي المحلة.
(٣) أنقف الفرخ: استخرجه من البيضة.

ومنها: **صوت** [الطويل]

أَتَعرِفُ أَطْلالاً بِمَيْسَرَةِ اللِّوَى إلى أَرْعَبَ قد حَالفتْكَ بِهِ الصَّبَا(١)
فَأَهْلاً وسَهْلاً بِالَّتي حَلَّ حُبُّها فؤادِي وَحَلَّتْ دَارَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى

ـ الغناء فيه هَزَجٌ يَمنيّ بالبنصر عن ابن المكيّ ـ وهذه أبيات يقولها لأخيه سَمَاعةَ، وقد عَتب عليه في بعض الأمور. وفيها يقول:

أُبَادِرُ دُرْنُوكَ الأَمِيرِ وقُرْبَهُ لأُذْكَرَ فِي أَهْلِ الكَرامَةِ والنُّهى(٢)
وَأَتْبعُ القُصَّاصَ كُلَّ عَشِيَّةٍ رَجَاءَ ثَوابِ اللَّهِ في عَددِ الخُطا
وَأَمْسَتْ بِقَصْرٍ يَضْرِبُ الماءُ سُورَهُ وَأَصْبَحْتُ في صَنْعاءَ أَلْتَمِسُ النَّدَى
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي سماعَةَ ناهِياً فإنْ شِئْتَ فاقْطَعْنَا كَمَا يُقْطَعُ السَّلَى(٣)
وإنْ شِئتَ وَصْلَ الرِّحْمِ فِي غيرِ حيلَةٍ فَعَلْنا وقُلْنَا لِلَّذِي تشتهِي بَلَى
وإنْ شِئتَ صُرْماً لِلتَّفَرُّق والنَّوَى فبُعْداً، أدامَ اللَّهُ تَفرِقَةَ النَّوَى

ومنها: **صوت** [الكامل]

طَرَقَ الخَيالُ فَمَرْحَباً أَلْفَا بالشَّاغِفَاتِ قُلوبَنا شَغْفَا
وَلَقَدْ يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ وَما نَبَّأْتُهُ مِنْ شَأْنِنَا حَرْفَا:
إِنِّي لأَحْسَبُ أَنَّ دَاءَكَ ذَا مِن ذي دَمالِجَ يَخْضِبُ الكَفَّا
إنِّي أنَا الوضَّاحُ إنْ تَصِلِي أُحسِنْ بِكِ التَّشْبِيبَ والوَصْفَا
شَطَّتْ فَشَفَّ القَلْبَ ذِكْرُكَها وَدَنَتْ فَمَا بَذَلَتْ لَنَا عُرْفَا

ومنها: **صوت** [مجزوء الكامل]

ـ ويُروى لبشّار ـ

يَا مَرْحَباً أَلْفاً والفَا بِالكَاسِراتِ إِلَيَّ طَرْفَا
رُجُحِ الرَّوادِفِ كَالظِّبا تَعَرَّضَتْ حُوّاً ووُطْفَا(٤)
أَنْكَرْنَ مَركَبِيَ الحِمَا رَ وَكُنَّ لاَ يُنْكِرْنَ طِرفَا(٥)

---

(١) مَيْسَرة اللِّوَى: موضع (معجم البلدان ١/ ١٥٢).
(٢) الدرنوك: الطنفسة وضرب من البسط والثياب له خمل قصير.
(٣) السَّلى: الجلدة التي يكون فيها الجنين، فإن انقطع هلكت الأم وهلك الجنين.
(٤) الحُوَّة: سواد إلى خضرة. والحُوة أيضاً سمرة الشفة. والوُطف: جمع وطفاء وهي كثيرة شعر أهداب العينين.
(٥) الطِّرْف: الكريم من الخيل.

وسَألْنَنِي أينَ الشَّبا ... بُ فقلتُ بَانَ وكانَ حِلْفا
أفْنَى شبَابي فانْقَضَى ... حِلْفُ النِّساء تَبغِنَ حِلْفا
أَعْطَيْتُهُنَّ مَوَدَّتِي ... فَجَزَيْنَنِي كَذِباً وَخُلْفا
وَقَصَائِدٌ مِثْلُ الرُّقَى ... أَرْسَلْتُهُنَّ فَكُنَّ شَغْفا
أَوْجَعْنَ كُلَّ مُغَازِلٍ ... وَعَصَفْنَ بالغَيْرَانِ عَصْفا
مِنْ كُلِّ لَذَّاتِ الفَتَى ... قَدْ نِلْتُ مَائِلَةً وعُزْفا
صِدْتُ الأوانِسَ كالدُّمَى ... وَسَقَيْتُهُنَّ الخَمْرَ صِرْفا

ومنها: ـ وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبي جَمَد ـ

صوت [الطويل]

أُغَنِّي عَلَى بَيْضاءَ تَنْكَلُّ عَنْ بَرَدْ ... وتَمْشِي على هَوْنٍ كَمِشْيَة ذي الحَرَدْ[١]
وَتَلْبَسُ مِن بَزِّ العِراقِ مَنَاصِفاً ... وأبرادَ عَصْبٍ مِنْ مُهَلْهَلَةِ الجَنَدْ[٢]
إذَا قُلْتُ يَوْماً نَوِّلِينِي تَبَسَّمَتْ ... وقالَتْ لَعَمْرُ اللَّهِ لَو أنَّهُ اقْتَصَدْ
سَمَوْتُ إليها بَعْدَ ما نامَ بَعْلُهَا ... وَقَدْ وَسَّدَتْهُ الكَفَّ في لَيْلَةِ الصَّرَدْ[٣]
أَشارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ أَهْلاً ومَرْحباً ... سَتُعْطَى الذِي تَهْوَى على رُغْم مَنْ حَسَدْ
أَلَسْتَ تَرَى مَنْ حَوْلَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ... وَكُلَّ غُلام شَامخ الأنْفِ قَدْ مَرَدْ[٤]
فَقُلْتُ لَها إنِّي امْرُؤٌ فاعْلَمِنَّهُ ... إذا ما أَخَذْتُ السَّيْفَ لم أحفِلِ العدَدْ
بَنَى لِيَ إسْمَاعِيلُ مَجداً مُؤَثَّلاً ... وَعَبْدُ كُلالٍ قَبْلَهُ وَأَبُو جَمَدْ
تُطِيفُ عَلَينَا قَهْوَةٌ فِي زجَاجَةٍ ... تُريكَ جَبَانَ القَوْمِ أَمْضَى مِنَ الأَسَدْ

ومنها:

صوت [المنسرح]

يا أيُّها القَلْبُ بَعْضَ ما تَجِدُ ... قَدْ يَعْشَقُ القَلْبُ ثُمَّ يَتَّئِدُ
قَدْ يَكْتُمُ المَرْءُ حُبَّهُ حِقَباً ... وَهْوَ عَمِيدٌ وَقَلْبُهُ كَمِدُ
مَاذَا تُراعُونَ مِنْ فَتًى غَزِلٍ ... قَدْ تَيَّمَتْهُ خُمْصانَةٌ رُؤُدُ[٥]

---

(١) تَنْكَلُّ: تفتر وتبسم. والحَرَد: ثقل الدرع على المدرع، أو هو داء يأخذ الإبل في اليدين فتسترخي.

(٢) البَزّ: الثياب. والجَنَد: من المدن النجدية باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً (معجم البلدان ٢/ ١٦٩).

(٣) الصَّرَد: البرد وقيل: شدته.

(٤) مَرَد: عتا وبلغ الغاية.

(٥) خمصانة: ضامرة البطن. والرُؤُد: اللينة.

يُهدّدونني كَيما أخافَهُمُ ... هَيهاتَ أنّى يُهدّدُ الأسَدُ

ومنها:

صوت [الخفيف]

صَدَعَ البَينُ وَالتّفرُّقُ قَلبي ... وَتَوَلّتْ أمُّ البَنينِ بِلُبّي
ثَوَتِ النّفسُ في الحُمولِ لَدَيها ... وَتَوَلّى بالجِسْمِ مِنّيَ صَحبِي
وَلَقَدْ قُلْتُ والمَدامِعُ تَجري ... بِدُموعٍ كأنّها فَيضُ غَرْبِ
جَزَعاً لِلفِراقِ يَومَ تَوَلّتْ ... حَسْبِيَ اللّهُ ذو المَعارِجِ حَسْبي

ومنها:

صوت [السريع]

يَابنَةَ الواحِدِ جُودِي فَمَا ... إنْ تَضرِمينِي فَبِمَا أَوْ لِمَا
جُودِي عَلَينا اليومَ أوْ بَيِّنِي ... فِيمَ قَتَلْتِ الرَّجُلَ المُسلِمَا
إنّي وأيدي قُلُصٍ ضُمَّرٍ ... وكلِّ خِرْقٍ وَرَدَ المَوْسِمَا[1]
مَا عُلِّقَ القَلْبُ كَتعليقِهَا ... واضِعَةً كفّاً عَلَتْ مِعْصَمَا
رَبَّةُ مِحْرابٍ إذَا جِئتُها ... لَمْ ألقَهَا أو أرتقِي سُلَّمَا
إخوتُهَا أربعةٌ كُلُّهُمْ ... ينفونَ عنهَا الفارِسَ المُعلَمَا
كَيفَ أرجّيهَا ومِنْ دونِهَا ... بَوّابُ سوءٍ يُعْجِلُ المَشْتَمَا
أسودُ هَتّاكٌ لأعْراضِ مَنْ ... مرَّ عَلَى الأبوابِ أو سَلَّمَا
لامِنّةٌ أعْلَمُ كانَتْ لَهَا ... عِندِي ولاَ تطلُبُ فينَا دَمَا
بَلْ هِيَ لَمَّا أنْ رَأتْ عاشِقاً ... صَبّاً رمتْهُ اليومَ فِيمَنْ رَمَى
لَمَّا ارتَمَينَا وَرَأتْ أنّها ... قَدْ أثبَتَتْ فِي قَلبِهِ أسْهُمَا
أعْجَبَهَا ذَاكَ فأبْدَتْ لَهُ ... سُنَّتَهَا البَيضَاءَ والمِعْصَمَا[2]
قَامَتْ تَراءى لِي عَلَى قَصْرِهَا ... بَيْنَ جَوارٍ خُرَّدٍ كالدُّمَى[3]
وَتَعقِدُ المِرْطَ عَلَى جَسْرَةٍ ... مِثْلِ كَثيبِ الرَّملِ أو أعْظَمَا[4]

ومنها:

صوت [المنسرح]

دَعَاكَ مِنْ شَوْقِكَ الدَّواعِي ... وأنْتَ وَضّاحُ ذُو اتّبَاعِ
دَعَتْكَ مَيّالَةٌ لَعُوبٌ ... أسِيلَةُ الخَدِّ بالُّمَاعِ

---

(١) الخرق: الفتى الكريم الخليقة.

(٢) السُّنّة: الوجه، وقيل غير ذلك.

(٣) الخُرّد: الأبكار.

(٤) المِرط: كساء يؤتزر به. والجَسْر: كل عضو ضخم.

دَعَــثْــكَ مَــيّــالــةٌ لَــعُــوبٌ أَسِــيــلَــةُ الــخَــدِّ بــالــلَّــمَــاعِ
دَلالُــكِ الــحُــلْــوُ والــمُــشَــهّــي ولَــيْــسَ سِــرِّيــكِ بــالــمُــضَــاعِ
لا أَمْــنَــعُ الــنَّــفْــسَ عَــنْ هَــوَاهَــا وَكُــلُّ شَــيْءٍ إلَــى انْــقِــطَــاعِ

ومنها: صوت [الطويل]

أَلاَ يَا لَقَومِي أَطْلِقوا غُلَّ مُرْتَهَنْ ومُنُّوا عَلَى مُسْتَشْعِرِ الهَمِّ والحَزَنْ
تَذَكَّرَ سَلْمَى وَهْيَ نَازِحَةٌ فَحَنّ وَهَلْ تَنْفَعُ الذِّكرى إذا اغْتَرَبَ الوَطَنْ
أَلَمْ تَرَهَا صَفْرَاءُ رُؤْداً شَبَابُهَا أسِيلَةَ مَجْرَى الدَّمْعِ كالشَّادِنِ الأغَنْ(١)
وأَبْصَرتُ سَلْمَى بينَ بُرْدَيْ مَراجِلٍ وأبْرادِ عَصْبٍ مِنْ مُهَلْهَلَةِ اليَمَنْ(٢)
فَقُلْتُ لَها لاَ تَرتَقِي السَّطْحَ إنَّنِي أخافُ عليكُم كلَّ ذِي لِمَّةٍ حَسَنْ(٣)

الغناء لابن سُريج، وله في هذا الشعر لحنان: ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، ورمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وأوّل الرمل قولُه:

أَلاَ يَا لَقَومِي أَطْلِقُوا غُلَّ مُرْتَهَنْ

وأول الثقيل الأوّل: «تذكّر سلمى». وفي هذه الأبيات هَزَج يمنيّ بالبنصر.

ومنها: صوت [الكامل]

أَغَدَوْتَ أمْ فِي الرائِحِينَ تَرُوحُ أَمْ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ الحِسَانِ صَحِيحُ
إذ قَالَتِ الحَسْنَاءُ مَا لِصَدِيقِنَا رَثُّ الثِّيَابِ وإنَّهُ لَمَلِيحُ
لاَ تَسْأَلِنَّ عَنِ الثِّيَابِ فَإِنَّنِي يَوْمَ اللِّقاءِ على الكُماةِ مُشِيحُ(٤)
أَرْمِي وأَطْعَنُ ثُم أُتْبِعُ ضَرْبَةً تَدَعُ النِّساءَ عَلَى الرِّجَالِ تَنُوحُ

❀ ❀ ❀

(١) الرؤد: الليّن. والشادن: ولد الظبية.
(٢) المراجل: ضرب من برود اليمن.
(٣) اللِّمّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.
(٤) الكُماة: واحدها الكمي وهو الشجاع، أو لابس السلاح لأنه يكمي نفسه أي يسترها بالدرع وغيره.

صوت

من المائة المختارة

[مجزوء الكامل]

يَا صَاحِ إنِّي قَدْ حَجَجْـ ـتُ وزُرْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ[١]
وأَتَيْتُ لُدّاً عَامِداً فِي عِيدِ مَرْيَا سَرْجِسِ[٢]
فَرَأَيْتُ فِيهِ نِسْوَةً مِثْلَ الظِّبَاءِ الكُنَّسِ[٣]

الشعر والغناء للمُعَلَّى بن طَريف مولى المَهدي، ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر. وكان المُعلَّى بن طَريف وأخوه ليث مملوكين مولَّدين من مولّدي الكوفة لرجل من أهلها، فاشتراهما عليّ بن سليمان وأهداهما إلى المنصور، فوهبهما المنصور للمهديّ فأعتقهما. ونهر المعلَّى ورَبَض[٤] المعلَّى ببغداد منسوب إلى المعلَّى ـ هكذا ذكر ذلك ابن خُرْداذبه ـ وكان ضارباً محسِناً طيّب الصوت حسن الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحكم الوادي. ووُلّي أخوه ليثُ السِّنْد ووُلّي هو الطِّراز[٥] والبريدَ بخراسان[٦]، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه، ثم وُلّي الأهوازَ بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللّيث ويهجو عليَّ بن صالح صاحب المُصلَّى: [الخفيف]

يَا عَلِيَّ بْنَ صالح ذا المُصَلَّى أنتَ تَفْدِي لَيْثاً وَتَفْدِي المُعَلَّى
سَدَّ لَيْثٌ ثغراً وَوُلِّيتَ فَاخْتَنْـ ـتَ فَبِئْسَ المُوَلَّى وبِئْسَ المُوَلِّى

وعليّ بن سليمان هذا الذي أهدى المُعَلَّى وأخاه إلى المهدي هو الذي يقول فيه أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن الأَسَديّ؛ وكان خرج مع المهديّ إلى الصيد، فرمى المهدي وعليّ بن سليمان ظبياً سنَح لهما، وقد أُرسلت عليه الكلاب، بسهمين،

---

(١) بيت المقدس: وهي الأرض المباركة المطهرة، وهو المسجد الأقصى بالقدس من فلسطين، وهو ثاني مسجد على وجه الأرض (معجم البلدان ٥/ ١٦٦).

(٢) لُدّ: قرية قرب بيت المقدس من فلسطين (معجم البلدان ٥/ ١٥).

(٣) كَنَس الظبيُ كُنوساً: تغيب واستتر في كناسه. والكناس: بيت الظبي.

(٤) الربض: الناحية، وما حول المدينة من بيوت ومساكن.

(٥) الطِّراز: يريد ديوان الطراز وهو الذي تنسج فيه الثياب.

(٦) خراسان: أول حدودها مما يلي العراق أزذوار وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان (معجم البلدان ٢/ ٣٥٠).

فأصاب المهدي الظبي وأصاب عليّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما. فقال أبو دُلاَمة:

[مجزوء الرمل]

قَــدْ رَمَــى الــمَــهْــدِيُّ ظَـبْـيـاً شَــكَّ بــالــسَّــهْــم فُــؤَادَهْ
وَعَــلِــيُّ بــنُ سُــلَــيْــمَــا نِ رَمَــى كَــلْــبــاً فَــصَــادَهْ
فَــهَــنِــيــئــاً لَــهُــمَــا كُــلُّ امــرِئٍ يَــأْكُــلُ زَادَهْ

حدّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مصعَب، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبير بن بَكّار عن عمّه.

صوت

من المائة المختارة

[الوافر]

أَلاَ طَــرَدَ الــهَــوَى عَــنِّــي رُقَــادِي فَـحَـسْـبِـي مَـا لَـقِـيـتُ مِـنَ الـسُّـهَـادِ
لِــعَــبْــدَةَ إِنَّ عَــبْــدَةَ تَــيَّــمَــتْــنِــي وَحَــلَّــتْ مِــنْ فُــؤَادِي فِــي الــسَّــوَادِ

الشعر لبشّار. والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن عليّ أنه يَمَنِيّ، وذكر الهشاميّ أنه لسُلَيم.

أخبار بشّار وعَبدة خاصة
إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت

[٩٥ ـ ١٦٧ هـ/٧١٤ ـ ٧٨٤ م]

حدّثني محمد بن خَلَف وكيع قال: حدّثنا أبو أيوب المَديني عمن حدّثه عن الأصمعيّ هكذا قال: وأخبرني به عمّي عن عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن مسرور عن الأصمعيّ قال: كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرْدان. فبينا هو في مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه، إذ سمع كلامَ امرأة يقال لها عَبْدة في المجلس، فدعا غلامَه فقال: إني قد عُلّقت امرأة، فإذا تكلمت فانظر مَنْ هي واعرفْها، فإذا انقضى المجلسُ وانصرف أهلُه فاتْبَعها وكلّمها وأَعْلمها أنّي لها محبّ وأَنشدْها هذه الأبيات وعرِّفْها أني قلتُها فيها:

صوت

[البسيط]

قَالُوا بِمَنْ لاَ تَرَى تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ ... الأذْنُ كالعَيْنِ تُوفِي القَلْبَ ما كانَا
مَا كُنْتُ أوَّل مَشْغُوفٍ بِجَارِيَةٍ ... يَلْقَى بِلُقْيانِها رَوْحاً ورَيْحانَا

ـ ويروى: هل من دواء لمشغوف بجارية ـ

يَا قَوْمِ أُذْنِي لِبَعْضِ الحَيِّ عاشِقَةٌ ... والأذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيانَا

ـ غنّى إبراهيم في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها لِسَياطٍ ثقيلٌ أول بالوسطى، عن عمرو. وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه ـ قال: فأبلَغها الغلامُ الأبياتَ، فهَشّتْ لها، وكانت تزوره مع نسوة يَصْحَبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنشدَها ولا تُطمعه في

نفسها. قال: وقال فيها: [البسيط]

قَالَتْ عُقَيلُ بْنُ كَعْبٍ إذْ تَعَلَّقَهَا قَلْبِي فَأَضْحَى بِهِ مِنْ حبِّهَا أَثَرُ
أَنَّى وَلَمْ تَرَهَا تَهذِي! فَقُلْتُ لَهُمْ إنَّ الفُؤَادَ يَرَى مَا لاَ يَرَى البَصَرُ
أَصْبَحْتُ كَالحَائِمِ الحَرّانِ مُجتَنباً لَمْ يَقْضِ وِرْداً وَلاَ يُرْجَى لَه صَدَرُ[1]

قال: وقال فيها أيضاً ـ وهو من جيّد ما قال فيها ـ: [الطويل]

يُزَهِّدُنِي فِي حُبِّ عَبْدةَ مَعْشَرٌ قُلُوبُهُمُ فِيهَا مُخَالِفَةٌ قَلْبِي
فَقُلْتُ دَعُوا قَلْبِي وَمَا اختارَ وارْتَضَى فَبالْقَلْبِ لا بِالْعَينِ يُبصِرُ ذو الحُبِّ
فَمَا تُبصِرُ العَينانِ فِي مَوْضِعِ الهَوَى ولا تَسْمَعُ الأذْنَانِ إلاَّ مِنَ القَلْبِ
وَما الْحُسْنُ إلاّ كُلُّ حُسْنٍ دَعَا الصِّبا وَأَلَّفَ بَيْنَ العِشْقِ والعاشِقِ الصَّبِّ

قال: وقال فيها: [المنسرح]

يَا قَلْبُ مَا لِي أَرَاكَ لا تَقِرُ إيَّاكَ أَعْنِي وَعِنْدَكَ الخَبَرُ
أَضِعْتَ بينَ الأُلى مَضَوْا حُرَقاً أَمْ ضَاعَ مَا اسْتَوْدَعُوكَ إذ بَكَرُوا؟
فَقَالَ بَعْضُ الحَدِيثِ يَشْغَفُنِي وَالقَلْبُ رَاءٍ مَا لاَ يَرَى البَصَرُ

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ قال: حدّثنا الحسن ابن عُليل العَنزيّ قال: حدّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جرير عن أبيه بمثل هذه القصة، وزاد فيها أنّ عَبْدة جاءت إليه في نسوة خمسة قد مات لإحداهن قريب فسألنه أن يقول شعراً يَنُحْن عليه به، فوافَيْنَه وقد احتجم[2] ـ وكان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غُدوةً يسميه «البَردان» ومجلس يجلس فيه عشيّةً يسميه «الرَّقيق» ـ وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه: أمسِكْ عليّ بابي واطبُخْ لي وهيِّئ طعامي وطَيّبْه وصفِّ نبيذي. قال: فإنه لكذلك إذا قُرِع الباب عليه قرعاً عنيفاً؛ فقال: ويْحَك يا غلام! انظر من يدقّ الباب دقَّ الشُّرَط[3]؛ فنظر الغلام وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعراً يَنُحْنَ فيه؛ فقال: أدخلهنّ. فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مُصفًّى في قَنَانِيِّه؛ في جانب بيته فقالت إحداهن: خمر؛ وقالت الأخرى: زبيب؛ وقالت الأخرى: معسَّل. فقال: لستُ بقائل لكُنَّ حرفاً أو تَطْعمن

---

(١) الحرّان: الشديد العطش. وورد الماء: صار إليه. والصدر: الرجوع عن الماء.
(٢) احتجم: طلب الحجامة وهي نوع من المداواة.
(٣) الشُّرَط هنا: الأرذال.

من طعامي وتشربن من شرابي فتماسكْن ساعةً، وقالت إحداهن: فما عليكنّ من ذلك! هذا أعمى، كُلْن من طعامه واشربْنَ من شرابه وخُذْن شِعْرَه، ففعلن. وبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتَف به. فبلغ ذلك بشّاراً، وكان الحسن يُلقَّب القَسّ، فقال فيه بشّار: [مجزوء الكامل]

لَـمَّـا طَـلَـعْـنَ مِـنَ الـرَّقِـيـ ... ـقِ عَـلَـيَّ بِـالـبَـرَدَانِ خَـمْـسَـا
وكَـأَنَّـهُـنَّ أَهِـلَّـةٌ ... تَـحْـتَ الـثِّـيَـابِ زَفِـفـنَ شَـمْـسَـا
بَـاكَـرْنَ طِـيـبَ لَـطِـيـمَـةٍ ... وغُـمِـسْـنَ فِـي الـجَـادِيِّ غَـمْـسَـا[1]
فَـسَـأَلْـنَـنِـي مَـنْ فـي الـبُـيُـو ... تِ فَـقُـلْـتُ مـا يَـخْـوِيـنَ إِنْـسَـا
لَـيْـتَ الـعُـيُـونَ الـنَّـاظِـرَا ... تِ طُـمِـسْـنَ عَـنَّـا الـيـومَ طَـمْـسَـا
فَـأَصَـبْـنَ مِـنْ طَـرَفِ الـحَـدِيـ ... ـثِ لَـذَاذَةً وَخَـرجـنَ مُـلْـسَـا
لَـوْلاَ تَـعَـرُّضُـهُـنَّ لِـي ... يـا قَـسُّ كُـنْـتُ كَـأَنْـتَ قَـسَّـا

أخبرني الأَسَدِيّ ويحيى بن عليّ بن يحيى ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفي قالوا حدّثنا العَنزيّ قال: حدّثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النَّوْفليّ قال:

أتيت بشاراً ذات يوم، فقال لي: ما شَعرت منذُ أيام إلا بقارع يقرَع بابي مع الصبح؛ فقلت: يا جارية، انظري مَنْ هذا؛ فقالت: مالك بن دينار؛ فقلت: مالي ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالي! ائذَني له. فدخل فقال لي: يا أبا معاذ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم! فلم يكن عندي إلا دفعُه عن نفسي بأن قلت لا أعاود؛ فخرج من عندي. وقلت في إثره: [المتقارب]

غَـدَا مَـالِـكٌ بِـمَـلامَـاتِـهِ ... عَـلَـيَّ وَمَـا بَـاتَ مِـنْ بَـالِـيَـهْ
فَـقُـلْـتُ دَعِ الـلَّـوْمَ فِـي حُـبِّـهَـا ... فَـقَـبْـلَـكَ أَعْـيَـيْـتُ عُـذَّالِـيَـهْ
وَإِنِّـي لأَكْـتُـمُـهُـمْ سِـرَّهَـا ... غَـدَاةَ تَـقُـولُ لَـهَـا الـجَـالِـيَـهْ
أَعَـبْـدَةَ مَـا لَـكِ مَـسْـلُـوبَـةً ... وكُـنْـتِ مُـقَـرطَـقَـةً حَـالِـيَـهْ[2]
فَـقَـالَـتْ عَـلَـى رِقْـبَـةٍ: إِنَّـنِـي ... رَهَـنْـتُ الـمُـرَعَّـثَ خَـلْـخَـالِـيَـهْ
بِـمَـجْـلِـسِ يَـوْمٍ سَـأُوفِـي بِـهِ ... وإنْ أَنْـكَـرَ الـنَّـاسُ أَخْـوَالِـيَـهْ

أخبرني وَكيع قال: حدّثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني

(١) اللطيمة: المسك، أو من يحمله. والجادي: الزعفران. والغَمْس: الاختفاء والتمويه.
(٢) مقرطقة: لابسةٌ القُرطق وهو القباء.

الحسن بن جهور قال: حدّثني هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال: إني لعند بشّار ذاتَ يوم إذ أتته امرأة فقالت: يا أبا معاذ، عبدة تُقرئك السلام وتقول لك: قد اشتدّ شوقُنا إليك ولم نرك منذُ أيام؛ فقال: عن غير مَقلِية[1] والله كان ذاك. ثم قال لراويته: يا هشام، خذ الرقعةَ واكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول. قال هشام: فأملى عليّ: [الخفيف]

عَبْدُ إنّي إلَيْكِ بالأَشْواقِ لِتَلاَقٍ وَكَيْفَ لِي بالتَّلاقِي

أَنَا وَاللّهِ أشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْـ ـكِ وَأَخْشَى مَصَارِعَ العُشَّاقِ

وَأَهابُ الحَرَسِيَّ مُحْتَسِبَ الجُنْـ ـدِ يَلُفُّ البَرِيءَ بالفُسَّاقِ[2]

ومما يغنى فيه من شعر بشار في عبدة قولُه:

صوت

[الطويل]

لِعَبْدَةَ دَارٌ تُكَلِّمُنَا الدَّارُ تَلُوحُ مَغانيهَا كَمَا لاحَ أسْطارُ[3]

أُسَائِلُ أحْجاراً وَنُؤْياً مُهَدَّماً وَكَيْفَ يُجِيبُ القَوْلَ نُؤْيٌ وأَحْجَار[4]

وَمَا كَلَّمتْنِي دارُها إذْ سَأَلْتُهَا وَفِي كَبِدِي كالنِّفْطِ شُبَّتْ بِهِ النَّارُ

وَعِنْدَ مَغَانِي دارِهَا لو تكلّمت لِمُكْتَئِبٍ بَادِي الصَّبابَةِ أَخبارُ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشامي. ومن هذه القصيدة:

صوت

تَحَمَّلَ جيرانِي فَعَينِي لِبَيْنِهِمُ تَفِيضُ بِتَهْتانٍ إذَا لاحَتِ الدَّار[5]

بَكَيْتُ عَلَى مَنْ كنتَ أَحْظَى بِقُرْبِهِ وَحَقَّ الذِي حَاذَرْتُ بالأمْسِ إذْ سَارُوا

الغناء ليحيى المَكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر.

ومن الأغاني في شعره في عبدة:

---

(١) مَقلية: مبغضة.

(٢) الحَرَسِيّ: واحد حرس السلطان.

(٣) السطر: الصف من الشيء كالكلمات.

(٤) النُّؤي: الحفير حول الخيمة يدفع عنها السيل.

(٥) هتنت السماء تهتاناً: صَبَّتْ.

صوت

مَسَّنِي مِنْ صُدُودِ عَبْدَةَ ضُرُّ فَبَنَاتُ الفُؤَادِ مَا تَسْتَقِرُّ
ذَاكَ شيءٌ فِي القَلْبِ مِنْ حُبِّ عَبْـ ـدَةَ بَادٍ وَبَاطِنٌ يَسْتَسِرُّ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو. وفيه لحَكم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم. وفيه لفريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق. وفيه ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه. وفيه لحسين بن مُحرِز رمل عن الهشامي.

ومنها: **صوت** [الكامل]

يَا عَبْدُ إنّي قدْ ظُلِمْتُ وإنّنِي مُبْدٍ مَقَالَةَ رَاغِبٍ أوْ رَاهِبِ
وَأتُوبُ مِمّا تَكْرَهِينَ لِتَقْبلِي واللّهُ يَقْبَلُ حُسْنُ فِعْلِ التّائِبِ

الغناء لحكم خفيفُ ثقيل عن إسحاق. وفيه ليحيى المكي ثقيلٌ أوّلُ من كتابه. وفيه لحسين بن مُحْرِز رمل عن الهشامي.

ومنها: **صوت** [الكامل]

يَا عَبْدُ حُبُّكِ شَفَّنِي شَفَا وَالحُبُّ دَاءٌ يُورِثُ الحَتْفَا
وَالحُبُّ يُخفِيهِ المُحِبُّ، لِكَيْ لاَ يُستَرابَ بِهِ، ومَا يَخْفَى

الغناء لِسِيَاط خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاقَ.

ومنها: **صوت** [المنسرح]

يَا عَبْدَ بِاللّهِ فَرِّجِي كُرَبِي فَقَدْ بَرانِي وَشَفَّنِي نَصَبِي[1]
وَضِقْتُ ذَرْعاً بِمَا كَلِفْتُ بِهِ مِنْ حُبِّكُمْ وَالمُحِبُّ فِي تَعَبِ
فَفَرِّجِي كُرْبَةً شَجِيتُ بِهَا وَحَرَّ حُزْنٍ فِي الصَّدْرِ كالَّلهَبِ
وَلاَ تَظُنّي مَا أَشْتَكِي لَعِباً هَيْهَاتَ قَدْ جَلَّ ذَا عَنِ اللَّعِبِ

---

(١) النَّصَب: التَّعب.

غنّاه سِيَاطٌ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو.

ومنها: **صوت** [السريع]

يَـا عَـبْـدَ زُورِيـنِـي تَـكُـنْ مِـنّـةً ... لِـلّـهِ عِـنْـدِي يَـوْمَ أَلْـقَـاكِ
وَالـلّـهِ ثُـمَّ الـلّـهِ فَـاسْـتَـيْـقِـنِـي ... إنّـي لأَرْجُـوكِ وَأَخْـشَـاكِ
يَـا عَـبْـدُ إنّـي هَـالِـكٌ مُـذْنَـفٌ ... إنْ لَـمْ أَذُقْ بَـرْدَ ثَـنَـايَـاكِ
فَـلاَ تَـرُدّي عَـاشِـقـاً مُـذْنَـفـاً ... يَـرْضَـى بِـهٰـذَا الـقَـدْرِ مِـنْ ذَاكِ

الغناء لحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

ومنها: **صوت** [الكامل]

يَـا عَـبْـدُ قَـدْ طَـال الـمِـطَـالُ فـأنْـعِـمِـي ... وَاشْـفِـي فُـؤَادَ فَـتًـى يَـهِـيـمُ مُـتَـيَّـمِ

الغناء ليزيدِ حوْراء غيرُ مجنَّس عن إبراهيم.

ومنها: **صوت** [المنسرح]

يَـا عَـبْـدَ هَـلْ لِـلّـقَـاءِ مِـنْ سَـبَـبِ ... أوْ لاَ فَـأَدْعُـو بـالـوَيْـلِ والـحَـرَبِ

الغناء ليزيد حوراء غير مجنَّس.

ومنها: **صوت** [الكامل]

يَـا عَـبْـدَ هَـلْ لِـي مِـنْـكُـمُ مِـنْ عَـائِـدِ ... أَمْ هَـلْ لَـدَيْـكِ صَـلاحُ قَـلْـبٍ فَـاسِـدِ

الغناء لابن عبّاد عن إبراهيم غير مجنّس.

ومنها: **صوت** [مجزوء الكامل]

يَـا عَـبْـدَ حَـيّـي عَـنْ قَـرِيـبِ ... وتـأمّـلِـي عَـيْـنَ الـرَّقِـيـبِ
وارْعَـيْ ودَادِي غَـائِـبـاً ... فَـلَـقَـدْ رَعَـيْـتُـكِ فِـي الـمـغِـيـبِ
أَشْـكُـو إلَـيْـكِ وَإنَّـمَـا ... يَـشْـكُـو الـمُـحِـبُّ إلَـى الـحَـبِـيـبِ
غَـرَضِـيْ إلَـيْـكِ مِـنَ الـهَـوَى ... غَـرَضُ الـمَـرِيـضِ إلَـى الـطَّـبِـيـبِ

الغناء لحكم مطلق في مجرى البنصر.

ومنها: **صوت** [السريع]

يَـا عَـبْـدَ بِـالـلَّـهِ ارْحَـمِـي عَـبْـدَكِ وَعَـلِّـلِـيـهِ بِـمُـنَـى وَعْـدِكِ
يُـضْـبِـحُ مَـكْـرُوبـاً وَيُـمْـسِـي بِـهِ وَلَـيْـسَ يَـدْرِي مَـا لَـهُ عِـنْـدَكِ
مَـاذَا تَـقُـولِـيـنَ لِـرَبِّ الـعُـلاَ إِذَا تَـخَـلَّـيْـتِ بِـهِ وَحْـدَكِ

الغناء لإبراهيم ثَاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه، وفيه ليزيدِ حَوْراءَ لحنٌ ذَكَره إبراهيم ولم يجنِّسه. وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الثاني لِسيَاط.

ومنها: **صوت**

يَـا عَـبْـدَ جَـلِّـي كُـرُوبِـي وأَسْـعِـفِـي وَأَثِـيـبِـي
فَـقَـدْ تَـطَـاوَلَ هَـمِّـي وزَفْـرتِـي ونَـحِـيـبِـي

الغناء لابن سُكّرة عن إبراهيم ولم يجنِّسه.

ومنها: **صوت** [مجزوء الكامل]

يَـا عَـبْـدُ أَنْـتِ ذَخِـيـرَتِـي نَـفْـسِـي فَـدَتْـكِ وَجِـيـرَتِـي
الـلَّـهُ يَـعْـلَـمُ فِـيـكُـمُ يَـا عَـبْـدَ حُـسْـنَ سَـرِيـرَتِـي
نَـفْـسِـي لِـنَـفْـسِـكِ خُـلَّـةٌ وَكَـذاكَ أَنْـتِ أمـيـرتـي[1]

الغناء لحَكَم الوادي خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو.

ومنها: **صوت**

يَـا عَـبْـدَ حُـبِّـي لَـكِ مَـسْـتُـورُ وَكُـلُّ حُـبٍّ غَـيْـرُهُ زُورُ
إنْ كَـانَ هَـجْـرِي سَـرَّكُـمْ فَـاهْـجُـرُوا إنِّـي بِـمَـا سَـرَّكِ مَـسْـرورُ

الغناء لحكم هَزَج بالوسطى عن ابن المكيّ.

---

(١) الخلة: الخليلة وهي الصديقة.

ومنها: **صوت** [الرمل]

لَـمْ يَـطُـلْ لَـيْـلـي وَلَـكِـنْ لَـمْ أَنَـمْ وَنَـفَـى عَـنِّـي الْـكَـرَى طَـيْـفٌ أَلَـمّ
وَإِذَا قُـلْـتُ لَـهَـا جُـودي لَـنَـا خَـرَجَـتْ بـالـصَّـمْـتِ عَـنْ لاَ وَنَـعَـمْ
رَفِّـهِـي يَـا عَـبْـدَ عَـنِّـي وَاعْـلَـمِـي أنَّـنِـي يَـا عَـبْـدَ مِـنْ لَـحْـمٍ وَدَمْ
إنَّ فِـي بُـرْدَيَّ جِـسْـمـاً نَـاحِـلاً لَـوْ تَـوَكَّـأْتِ عَـلَـيْـهِ لانْـهَـدَمْ
خَـتَـمَ الـحُـبُّ لَـهـا فِـي عـنـقِـي مَـوْضِـعَ الـخَـاتَـمِ مِـنْ أَهْـلِ الـذِّمَـمْ

الغناء لحَكَم هَزَجٌ بالسبّابة والوسطى عن ابن المكيّ. وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسُبه إلى أحد. وفيه لعَثْعَث الأسود خفيفُ رمل في الأول والخامس. وكان بشّار يُنكر هذا البيتَ الأخير وهو:

خَـتَـم الـحُـبُّ لَـهـا فـي عُـنُـقِـي

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثني أبو حاتم السِّجِسْتَانيّ قال: حدّثني مَنْ أنشد بشاراً قوله:

لَـمْ يَـطُـلْ لَـيْـلَـي وَلَـكِـنْ لَـمْ أَنَـمْ

حتى بلغ إلى قوله:

خَـتَـمَ الـحُـبُّ لَـهَـا فِـي عُـنـقِـي مَـوضِـعَ الـخـاتَـمِ مِـنْ أَهْـلِ الـذِّمَـمْ

فقال بشار: عَمّن أخذتَ هذا؟ قلتُ: عَنْ راويتك فلان؛ فقال: قَبّحه الله! والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ، أمَا ترى إلى أثره فيه! ما أقبحَه وأشدَّ تميُّزَه عنّي! فقال له بعضُ من حضر: نَعم، هو أَلْحقه بالأبيات.

ومنها: **صوت** [الخفيف]

عَـبْـدَ إنِّـي قَـد اعـتـرفْـتُ بِـذَنْـبِـي فَـاغْـفِـرِي واغـرُكِـي خَـطـاي بِـجَـنْـبِ[1]
عَـبْـدَ لاَ صَـبْـرَ لِـي وَلَـسْـتُ ـ فَـمَـهْـلاً ـ قَـائِـلاً قَـدْ عَـتَـبْـتِ فِـي غـيـرِ عَـتْـبِ
وَلَـقَـدْ قُـلْـتُ حـيـنَ أَنْـصـبَـنِـي الـحُـ ـبُّ فَـأَبْـلَـى جِـسْـمِـي وعَـذَّبَ قـلـبِـي

---

(١) عرك: دلك. وعرك بجنبه ما كان من صاحبه: كأنه حكّه حتى عفاه.

رَبِّ لاَ صَبْرَ لِي عَلَى الهجْرِ حَسْبِي أَقِلْنِي حَسْبِي لَكَ الحَمْدُ حَسْبِي

الغناء لِسِيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكيّ.

ومنها:

صوت

عَبْدَ مِنِّي وأَنْعِمِي قَدْ مَلَكْتُمْ قِيَادِيَهْ
شَابَ رأسِي وَلَمْ تَشِبْ أَبَلائي لِدَاتِيَهْ

الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لَعرِيب هزج.

ومنها:

صوت [الخفيف]

عَبْدَ يا هِمَّتِي عليكِ السَّلامُ فِيمَ يُجْفَى حَبِيبُكِ المُسْتَهامُ[1]
نَزَلَ الحُبُّ مَنْزِلاً فِي فؤادِي وَلَهُ فِيهِ مَجْلِسٌ وَمَقَامُ

الغناء لأبي زكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لعريب هزجٌ.

ومنها:

صوت [مجزوء الرمل]

عَبْدَ يَا قُرَّةَ عَيْنِي أَنْصِفِي، رُوحِي فِدَاكِ
عَاشِقٌ لَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ وَلا هَمٌّ سِوَاكِ

الغناء لِعريب هزجٌ. وفيه لحن ليزيدِ حوْراء غير مجنَّس.

ومنها:

صوت

يا عَبْدَ يا جافيةً قاطِعَهْ أَمَا رَحِمْتِ المُقْلَةَ الدَّامِعَهْ
يَا عَبْدَ خافِي اللّه فِي عَاشِقٍ يَهْوَاكِ حتَّى تَقَعَ الواقِعَهْ

الغناء لأبي زكّار هَزجٌ بالبنصر عن عمرو.

---

(١) الهِمَّة: الهوى.

صوت

من المائة المختارة

أرْسَلَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ لاَ تَزُورُ　　لَيْتَ شِعْرِي بالغَيْبِ مَنْ ذَا دَهَاهَا

أَأَتَاهَا مُحَرِّشٌ بِنَمِيمٍ　　كَاذِبٌ مَا أَرَادَ إلاَّ رَدَاهَا

عروضه من الخفيف ـ الشعر للأحوص، والغناء لأمّ جعفر المدنيّة مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ولحنه من الثقيل الأوّل في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر، فلا أعلم أهذا يعني أم غيره. وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكّيّ وإسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ.

أخبار الأحوص مع أم جعفر

[توفي ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م]

وقد ذُكِرتْ أخبارُ الأحوص مُتَقَدِّماً إلا أخباره مع أمّ جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أُخِّرت إلى هذا الموضع. وأمّ جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطْمة[1]، وهي أمّ جعفر بنت عبد الله بن عُرْفُطة بن قَتَادة بن مَعَدّ بن غِياث ابن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك بن الأوْس. وله فيها أشعار كثيرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطَّلْحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت، وأخبرني عمِّي قال: حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال: حدّثني أحمد بن زُهير عن مصعَب، وأخبرني الحَرَمي بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثنا عبد الرحمٰن بن عبد الله عن المُحْرِز بن جعفر الدَّوْسيّ، قالوا جميعاً: لمّا أكثر الأحوص التشبيب بأمّ جعفر وشاع ذكرهُ فيها توعّده أخوها أَيْمَنُ وهدّده فلم يَنْته فاستعدَى عليه واليَ المدينة ـ وقال الزبير في خبره: فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز ـ فربَطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما: تجالدا[2]؛ فتجالدا فغلَب أخوها. وقال غير الزُّبير في خبره: وسلَح الأحوصُ في ثيابه وهرَب وتَبِعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً. وقد كان الأحوص قال فيها:

[الطويل]

لَقَدْ مَنَعَتْ مَعْروفَها أمُّ جَعْفَرِ وإنِّي إلَى مَعروفِها لَفَقِيرُ

---

(١) خطمة: لُقب خطمة لأنه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه.

(٢) تجالدا: تضاربا.

وَقَدْ أَنْكَرَتْ بَعْدَ اعْتِراف زِيارَتِي ... وَقَدْ وَغِرَتْ فِيهَا عَلَيَّ صُدُورُ[(١)]
أَدُورُ وَلَولاَ أَنْ أَرَى أمَّ جَعْفَرٍ ... بِأَبْيَاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
أَزُورُ البُيُوتَ اللاّصِقَاتِ بِبيتِهَا ... وَقَلْبِي إلَى البَيْتِ الذِي لا أَزُورُ
وَمَا كُنْتُ زَوّاراً وَلٰكِنَّ ذَا الهَوَى ... إذَا لَمْ يَزُرْ لاَ بُدَّ أنْ سَيَزُورُ
أَزورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَنْفَكُّ كُلَّمَا ... أَتَيتُ عَدُوّاً بِالبَنَانِ يُشِيرُ

فقال السائب بن عمرو، أحد بني عمرو بن عَوْف، يعارض الأحوص في هذه الأبيات ويعيِّره بفراره: [الطويل]

لَقَدْ مَنَعَ المَعْرُوفَ من أمّ جَعْفَرٍ ... أَخُو ثِقَةٍ عِنْدَ الجِلادِ صَبُورُ
عَلاكَ بِمَتْنِ السَّوْطِ حَتَّى اتَّقَيْتَهُ ... بِأَصْفَرَ مِنْ مَاءِ الصِّفَاقِ يَفُورُ[(٢)]

فقال الأحوص: [الطويل]

إذَا أَنَا لَمْ أغْفِرْ لأَيْمَنَ ذَنبَهُ ... فَمَنْ ذَا الذِي يَغْفُو لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي
أُرِيدُ انْتِقَامَ الذَّنْبِ ثُمَّ تَرُدُّنِي ... يَدٌ لأَدَانِيهِ مُبَارَكَةٌ عِنْدِي[(٣)]

وقال الزُّبير في خبره خاصّة: وإنما أعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداءً بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لما تَهاجى سالم بن دارة ومُرّة بن واقع الغَطفَاني الفَزَاري لزّهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما.

وقال عمر بن شَبّة في خبره: وقال الأحوص فيها أيضاً ـ وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّة بيتين فأضفتهما إليها ـ: [الطويل]

وَإِنِّي لَيَدْعُونِي هَوَى أمِّ جَعْفَرٍ ... وَجَاراتِهَا مِنْ سَاعَةٍ فَأُجِيبُ
وإِنّي لآتِي البَيتَ مَا إنْ أُحِبُّهُ ... وأُكْثِرُ هَجْرَ البَيْتِ وَهْوَ حَبِيبُ
وأُغْضِي عَلَى أَشْياءَ مِنْكم تَسُوؤُنِي ... وأُدْعَى إلَى مَا سَرَّكُمْ فَأُجِيبُ
هَبِينِي امْرَأً إِمَّا بَرِيئاً ظَلَمْتِهِ ... وَإِمَّا مُسِيئاً مُذْنِباً فَيَتُوبُ

---

(١) الوغر: احتراق الغيظ.

(٢) الصفاق: جمع صفق وهو الأديم الجديد يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أصفر اسمه الصفق.

(٣) الأداني: الأقارب.

فَلاَ تَتْرُكِي نَفْسِي شَعَاعاً فَإِنَّها ... مِنَ الحُزْنِ قَدْ كادَتْ عَليكِ تَذُوبُ[1]
لَكِ اللَّهُ إنِّي وَاصِلٌ مَا وصَلْتِني ... وَمُثْنٍ بِمَا أوْلَيتنِي وَمُثيبُ
وآخُذُ مَا أعْطَيْتِ عَفْواً وإنَّنِي ... لأزْوَرُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبُ[2]

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة، وهي مروية للمجنون في عدة روايات؛ وهي بشعره أشبه. وفي هذه الأشعار التي مضت أغانٍ نسبتها:

صوت

[الطويل]

أدورُ وَلَوْلاَ أنْ أرَى أُمَّ جَعْفَرٍ ... بِأبْيَاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أدورُ
أدورُ عَلَى أنْ لَسْتُ أنْفَكُّ كُلَّمَا ... أتَيْتُ عَدُواً بِالْبَنَانِ يُشِيرُ

الغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان: ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن عمرو. ولإسحاق فيهما وفي قوله:

أزورُ البُيوتَ اللاّصِقاتِ بِبيتِها

وبعده:

أدُورُ وَلَوْلاَ أنْ أرَى أمَّ جَعْفَرِ

لحن من الرمل. وفي البيتين اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقيلٌ أوّل عن الهشامي، ولإبراهيم خفيف ثقيل. وفيه لحن لشارية عن ابن المعتز ولم يذكر طريقتَه.

إذَا أنَا لَمْ أغْفِرْ لأيْمَنَ ذَنْبَهُ ... فَمَنْ ذَا الذِي يَغْفُو لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي
أُرِيدُ مُكَافَأةً لَهُ وَتَصُدُّنِي ... يَدٌ لأدانيهِ مُبَارَكَةٌ عِنْدِي

الغناء لمَعْبد ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن يحيىٰ المكيّ، وذكر غيرُه أنه منحول يحيى إلى معبد. وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إلى عَرِيبَ ورونق.

ومنها وهو:

---

(١) الشّعاع: المتفرق.

(٢) الهَيوب: الجبان الذي يهاب الناس.

صوت

من المائة المختارة

[الطويل]

وَإِنِّـي لآتِـي الـبـيـتَ مَـا إنْ أُحِـبُّـهُ وَأُكْـثِـرُ هَـجْـرَ الـبـيـتِ وَهـوَ حـبـيـبُ

وأُغْضِي علَى أَشياءَ منكمْ تَسُوؤني وأُدعَـى إلَـى مَـا سَـرَّكُـمْ فَـأُجِـيـبُ

وَمَـا زِلْـتُ مِـنْ ذِكْـراكِ حَـتَّـى كـأَنَّـنـي أَمِـيـمٌ بـأفْـيـاءِ الـدِّيـارِ سَـلِـيـبُ[1]

أَبُثُّكِ مَـا ألـقَـى وَفِـي الـنَّـفْـسِ حَـاجَـةٌ لَـهـا بَـيـنَ جِـلْـدِي والـعِـظَـامِ دَبِـيـبُ

لَـكِ الـلّـه إنِّي وَاصِـلٌ مـا وَصَـلـتِـنِـي ومُـثْـنٍ بِـمَـا أولـيـتِـنِـي ومُـثِـيـبُ

وَآخُـذُ مَـا أعـطَـيْـتِ عَـفْـواً وإِنَّـنِـي لأَزورُ عَـمّـا تَـكْـرهِـيـنَ هَـيُـوبُ

فَـلاَ تَـتْـرُكِـي نَـفْـسِـي شَـعَـاعـاً فـإنَّـهـا مِنَ الـحُـزْن قَـدْ كَـادَتْ عَـلـيـكِ تَـذوبُ

الشعر للأحوص. ومن الناس من ينسُب البيت الخامس وما بعده إلى المجنون. والغناء في اللحن المختار لدَحْمان، وهو ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر. وذكر الهشاميّ أن في الأبيات الأربعة لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل، فلا أعلم ألحنَ دَحْمانَ عَنَى أم ثقيلاً آخر. وفي:

لَـكِ الـلّـهُ إنِّي وَاصِـلٌ مَـا وَصَـلْـتـنـي وَمُـثْـنٍ بِـمَـا أَوْلَـيْـتِـنِـي وَمُـثِـيـبُ

لإسحاق ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثني محمد بن حسن، قال الزُّبير: وحدّثني عبد الرحمٰن بن عبد الله الزُّهْريّ عن مُحْرِز أنّ أمّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ في ذكرها جاءت منتقِبة[2]، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت امرأة عفيفة؛ فقالت له: اقضِ ثمن الغنم التي ابتعتها منّي؛ فقال: ما ابتعتُ منكِ شيئاً. فأظهرتْ كتاباً قد وضعتْهُ عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضُرّاً وفاقةً وقالت: يا قوم، كلِّموه. فلامه قومُه وقالوا: اقضِ المرأةَ حقَّها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قطُّ ولا يعرفها. فكشفتْ وجهَها وقالت: ويْحك! أمَا تعرفني! فجعل يحلف مجتهداً أنه ما يعرفها ولا رآها قطُّ. حتى إذا استفاض قولُها وقولُه

(١) الأميم: المشجوج الرأس وقد يستعار لغير الرأس. والسليب: المستلب العقل.

(٢) انتقبت المرأة وتنقبت: وضعت النقاب على وجهها.

واجتمع الناسُ وكثرُوا وسمعوا ما دار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم، قامت ثم قالت: أيها الناس، اسكتوا. ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدوّ الله! صدقتَ، والله ما لي عليك حقّ ولا تعرفني، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق، وأنا أمّ جعفر وأنت تقول: قلت لأمّ جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك! فخجِل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئتْ عندهم.

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبير، وأخبرني به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حدّثنا ثَعْلب قال: حدّثنا الزُّبير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ الأحوص: [الطويل]

لَقَدْ مَنَعَتْ مَعرُوفَها أمُ جَعْفَرِ ... وَإنِّي إلَى مَعْرُوفِها لَفَقِيرُ

فلما انتهيتُ إلى قوله:

أَزورُ عَلَى أنْ لَسْتُ أنْفَكُّ كُلَّمَا ... أَتَيْتُ عَدُوّاً بِالبَنَانِ يُشِيرُ

أعجبه ذلك وطَرِب وقال: أتدري يابنَ أخي كيف كانوا يقولون! الساعةَ دخل، الساعةَ خرج، الساعةَ مرّ الساعة رَجَع، وجعل يُومئ بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسبّابته إلى حيال وجهه ويقلبها، يحكي ذهابه ورجوعه.

صوت

من المائة المختارة

صَاحِ قَدْ لُمْتَ ظَالِمَا ... فَانْظُرِ انْ كُنْتَ لائِمَا
هَلْ تَرَى مِثْلَ ظَبْيَةٍ ... قَلَّدُوهَا التَّمَائِمَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء في اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وأخبرني ذُكَاء وجه الرزّة أن فيه لعَرِيب رملاً بالبنصر، وهو الذي فيه سَجْحة. وفيه لابن المَكّيّ خفيفُ ثقيلٍ آخرُ بالوسطى. وزعم الهشاميّ أن فيه خفيف رمل بالوسطى لابن سُرَيج، وقد سمعها ممن يغنّيه. وذكر حبش أنّ فيه رملاً آخر للغَريض. ولعاتكة بنت شُهْدة فيه خفيفُ ثقيل، وهو من جيِّد صنعتها، وذكر جحْظة عن أصحابه أن لحنها الرملَ هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدّمها ويستجيدها، ويزعم أنه أخذه عنها. وقال ابن المعتزّ: حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ: أنّ عَريب صنعت فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت

الخلافةُ إلى المعتصم، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه، ولم أسمع بَشَراً قطُّ غنّاه أحسن من خِشْف الواضحيّة.

وكل أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرتْ، أوْ لها موضع تُذكر فيه، إلا عاتكة بنت شُهْدة فإن أخبارها تذكر هاهنا؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكره غير هذا. وقد ذكر جحْظة عن أصحابه أن لحنَها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوة غيرها.

[من أخبار عاتكة]

كانت عاتكة بنت شُهدة مدنيّة. وأُمُّها شُهْدة جارية الوليد بن يزيد، وهو الصحيح. وكانت شهدة مغنِّية أيضاً.

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا العَلاَء قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال: حدّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ عن بعض المغنِّين قال: كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصليّ وغيرُهما، وعنده في تلك الليلة محمد ابن داود بن إسماعيل بن عليّ؛ فتغنَّى المغنّون، ثم اندفع محمد بن داود فغنّاه بين أضعافهم:

صوت [الكامل]

أُمَّ الـولـيـدِ سَـلَـبْـتِـنِـي حِـلْـمِـي ... وَقَـتَـلْـتِـنِـي فَـتَـخَـوَّفِـي إِثْـمِـي

بِـالله يَـا أُمَّ الـوَلِـيـدِ أَمَـا ... تَـخْـشَـيْـنَ فِـيَّ عَـواقِـبَ الـظُّـلْـمِ

وَتَـرَكْـتِـنِـي أَبْـغِـي الـطَّـبِـيـبَ وَمَـا ... لِـطَـبِـيـبِـنَـا بِـالـدَّاءِ مِـنْ عِـلْـمِ

خَـافِـي إِلَـهـكِ فِـي ابْـنِ عَـمِّـكِ قَـدْ ... زَوَّدتِـهِ سُـقْـمـاً عَـلَـى سُـقْـمِ

قال: فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميعُ من حضره وطرِبوا له. فقال له الرشيد: يا حبيبي، لمن هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سَلْ هؤلاء المغنِّين لمن هو. فقالوا: والله ما ندري، وإنه لغَريب. فقال: بحياتي لمن هو؟ فقال: وحياتِك ما أدري إلاّ أنّي أخذتُه من شُهْدة جاريةِ الوليد أمّ عاتكة بنت شُهْدة. هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقَيّات، والغناء لابن مُحْرِز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل

بالبنصر عن عمرو. وفيه لسُليم خفيف رمل بالبنصر. ولحُسين بن مُحرز ثقيل أوّل عن الهشاميّ وحَبَش.

أخبرني محمد بن مَزْيد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه: أنه ذكر عاتكة بنت شُهْدة يوماً فقال: كانت أضربَ مَنْ رأيتُ بالعود؛ ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلف إليها في كل يوم فتُضاربني ضرباً أو ضربين، ووصل إليها منّي ومن أبي أكثرُ من ثلاثين ألف درهم بسببي: دراهمَ وهدايا.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال: كانت عاتكة بنت شُهْدة أحسنَ خَلْق الله غناءً وأرْواهم، وماتت بالبصرة. وأمّها شُهْدة نائحة من أهل مكة. وكان ابن جامع يَلُوذ منها بكثرة الترجيع. فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له: إلى أين يا أبا القاسم! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودَعْ من جنونك. فأضجرتْه يوماً بين يدي الرشيد فقال لها: إني أشتهي، عَلِم الله، أنْ تحتكّ شِعْرتي بشعرتك. فقالت: اُخسَأْ، قطع الله ظهرك! ولم تَعُد لأذاه بعدها.

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: قال لي عليّ ابن جعفر بن محمد: دخلت على جواري المروانيّ المغنيات بمكة، وعاتكة بنت شُهْدة تطارحهنّ لحنًا: [الكامل]

يَا صَاحِبَيّ دَعَا المَلامَةَ وَاعْلَمَا ... أَنَّ الهَوَى يَدَعُ الكِرامَ عَبِيدَا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول: «يَدَعُ الرِّجالَ عَبيدا». فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهْدة: ويلكِ! بُنْدارٌ الزيات العاضُّ بظرَ أمه رجل! أفمِنَ الكرام هو!. قال: فكنتُ إذا مرّ بي بُندار أو رأيتُه غلبني الضحك فأستحي منه وآخُذ بيده وأجعل ذلك بشاشةً؛ حتى أَوْرث هذا بيني وبينه مقاربةً؛ فكان يقول: أبو الحسن عليُّ بن جعفر صديقٌ لي.

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة، وهي علّمتْه الغناء ووضعت يده على العود، ثم باعته؛ فانتقل من مِلْك رجل إلى مِلك آخر حتى صار إلى الرشيد. وقد ذُكر ذلك في أخباره.

صوت
من المائة المختارة

وَلَـوْ أَنَّ مَـا عِـنْـدَ ابْـنِ بُـجْـرَةَ عِـنْـدَهـا مِنَ الخَمْرِ لِمْ تَبْلُلْ لَهَاتِي بِنَاطِلِ[1]
لَـعَـمْـرِي لأنْـتَ الـبَـيْـتُ أُكْـرِمُ أهْـلَـهُ وَأَقْـعُـدُ فِـي أَفْـيَـائِـهِ بِـالأَصَـائِـلِ[2]

عروضه من الطويل. الشعر لأبي ذُؤَيب الهُذَلي. والغناء لَحَكَم الواديّ ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها. ابن بُجَرْة هذا، فيما ذكره الأصمعيّ، رجل كان يَبيع الخمرَ بالطائف، وزعم أن الناطل كوزٌ تُكال به الخمر. وقال ابن الأعرابي: ليس هذا بشيء، وزعم أن الناطل: الشيء؛ يقال: ما في الإناء ناطل، أي شيء. وقال أبو عمرو الشَّيْباني: سمعتُ الأعراب يقولون: الناطل: الجُرْعة من الماء واللبن والنبيذ. انتهى.

(١) اللهاة: المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
(٢) الأفياء: جمع فيء وهو الظل، ولا يكّون الفيء إلاّ بالعشيّ.

ذكر أبي ذُؤَيب وخبره ونسبه

[توفي ٢٧ هـ/ ٦٤٨ م]

[اسمه ونسبه ولقبه]

هو خُوَيْلد بن خالد بن مُحرِّث بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث ابن تَميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وهو أحد المخضرَمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فحسُن إسلامُه. ومات في غَزاة إفْريقيّة[1].

أخبرني أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاّم قال: كان أبو ذُؤَيب شاعراً فَحْلاً لا غَميزة[2] فيه ولا وَهْن. وقال ابن سَلاّم: قال أبو عمرو بن العلاء سُئل حسّان بن ثابت: مَنْ أشعر الناس؟ قال: أحيّاً أم رجلاً؟ قالوا: حيّاً، قال: أشعرُ الناس حيّاً هُذَيل، وأشعر هذيل غيرَ مُدَافع أبو ذُؤَيب. قال ابن سلاّم: ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله.

أخبرني أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلاّم قال: أخبرني محمد بن مُعاذ العُمَريّ قال: في التّوراة: أبو ذؤيب مؤلف زوراً، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زوراً». فأخبرتُ بذلك بعضَ أصحاب العربيّة، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال: قد بلغني ذاك. وكان فصيحاً كثيرَ الغريب متمكّناً في الشعر.

قال أبو زيد عمر بن شَبّة: تقدم أبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التي يَرثي فيها بَنِيه. يعني قولَه:

---

(١) إفريقية: بلاد قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، والجزيرتان في شماليها، سميت بذلك نسبة إلى اسم أول من سكنها. (معجم البلدان ١/ ٢٩٨).

(٢) الغميزة بالعيب: المطعن.

[الكامل]

أَمِنَ المَنونِ وَرَيْبِه تَتَوَجَّعُ وَالدَّهرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ[1]

وهذه يقولها في بنين له خمسةٍ أُصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها. وسنذكر جميع ما يُغنَّى فيه منها على أثر أخباره هذه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعَب الزُّبيريّ وأخبرني حَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدّثني عمّي قال: كان أبو ذُؤيب الهُذَلي خرج في جُند عبد الله بن سَعْد بن أبي سَرْح أحد بني عامر بن لؤيّ إلى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازياً إفْرنْجة في زمن عثمان. فلما فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبد الله بن الزبير ـ وكان في جنده ـ بشيراً إلى عثمان بن عفّان، وبعث معه نفراً فيهم أبو ذؤيب. ففي عبد الله يقول أبو ذؤيب: [المتقارب]

فَصَاحِبَ صِدْقٍ كَسِيدِ الضَّرا ءِ يَنْهَضُ فِي الغَزْوِ نهضاً نجيحا[2]

في قصيدة له. فلما قدِموا مصر[3] مات أبو ذؤيب بها. وقدِم ابنُ الزُّبير على عثمان، وهو يومئذٍ، في قول ابن الزبير، ابنُ ستّ وعشرين سنة؛ وفي قول الواقِدي ابن أربع وعشرين سنة. وبُشّر عبد الله عند مقْدمه بخُبيْب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عُرْوة بن الزُّبير، وكانا وُلدا في ذلك العام، وخُبيب أكبرهما. قال مصعب: فسمعت أبي والزبير بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان: قال عبد الله ابن الزبير: أحاط بنا جُرْجير صاحب إفريقية وهو ملك إفْرَنْجة في عشرين ألفاً ومائة ألف ونحن في عشرين ألفاً؛ فضاق بالمسلمين أمرُهم واختلفوا في الرأي، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطه يخلو ويفكّر، قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عوْرة من جُرْجير والناس على مصافّهم، رأيته على بِرْذَوْن أشهب خلّف أصحابه مُنقطِعاً منهم، معه جاريتان له تُظِلاّنه من الشمس بريش الطّواويس. فجئت فُسطاط عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه، فقال: إنه في شأنكم وإنه قد أمرني أن أُمسك الناسَ عنه. قال: فدُرت فأتيت مؤخَّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلت عليه، فإذا هو مُستلْقٍ على

(١) أعتبه: رجع إلى ما يرضيه وترك ما يسخطه.

(٢) السِّيد: أخبث ما يكون من الذئاب. والضَّراء: ما وارى من الشجر.

(٣) مصر: نُسبت إلى مصر وهو من أحفاد نوح. وهي من فتوح عمرو بن العاص، وأرض مصر أربعون ليلة في مثلها (معجم البلدان ٥/١٣٧).

فراشه؛ ففزع وقال: ما الذي أدخلك عليّ يابن الزبير؟ فقلت: إيه وإيه!! كلُّ أَزَبَّ نَفور[١]! إني رأيت عورةً من عدوّنا فرجوت الفرصةَ فيه وخَشِيت فواتَها، فاخرُجْ فاندُب الناس إليّ. قال: وما هي؟ فأخبرته؛ فقال: عورةٌ لعمري؛ ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس، انتدِبوا مع ابن الزبير إلى عدوّكم. فاخترتُ ثلاثين فارساً، وقلت: إني حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإني سأكفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى. فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذَبّوا[٢] عنّي حتى خَرقتُهم إلى أرض خالية، وتبيّنته فصمَدْتُ صَمْده[٣]؛ فوالله ما حسِب الا أني رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بي من أثر السلاح، فثنَى بِرْذَوْنَه هارباً، فأدركتُه فطعنته فسقط، ورميت بنفسي عليه، واتّقتْ جاريتاه عنه السيف فقُطعت يد إحداهما. وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسَه في رُمحي، وجال أصحابُه وحَمل المسلمون في ناحيتي وكبّروا فقتّلوهم كيف شاءوا، وكانت الهزيمة. فقال لي عبد الله بن سعد: ما أحدٌ أحقّ بالبشارة منك؛ فبعثني إلى عثمان. وقَدِم مروان بعدي على عثمان حين اطمأنّوا وباعوا المَغْنم وقسّموه. وكان مروان قد صفَق[٤] على الخُمس بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك مما تُكلِّم فيه بسببه. فقال عبد الرحمٰن بن حَنْبل بن مُلَيل ـ وكان هو وأخوه كَلَدة أَخَوَي صَفْوان بن أمية بن خَلَف لأمه، وهي صَفيّة بنت معْمَر بن حبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة ـ: [المتقارب]

أحْلِفُ بِاللَّهِ جَهْدَ اليَمِيـ ... ـنِ ما تَرَكَ اللَّهُ أَمْراً سُدَى
وَلٰكِنْ خُلِقْتَ لَنا فِتنةً ... لِكَيْ نُبتَلَى فِيكَ أو تُبتلَى
دَعَوْتَ الطَّرِيدَ فأدْنَيْتَه ... خِلافاً لِسُنَّةِ مَنْ قَدْ مَضَى
وأعْطَيْتَ مَرْوانَ خُمسَ العبا ... دِ ظُلْماً لَهُمْ وَحَمَيْتَ الحِمَى
وَمالاً أتاكَ بِهِ الأشعريُّ ... مِن الفَيءِ أعطيتَهُ مَنْ دَنا[٥]
وإنَّ الأَمِينَيْنِ قَدْ بَيَّنَا ... مَنَارَ الطَّرِيقِ عَلَيهِ الهُدَى
فَمَا أَخَذَا دِرْهَماً غِيلَةً ... وَلاَ قَسَّمَا دِرْهَماً فِي هَوَى

(١) الأزَبّ من الإبل: الذي يكثر شعر حاجبيه، ويكون نفوراً لأن الريح تَضْربُه فينضر.
(٢) الذَّب: الدفع والمنع.
(٣) صَمَدَ صَمْده: قصد قصده.
(٤) الصَّفق: التبايع، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع.
(٥) الفَيء: الغنيمة والخراج.

قال: والمال الذي ذكر أن الأشعريّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان من العراق، فأعطى عبدَ الله بن أسِيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم، فأنكر الناس ذلك.

[بعض شعره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله قال: حدّثنا عمر بن شَبّة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز ـ أظنه ابن الدّراوَرْدي ـ قال: ابن بُجَرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عُبيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب من قُرَيش، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قَطّ، وبالمدينة منهم امرأة، ولهم موالٍ أشهرُ منهم، يقال لهم بنو سجفان. وكان ابن بُجرة هذا خَمّاراً. وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حَكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة. فمما يغنَّى فيه منها:

صوت

[الطويل]

أَسَاءَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تُسَائِلِ ... عَنِ الحَيِّ أَمْ عَنْ عَهدِه بالأَوائِلِ
عَفَا غيرَ رَسْم الدارِ مَا إنْ تُبينُهُ ... وَعفْرِ ظِبَاءٍ قَدْ ثَوَتْ فِي المَنَازِلِ[١]
فَلَوْ أنَّ مَا عِنْدَ ابن بُجْرة عِنْدَها ... مِنَ الخَمْرِ لمْ تَبْلُل لَهاتِي بِناطِلِ[٢]
فَتِلْكَ التِي لاَ يَذهَبُ الدَّهرَ حُبُّهَا ... وَلاَ ذِكْرُهَا مَا أَرْزَمَتْ أُمُّ حائِلِ

غنّاه الغَريض ثقيلاً أوّلَ بالوسطى. ويقال: إن لمَعْبد فيه أيضاً لحناً.

قوله: «أساءلت» يخاطب نفسه. ويروى: «عن السُّكْن أو عن أهله». والسُّكْن. الذي كانوا فيه. وقال الأصمعي: السكن: سكن الدار. والسكن: المنزل أيضاً. ويروى: «عفا غير نُؤْي الدار». والنُّؤْي: حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلا يصِل المطر إليها. ويروى ـ وهو الصحيح ـ

وأَقْطَاعُ طُفْيٍ قَدْ عَفَتْ في المَعَاقِلِ[٣]

والطُّفْي: خُوص المُقْل. والمعاقل: حيث نزلوا فامتنعوا، واحدها معْقِل ـ وواحد الطُّفْي: طُفْية. وأرْزمتْ: حنّت. والحائل: الأنثى. والسَّقْب: الذكر.

---

(١) الأعفر: نوع من الظباء.
(٢) الناطل: هو كوز تكال به الخمر. وقيل: الناطل: الشيء.
(٣) الأقطاع: جمع قطع وهو الغصن تقطعهُ من الشجرة.

ومنها: **صوت** [الطويل]

وإنَّ حَـديـثـاً مِـنْـكِ لَـو تَـبْـذُلـيـنَـهُ جَنَى النَّحْلِ في أَلبانِ عُوذٍ مَطَافِلِ
مَـطَـافِـلِ أبْـكـارٍ حَـدِيـث نِـتـاجُـهـا تُـشَـابُ بِـمـاءٍ مِـثْـلِ مـاءِ الـمـفَـاصِـلِ

غنّاه ابن سُريج رملاً بالوسطى. جنى النحل: العسل. والعُوذ: جمع عائذ، الناقة حين تضع فهي عائذ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطْفِل. والمفَاصل: مُنْفصل السهل من الجبل حيث يكون الرَّضْراض[1]، والماء الذي يَسْتنقِع فيها أطيبُ المياه. وتُشاب: تُخلط.

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيدي قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ: أن أبا ذؤيب إنما عَنَى بقوله: «مَطافل أَبْكار» أنّ لبن الأبكار أطيبُ الألبان، وهو لبنُها لأوّل بَطْن وضعتْ. قال: وكذلك العسل فإنَّ أطيبَه ما كان من بِكر النحل. قال وحدّثني كُرْدين قال: كتب الحجاج إلى عامله على فارس: ابعث إليّ بعَسل من عسل خُلاَّر[2]، من النحل الأبكار، من الدستفشار[3]، الذي لم تمسّه النار.

فأما قصيدته العينية التي فُضِّل بها، فممّا يغنَّى به منها:

صوت

أَمِـنَ الـمَـنـونِ وَرَيـبِـهـا تَـتَـوجَّـعُ والـدَّهْـرُ لـيـسَ بِـمُـعْـتِـبٍ مَـنْ يَـجْـزَعُ
قَـالَـتْ أمـامَـةُ مـا لِـجِـسـمِـكَ شَـاحِـبـاً مُـنْـذُ ابـتُـذِلْـتَ وَمِـثْـلُ مـالِـكَ يَـنْـفَـعُ
أَمْ مَـا لِـجَـنْـبِـكَ لاَ يُـلائِـمُ مَـضْـجَـعـاً إلاَّ أَقَـضَّ عـلـيـكَ ذَاكَ الـمَـضْـجَـعُ
فَـأَجَـبْـتُـهـا أنْ مَـا لِـجِـسْـمِـي أَنَّـهُ أَوْدَى بَـنِـيَّ مِـنَ الـبِـلادِ فَـوَدَّعُـوا

عروضه من الكامل. غنّاه ابن مُحرِز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها. قال الأصمعي: سُمِّيت المنون منوناً لأنها تذهب بمُنَّه كل شيء وهي قوّته. وروى الأصمعيّ «ورَيْبه» فذَكَّر المَنون. والشاحب: المُغيَّر

---

(١) الرضراض: ما دَق من الحصىٰ.
(٢) خُلاّر: موضع بفارس يجلب منه العسل (معجم البلدان ٢/ ٣٨٠).
(٣) الدستفشار: لفظة فارسية، معناها: ما عصرته الأيدي وعالجته.

المهزول. يقال: شَحُبَ يشحُب. ابتُذِلتَ: امتَهنْتَ نفسكَ وكَرِهتَ الدعةَ والزينة ولَزِمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغْنيك عن هذا، فاشْتَرِ لنفسكَ مَنْ يكفيك ذلك ويقوم لك به. ويلائم: يوافق. أقضّ عليك أي خشُن فلم تستطع أن تضطجع عليه. والقَضَض: الرمل والحصى. قال الراجز: [الرجز]

إنّ أُحَيْحاً مَاتَ مِنْ غَيرِ مَرَضْ وَوُجِدَ فِي مَرْمَضِهِ حَيثُ ارتَمَضْ[1]

عَسَاقِلٌ وجِبَأٌ فِيهَا قَضَضْ[2]

وودّعوا: ذهبوا. استُعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودّع

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال: حدّثني أحمد بن عمر النحوي قال: حدّثني أبي عن الهَيْثم بن عَدِي بن ابن عياش قال:

لما مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة[3] إلى مقابر[4] قريش، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دَفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع فقال: يا ربيع. انظُر مَنْ في أهلي يُنشدني:

أَمِنَ المَنونِ ورَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ

حتى أَتسلَّى عن مُصيبتي. قال الربيع: فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور، فسألتُهم عنها، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعتُ فأخبرته؛ فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشد عليّ من مُصيبتي بابني. ثم قال: انظُر هل في القوّاد والعَوامّ من الجند مَنْ يعرفها، فإني أُحبّ أن أسمعها من إنسان يُنشدها. فخرجتُ فاعترضت الناسَ فلم أجد أحداً يُنشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئاً من الشعر؟ فقال: نعم، شعْر أبي ذُؤَيب. فقلت: أنشِدْني. فابتدأ هذه القصيدة العينيّة. فقلت له: أنت بُغْيتي. ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها. فلما قال:

---

(١) ارتمض الرجل من كذا: اشتد عليه وأقلقه.

(٢) العساقل: واحدها عسقل وعسقول: ضرب من الكمأة.

(٣) المدينة: يريد بها بغداد.

(٤) مقابر قريش: ببغداد بينها وبين دجلة شوط فرسها وفيها قبر موسى الكاظم عليه السلام وغيره (معجم البلدان ٥/ ١٦٣).

والـدَّهـرُ لَـيْـسَ بـمُـعـتِـبٍ مَـنْ يَـجْـزَعُ

قال: صدق والله، فأنشِدْني هذا البيت مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ؛ فأنشدَه، ثم مر فيها. فلما انتهى إلى قوله: [الكامل]

والـدَّهـرُ لاَ يَـبْـقَـى عَـلَـى حَـدَثـانِـهِ جَـوْنُ الـسَّـراةِ لَـهُ جـدائـدُ أربـعُ[١]

قال: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول. ثم أمرَ الشيخَ بالانصراف. فاتّبعتُه فقلت له: أأمر لك أميرُ المؤمنين بشيء؟ فأراني صُرّةً في يده فيها مائةُ درهم.

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: كان أبو ذؤيب الهُذَليّ يهوَى امرأةً يقال لها أُمُّ عمرو، وكان يُرسِل إليها خالدَ بن زُهير فخانه فيها، وكذلك كان أبو ذُؤَيب فعل برجل يقال له عُوَيم بن مالك بن عويمر وكان رسولَه إليها. فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرَمها. فأرسلتْ تترضّاه فلم يفعل، وقال فيها: [الطويل]

تُـريـدنَ كَـيْـمَـا تَـجْـمـعِـيـنِـي وَخـالِـداً وهل يجْمَعُ السَّيفانِ وَيْحَكِ فِي غِمْدِ

أَخَـالِـدُ مَـا رَاعَـيْـتَ مِـنِّـي قَـرابَـةً فَتَحْفَظَنِي بالغَيبِ أوْ بَعْضِ مَا تُبدِي

دَعَـاكَ إلَـيـهَـا مُـقْـلـتَـاهَـا وَجِـيـدُهـا فَمِلْتَ كَمَا مَالَ المُحِبُّ عَلى عَمْدِ

وكُـنْـتَ كَـرقْـرَاقِ الـسَّـرابِ إذَا بَـدَا لِقَومٍ وَقَدْ بَاتَ المَطِيُّ بِهِمْ يَخْدي[٢]

فَـآلَـيـتُ لاَ أَنْـفَـكُّ أَحْـدُو قَـصِـيـدَةً تَـكُـونُ وَإيّـاهَـا بِـهَـا مَـثَـلاً بَـعْـدِي

غنّاه ابن سريج خفيفَ رمل بالبنصر. الغيب: السرّ. والرقراق: الجاري. ويروى: «أحذو قصيدة». فمن قال: «أحذو» بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: «أحدو» أراد أُغنّي.

وقال أبو ذؤيب في ذلك: [الطويل]

وَمَـا حُـمِّـلَ الـبُـخْـتِـيُّ عـامَ غِـيـارِهِ عَـلـيـهِ الـوُسُـوقُ بُـرُّهَـا وَشَـعِـيـرُهـا[٣]

---

(١) جَون السَّراة: أسْود الظهر أو أبيضه، يريد به حماراً. والجدائد: الأتن واحدها: جَدود وهي التي لا لبن لها.

(٢) خدى البعير: أسرع.

(٣) الغِيار: مصدر غارهم يغيرهم إذا مارهم أي أتاهم بالميرة. والوسوق: جمع وسَق: وهو حمل البعير، أو الحمل عامةً.

أَتَى قَرْيَةً كانَتْ كَثيراً طعامُها ... كَرَفْغِ التُّرابِ كُلُّ شَيْءٍ يَمِيرُهَا(١)

ـ الرفغ من التراب: الكثير اللين ـ

فَقِيلَ تَحَمَّلْ فَوقَ طوقِكَ إنَّهَا ... مُطَبَّعةٌ مَنْ يَأتِهَا لاَ يَضيرُها(٢)

بِأَعْظَمَ مِمَّا كُنتُ حَمَّلْتُ خَالِداً ... وَبَعْضُ أماناتِ الرِّجالِ غُرورُهَا

وَلَو أنَّنِي حمَّلتُه البُزْلَ مَا مَشَتْ ... بِهِ البُزْلُ حتَّى تَتْلَئِبَّ صُدُورُهَا(٣)

ـ تتلئب: تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتتابع ـ

خَليلِي الذِي دَلَّى لِغَيٍّ خَليلَتِي ... جِهَاراً فكلٌّ قَدْ أصابَ عُرُورهَا(٤)

ـ يقال: عرّه بكذا أي أصابه به ـ

فَشَأنَكَهَا؛ إنِّي أمينٌ وإنَّنِي ... إذَا مَا تَحَالَى مِثْلُهَا لاَ أطُورُهَا

ـ تَحالى: من الحلاوة. أطورها: أقْرَبُها ـ

أُحَاذِرُ يَوماً أنْ تَبِينَ قَرِينَتِي ... ويُسْلِمَها أحْرازُها ونَصِيرُهَا

ـ الأحراز: الحصون. قرينتي: نفسي ـ

وَمَا أنْفُسُ الفِتيَانِ إلاَّ قرائِنٌ ... تَبِينُ وَيبْقَى هَامُها وقُبورُها(٥)

فَنَفْسَكَ فَاحْفَظْهَا وَلاَ تُفْشِ للعِدا ... مِنَ السِّرِّ مَا يُطْوَى عَلَيْهِ ضَمِيرُها

وَمَا يَحْفَظُ المَكتُومَ مِنْ سِرِّ أَهْلِهِ ... إذا عُقَدُ الأسْرَارِ ضَاعَ كَبِيرُها

مِنَ القَوْمِ إلاّ ذُو عَفافٍ يُعِينُهُ ... عَلَى ذاكَ مِنْهُ صِدْقُ نفسٍ وخِيرُها

رَعَى خَالِدٌ سرِّي لَيالِيَ نَفْسُهُ ... تَوالَى عَلَى قَصْدِ السَّبيلِ أُمُورُها(٦)

فَلَمَّا تَرامَاهُ الشَّبَابُ وَغَيُّهُ ... وفي النَّفْسِ مِنْه فِتْنَةٌ وفُجُورُها(٧)

لَوَى رَأسَهُ عَنِّي ومَالَ بِوُدِّهِ ... أَغَانِيجُ خَوْدٍ كَانَ فِينا يَزُورُها(٨)

---

(١) ويميرها: يأتيها بالميرة، والميرة: الطعام.

(٢) مُطَبَّعة: مملوءة بالطعام.

(٣) البزل: جمع بازل: وهو البعير الذي استكمل السنة الثامنة.

(٤) دلى فلان فلاناً في الشر: أوقعه فيه. والعرور: المعرة والعيب.

(٥) الهامة: زعمت العرب أن عظام الميت، وقيل: روحه، تصير هامة فتطير، فنهاهم عن ذلك الإسلام.

(٦) توالى: تتابع: وقصد السبيل: مستقيمه.

(٧) تراماه الشباب: أي تم شبابه فقذف به إلى الغي.

(٨) الأغانيج: جمع أغنوجة. والأغنوجة من التغنج: وهو التدلل.

تَـعـلَّـقَـهُ مِـنـهـا دَلالٌ وَمُـقْـلَـةٌ تَـظَـلُّ لأَصْـحَـابِ الـشَّـقـاءِ تُـديـرُهـا
فَـإِنَّ حَـرامـاً أَنْ أَخُـونَ أَمـانَـةً وَآمَنَ نَـفْـساً لَـيْسَ عِـنْدِي ضَمِيرُهـا

فأجابه خالد بن زهير: [الطويل]

لا يُـبْـعِـدَنَّ الـلَّـهُ لُـبَّـكَ إذْ غَـزَا وسـافَـرَ والأَحْـلامُ جَـمٌّ عُـثُـورُهـا

ـ غزا وسافر لبُّك: ذهب عنك. والعثور: من العثار وهو الخطأ ـ

وكُـنْـتَ إمَـامـاً لِـلْـعَـشِـيـرةِ تَـنْـتَـهِـي إلَـيْـكَ إذَا ضَـاقَـتْ بـأَمْـرٍ صُـدورُهـا
لَـعَـلَّـكَ إمّـا أُمُّ عَـمْـرٍو تَـبـدَّلَـتْ سِـواكَ خَـلِـيـلاً شَـاتِـمي تَـسْـتَـخـيـرُهـا

ـ الاستخارة: الاستعطاف ـ

فَـإِنَّ الَّـتِـي فِـيـنَـا زَعَـمْـت ومِـثْـلَـهـا لَـفِـيـكَ وَلٰـكِـنِّـي أَرَاكَ تَـجُـورُهَـا

ـ تجورها: تُعرض عنها ـ

أَلَـمْ تَـنْـتَـقِـذْهَـا مِـنْ عويـم بـنِ مَـالـكٍ وأنْـتَ صَـفِـيُّ نَـفْـسِـهِ وسَـجِـيـرُهـا[1]
فَـلاَ تَـجْـزَعَـنْ مِـنْ سُـنَّـةٍ أَنْـتَ سِـرْتَـهَـا فَـأَوَّلُ راضٍ سُـنَّـةً مَـنْ يَـسِـيـرُهَـا

ـ ويروى [قد][2] أسرتها، أي جعلتها سائرة. ومن رواه هكذا روى «يُسيرها» لأن مستقبل أفعل أسارها يسِيرها. و«يِسيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها ـ

فَإِنْ كُـنْـتَ تَـشْـكُـو مِـنْ خَـلِـيـلٍ مَـخَـانَـةً فَـتِـلْـكَ الـجَـوازِي عَـقْـبُـهـا ونُـصُـورُهـا

ـ عَقْبها: يريد عاقبتها. ونُصورها أي تُنصر عليك الواحد نصر ـ

وَإِنْ كُـنْـتَ تَـبْـغِـي لِـلـظُّـلامَـةِ مَـرْكَـبـاً ذَلُـولاً فَـإِنِّـي لَـيْـسَ عِـنْـدِي بَـعِـيـرُهـا
نَـشَـأْتُ عَـسِـيـراً لاَ تَـلِـيـنُ عَـرِيـكَـتِـي ولَـمْ يَـعْـلُ يـومـاً فَـوقَ ظَـهـرِيَ كُـورُهَـا[3]
مَـتَـى مَـا تَـشَـأْ أَحْـمِـلْـكَ والـرَّأْسُ مـائِـلٌ عَلَى صَعْبَةٍ حَرْفٍ، وشِيكٍ طُمورُها[4]
فَـلاَ تَـكُ كَـالـثَّـورِ الـذِي دُفِـنَـتْ لَـهُ حَـدِيـدَةُ حَـتْـفٍ ثُـمَّ أَمْـسَـى يُـثِـيـرُهـا
يُـطِـيـلُ ثَـواءً عِـنْـدَهَـا لِـيَـرُدَّهـا وَهَـيْـهَـاتَ مِـنْـهُ دارُهَـا وقُـصُـورُهـا
وَقَـاسَـمَـهَـا بِـالـلَّـهِ جَـهْـداً لأَنْـتُـمُ أَلَـذُّ مِـنَ الـسَّـلْـوَى إذا مَـا نَـشُـورُهـا

(١) السجير: الخليل الصفي.
(٢) زيادة ليست في الأصل ويقتضيها سياق الكلام.
(٣) الكور: الرّحل.
(٤) الرأس مائل من المرح والنشاط. والحَرْف: الضامرة. ووشيك طمورها: سريع وثوبها.

ـ نشورها: نجتنيها. السلوى هاهنا: العسل ـ

فَلَمْ يُغنِ عَنهُ خَدْعُهُ يومَ أَزْمَعَتْ ... صَرِيمَتَها والنَّفْسُ مُرٌّ ضَمِيرُها[١]

ولَمْ يُلْفَ جَلْداً حَازِماً ذَا عَزِيمةٍ ... وذَا قُوَّةٍ يَنفِي بِهَا مَنْ يَزورُها

فأَقْصِرْ ولَمْ تَأْخُذْكَ مِنِّي سَحَابَةٌ ... يُنَفِّرُ شاءَ المُقْلِعِينَ خَرِيرُها[٢]

ـ المُقْلِعِين: الذين أصابهم القَلَع وهو السحاب ـ

ولاَ تَسْبِقَنَّ النَّاسُ مِنِّي بِخَمْطَةٍ ... مِنَ السُّمِّ مَذْرُورٍ عَلَيْها ذَرُورُهَا[٣]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حدّثنا السكَن بن سَعيد قال: حدّثنا العباس بن هشام قال: حدّثني أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهُذَليّ من أهل المدينة قال:

خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عبيد، حتى قَدِموا على عمر ابن الخَطّاب رضي الله عنه. فقال له: أيُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين؟ قال: الإيمان بالله ورسوله. قال: قد فعلتُ، فأيُّه أفضلُ بعده؟ قال: الجهادُ في سبيل الله. قال: ذلك كان عليّ وإني لا أرجو جنة ولا أخاف ناراً. ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين. فَلَمَّا قَفَلوا أخذه الموت؛ فأراد ابنُه وابنُ أخيه أن يتخلّفا عليه جميعاً؛ فمنعهما صاحبُ الساقة[٤] وقال: ليتخلّفْ عليه أحدكُما وليعلمْ أنه مقتول. فقال لهما أبو ذؤيب. اقترِعا، فطارت القُرعة لأبي عُبيد، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس. فكان أبو عُبَيد يُحدّث قال قال لي أبو ذؤيب: يا أبا عُبيد، احفر ذلك الجُرُف[٥] برمحك ثم اعضِد[٦] من الشجر بسيفك ثم اجرُرني إلى هذا النهر فإنك لا تفرُغ حتى أفرغ، فاغسِلْني وكفِّنّي ثم اجعلني في حَفيري وانثِلْ[٧] عليّ الجُرُف برمحك، وألقِ عليّ الغصونَ والشجر، ثم اتبَع الناس فإن لهم رَهْجة[٨] تراها في

(١) النفس مر ضميرها: أي خبيثة.

(٢) أي كُف ولم تأخذك مني سحابة منطق وهجاء كأنه مطر ينفر شاء الناس.

(٣) الخمطة: بمعنى اللوم.

(٤) ساقة الجيش: مؤخرته.

(٥) الجُرُف: الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر.

(٦) اعضِد: اقطَع.

(٧) انْثِل على الجرف: يريد ادفع التراب.

(٨) الرَّهج: ما أُثير من الغبار.

الأفق إذا مشيتَ كأنها جَهامة[١] قال: فما أخطأ مما قال شيئاً، ولولا نَعْتُه لم أهتد لأثر الجيش. وقال وهو يجود بنفسه: [الرجز]

أَبَا عُبَيْدٍ رُفِعَ الكِتَابُ ... واقْتَرَبَ المَوعِدُ والحِسَابُ
وعِنْدَ رَحْلِي جَمَلٌ نُجَابٌ ... أَحْمَرُ في حارِكِهِ انْصِبَابُ[٢]

ثم مضيتُ حتى لحقت الناسَ. فكان يُقال: إنّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثرَ في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذُؤَيب قبر يُعرف لأحد من المسلمين.

(١) الجهَامة: السحابة لا ماء فيها.

(٢) الحارك: أعلى الكاهل.

ذكر حَكَم الواديّ وخبره ونسبه

[توفي ١٨٠ هـ - ٨٩٦ م]

[اسمه ونسبه ولقبه وولاؤه]

هو الحكم بن مَيْمون مولى الوليد بن عبد الملك، وكان أبوه حَلَّاقاً يحلِق رأس الوليد، فاشتراه فأعتقه. وكان حَكَمٌ طويلاً أَحْولَ، يُكْرِي الجمال ينقُل عليها الزيت من الشام[1] إلى المدينة[2]. ويُكنى أبا يحيى. وقال مصعب بن عبد الله بن الزُّبير هو حكم بن يحيى بن ميمون، وكان أصله من الفُرْس، وكان جَمّالاً ينقل الزيت من وادي القُرَى[3] إلى المدينة. وذكر حَماد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخاً طويلاً أحولَ أَجْنأ[4] يخضِب بالحِنّاء وكان جمّالاً يحمل الزيت من جُدّة[5] إلى المدينة، وكان واحدَ دهره في الحِذق، وكان ينقُر بالدفّ ويغني مرتجلاً، وعُمِّر عُمْراً طويلاً، غَنّى الوليدَ بن عبد الملك، وغنّى الرشيد ومات في الشَّطْر من خلافته، وذكر أنه أخذ الغناء من عُمَر الوادي. قال: وكان بوادي القُرَى جماعةٌ من المغنّين فيهم عمر بن زاذان - وقال: ابن داود بن زاذان، وهو الذي كان يسميه الوليد جامعَ لذّتي - وحكم ابن يحيى، وسليمان، وخُلَيْد بن عَتِيك - وقيل: ابن عبيد - ويعقوب الوادي. وكل هؤلاء كان يصنع فيُحسن.

---

(١) الشام أو الشأم أو الشآم: وحدها من الفرات إلى العريش بمصر، وعرضها من جبلي طيىء من نحو القبلة إلى بحر الروم (معجم البلدان ٣/ ٣١٢).

(٢) المدينة: هو اسم لمدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم خاصة ولها تسعة وعشرون اسماً، إليها هاجر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وفيها قبره في المسجد النبوي، طولها ستون درجة ونصف وعرضها عشرون (معجم البلدان ٥/ ٨٢).

(٣) وادي القرى: هو وادٍ بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى (معجم البلدان ٥/ ٣٤٥).

(٤) الأجنأ: الأحدب.

(٥) جُدَّة: بلد على ساحل بحر اليمن، بينها وبين مكة ثلاث ليال. قيل: سميت بذلك نسبة إلى أحد أحفاد معد بن عدنان (معجم البلدان ٢/ ١١٤).

[أخباره وغناؤه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال: حدّثني حمّاد قال: قال لي أبي: أحذقُ من رأيتُ من المغنين أربعة: جدّك وحكَم وفُليح بن العوراء وسياط. قلت: وما بلغ من حذقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيحسنون، ويؤدّون غناء غيرهم فيحسنون. قال: إسحاق: وقال لي أبي: ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أَطْبع من حكم وابن جامع، وفُليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكيّ حدّثه عن أبيه قال: حدّثني حكم الواديّ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا الغلابيّ عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكيّ عن أبيه عن حكم الوادي قال: أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد، وهو على حمار، وعليه جُبّة وَشْي ورداء وشي وخُفّ وشي، وفي يده عِقْد جوهر، وفي كُمّه شيء لا أدري ما هو. فقال: مَنْ غنّاني ما أشتهي فله ما في كُمّي وما عليّ وما تحتي؛ فغنَّوْه كلُّهم فلم يطْرب؛ فقال لي: غنِّ يا غلام، فغنّيت:

صوت [مشطور الرجز]

إكـلـيـلُـهـا أَلْـوانُ ... وَوَجْـهُـهَـا فَـتَّـانُ
وَخَـالُـهَـا فَـرِيـدٌ ... لَـيْـسَ لَـهُ جِـيـرَانُ
إذَا مَـشَـتْ تَـثَـنَّـتْ ... كَـأَنَّـهَـا ثُـعْـبَـانُ

ـ الشعر لمُطِيع بن إياس. والغناء لحكم الوادي هَزَجٌ بالوسطى. وفيه لإبراهيم رملٌ خفيف بالوسطى ـ فطرب وأخرج ما كان في كمّه، وإذا كيسٌ فيه ألفُ دينار، فرمَى به إليّ مع عقد الجوهر، فلما دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه. وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مُطيع بن إياس.

وفي حكم الواديّ يقول رجل من قريش:

صوت [الوافر]

أَبُـو يَـحْـيَـى أخُـو الـغَـزَلِ الـمُـغَـنّـي ... بَـصِـيـرٌ بـالـثِّـقَـالِ وبـالـخِـفَـافِ
عَـلَـى الـعِـيـدَانِ يُـحـسِـنُ مـا يُـغـنّـي ... ويُـحـسِـنُ مَـا يَـقُـولُ عَـلَـى الـدِّفَـافِ

غناه حكم الواديّ هزجاً بالبنصر.

قال هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العِبَادي قال: حدّثني أحمد البارد قال: دخلتُ على حَكَم يوماً فقال لي: يا قِصَافيّ[١] إن رجلاً من قريش قال فيّ هذا الشعر:

أبُو يَحْيَى أخُو الغَزَلِ المُغَنِّي

وقد غنّيتُ فيه، فخذ العودَ حتى تسمعه منّي، فأخذتُ العود فضربتُ عليه وغنّانيه، فكنت أوّلَ من أخذ من حَكَم الواديّ هذا الصوت.

قال أبو يحيى وقال إسحاق: سمعت حكماً الواديّ يغني صوتاً فأعْجَبني. فسألته لمن هو؟ فقال: ولمن يكون هذا إلاّ لي. وقال مُصْعَب: حدّثني شيخ أنه سمع حَكَماً الواديَّ يغنِّي، فقال له: أحسنت! فألقى الدُّفّ وقال للرجل: قبّحك الله! تراني مع المغنّين منذ ستين سنةً وتقول لي أحسنتَ!.

وقال لي هارون: حدّثني مُدْرِك بن يزيد قال: قال لي فُليح: بعث إليّ يحيى ابنُ خالد وإلى حَكَم الواديّ، وابنُ جامع معنا، فأتيناه. فقلت لحكم الواديّ ـ أو قال لي ـ إنّ ابنَ جامع معنا، فعاونّي عليه لنكسِرَه. فلما صرنا إلى الغناء غنَّى حَكَمٌ، فصِحْتُ وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنّيت ففعل بي حَكَمٌ مثل ذلك، وغنّى ابنُ جامع فما كنا معه في شيء. فلما كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دنانير: إن أصحابَكِ عندنا، فهل لكِ أن تخرجي إلينا؟! فخرَجتْ وخرج معها وصائفُ لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنّا لا نسمع: ليس في القوم أنزهُ نفْساً من فُلَيح، ثم أشار إلى غلام له: أنِ ائتِ كلَّ إنسان بألفي درهم، فجاء بها فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها في كمِّه، ولحكم مثل ذلك فطرحها في كمّه، ودفع إليّ ألفين. فقلت لدنانير: قد بلغ منّي النبيذُ فاحتبسيها لي عندك، فأخذت الدراهم منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد، وقد زادت عليها مثلَها، وأرسلتْ إليّ: قد بعثتُ إليك بوديعتكَ وبشيء أحببتُ أن تفرّقه على أخواتي (تعني جواريّ).

قال هارون بن محمد: قال حَمّاد بن إسحاق: قال أبي: أربعةٌ بلغوا في أربعة أجناسٍ من الغناء مبلغاً قصَّر عنه غيرُهم: معبد في الثقيل وابن سُرَيج في الرَّمَل،

(١) بنو قصاف: بطن من العرب.

وحَكَمٌ في الهَزَج، وإبراهيمُ في الماخُورِي[١].

قال هارون: وحدّثني أبي قال: حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال: زار حَكَمٌ الواديّ الرشيد، فَبرّه ووصَله بثلثمائة ألف درهم، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه، فقال: اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهديّ ـ وكان عاملاً له بالشام ـ قال إبراهيم: فقدِم عليّ حكمٌ بكتاب الرشيد، فدفعتُ إليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله، إلا أني نقصته ألفاً من الثلثمائة وقلت له لا أصلُكَ بمثلِ صلة أمير المؤمنين. فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذتُ منه فيها ثلَثمائة صوت، كلُّ صوت منها أحبُّ إليّ من الثلثمائة الألف التي وهبتُها له.

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خُرْداذْبَه قال: قال مصعَب بن عبد الله: بينا حكمٌ الواديّ بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون: لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقْران! فإنها حسنة الغناء! فمضوا إليها، وتبِعهم حكم وعليه فروة[٢]، فدخلوا ودخل معهم، وصاحبُ المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه. فغنّتِ الجارية أصواتاً ثم غنّت صوتاً ثم صوتاً. فقال حكمٌ الواديّ: أحسنتِ والله! وصاح. فقال له ربُّ البيت: يا ماصَّ كذا وكذا من أمه! وما يُدرِيك ما الغناء فوثَب عليه يُتعتِعه[٣] وأراد ضربَه. فقال له حَكَمٌ: يا عبد الله، دخلتُ بسَلام وأَخرج كما دخلت، وقام ليخرج. فقال له ربُّ البيت: لا أو أضربَك. فقال حكم: على رِسْلك، أنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال: شُدِّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا، واندفع يغنّي، فقالت الجارية: إنه والله أبو يحيى! فقال ربّ المنزل: جُعلتُ فداك! المعذرةُ إلى الله وإليك! لم أعرفك! فقام حكمٌ ليخرج فأبى الرجلُ؛ فقال: والله لأخرجنّ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك.

وذكر أحمد بن المكّي عن أبيه: أنّ حكماً لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصَّوْتُ[٤] به حتى صار الأمر إلى بني العباس، فانقطع إلى محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور؛ فأُعجب به واختاره على المغنّين وأعجبتْه أهزاجُه. وكان يقال: إنه من أَهْزج الناس. ويقال: إنه غنّى الأهزاجَ في آخر عمره،

(١) الماخوري: هو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.
(٢) الفروة: لباس يُبطّن من جلود بعض الحيوانات.
(٣) تعتعه: حركه بعنف.
(٤) الصّوت: الذِّكْر الحَسَن.

وإن ابنه لامه على ذلك، وقال له: أبعد الكبر تغنّي غناء المخنَّثين! فقال له: اسكت فإنك جاهلٌ، غنّيتُ الثقيلَ ستين سنةً فلم أنَلْ إلا القوت، وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيّات فأكسبتُك ما لم تَرَ مثلَه قطُّ.

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد: ما رأينا فيمن يأتينا من المغنِّين أحداً أجود أداءً من حكم. وليس أحد يسمع غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلا وهو يغيّره ويَزيد فيه ويَنقُص إلا حكماً. فقيل لحكم ذلك فقال: إني لست أشرب، وغيري يشرب، فإذا شرب تغيَّر غناؤه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: كان خبرُ حَكم الواديّ يتناهى إلى المنصور ويَبْلُغه ما يصله به بنو سليمان بن عليّ، فَيَعجب لذلك ويستسرفه ويقول: هل هو إلا أنْ حسَّن شعراً بصوته وطرَّب مستمعيه، فماذا يكون! وعَلاَمَ يُعطونه هذه العَطَايا المُسْرِفة! إلى أن جلس يوماً في مُسْتَشْرف له، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوّاده ـ أرَاه قال: عليُّ بن يَقْطين أو أبوه ـ وهو يراه؛ ثم خرج عشيّاً وقد حَمله على بغلة له يعرفها المنصور، وخلع عليه ثياباً يعرفها له. فلما رآه المنصور: قال: من هذا؟ فقيل: حكَمٌ الواديّ فحرّك رأسه مَلِياً ثم قال: الآن علمتُ أن هذا يستحق ما يُعطاه. قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه؟ قال: لأنّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يَضعه إلا في حقه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن أبي سعد قال: حدّثنا قَعْنب بن المُحْرِز الباهِلِيّ عن الأصمعيّ قال: رأيت حَكَماً الوادي حين مضى المهديّ إلى بيت المَقْدِس، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفّه ونَقَر فيه وله شُعَيْرات على رأسه وقال: أنا والله يا أمير المؤمنين القائل: [مجزوء الخفيف]

وَمَتَى تَخْرُجُ العَرو سُ فَقَدْ طَالَ حَبْسُهَا

فتسرَّع إليه الحَرَسُ؛ فقال: دعوه، وسأل عنه فأُخبر أنه حَكَمٌ الواديّ؛ فوصَله وأحسن إليه.

لحنُ حَكَم في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر. وفيه ألحان لغيره، وقد ذُكِرتْ في أخبار الوليد بن يزيد.

أخبرني الحسن قال: حدّثنا ابن مَهْرويه قال: حدّثنا عليّ بن محمد النَّوْفلي عن صالح الأَضْجَم عن حكمِ الواديّ قال: كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسَّط

وقلّ ترجيعُه ولم يبلغ أن يُسْتَخفّ جداً، فأخرج ليلةً ثلاث بِدَر[1] وقال: من أطربني فهي له. فغناه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ والزُّبيرُ بن دَحْمان فلم يصنعوا شيئاً، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سريج:

صوت [المنسرح]

غَرَّاءُ كالليلةِ المُبَارَكةِ الْـ ... قَمْراءِ تَهْدي أوائلَ الظُّلَمِ
أَكْنِي بِغَيرِ اسْمِها وَقَدْ عَـ ... لِمَ اللَّهُ خَفِيّاتِ كُلِّ مُكْتَتِمِ
كَأَنَّ فاها إذا تُنُسِّمَ عَنْ ... طيبِ مَشَمٍّ وَحُسْنِ مُبْتَسَمِ
يُسَنُّ بالضَّرْوِ من بَرَاقِشَ أو ... هَيْلانَ أو يانِعٍ من العُتُمِ[2]

ـ الشعر في هذا الغناء للنابغة الجَعْديّ؛ والصنعة لابن سريج رمل بالبنصر ـ فوثَب عن فراشه طرباً وقال: أحسنتَ أحسنتَ والله! اسْقُوني فسُقي. ووثِقتُ بأن البِدَرَ لي، فقمتُ فجلست عليها. فأحسن ابنُ جامع المَحْضَر وقال: أحسن والله كما قال أمير المؤمنين، وإنه لمُحْسِن مُجْمِل. فلما سكَن أمَر الفَرّاشين بحملها معي. فقلت لابن جامع: مثلُك يفعل ما فعلتَ في شَرَفك ونسبك! فإن رأيتَ أن تشرِّفني بقبول إحداها فعلتَ. فقال: لا والله لا فعلتُ، والله لوَدِدْتُ أنّ الله زادك، وأسأل الله أن يُهنِّيك ما رزقك. ولحقني المَوْصليّ فقال: آخذُ يا حَكَم من هذا؟ فقلت: لا والله ولا درهماً واحداً لأنك لم تُحسن المَحْضَر.

[وفاته]

ومات حَكَمٌ الواديّ من قُرحة أصابته في صدره. فقال الدارِميّ فيه قبلَ وفاته:

صوت [السريع]

إنَّ أبَا يَحْيَى اشْتَكَى عِلّةً ... أَصْبَحَ مِنْها بَيْنَ عُوّادِ
فَقُلْتُ والقَلْبُ بِهِ مُوجَعٌ ... يا رَبِّ عافِ الحَكَمَ الوادِي

---

(١) البدرة: عشرة آلاف درهم.

(٢) يُسَن: يسوك. والضّرو: شجرة الكمكام، وهو شجر طيب الريح يستاك به. وبراقش: وادٍ باليمن شجير، وكذلك هيلان (معجم البلدان ١/ ٣٦٤). والعُتُم: شجر الزيتون.

فَـــرُبَّ بِـــيـــضٍ قـــادةٍ سَـــادةٍ ... كَـأَنْـصُـلٍ سُـلَّـتْ مِـنَ اغْـمَـادِ
نَـادَمْـهُـمْ فِـي مَـجْـلِـسٍ لاَهِـيـاً ... فَـأَضْـمـتَ الـمُـنْـشِـدَ والـشَّـادِي

غنَّى فيه حكمٌ الواديّ هَزَجاً بالبنصر.

[من المائة المختارة] **صوت** [الكامل]

أَمِـعَـارِفَ الـدِّمَـنِ الـقِـفَـارِ تَـوَهَّـمُ ... وَلَـقَـدْ مَـضَـى حَـوْلٌ لـهـنّ مُـجَـرَّمُ[1]
وَلَـقَـدْ وقـفـتُ عـلَـى الـدِّيـارِ لـعـلَّـهـا ... بِـجَـوابِ رَجْـعِ تَـحِـيَّـةٍ تَـتَـكَـلَّـمُ
عَنْ عِلْمِ ما فَعَلَ الخليطُ، فَما دَرَتْ ... أَنَّـى تَـوَجَّـهَ بـالْـخَـلِـيـطِ الـمَـوْسِـمُ
وَلَـقَـدْ عَـهِـدْتُ بِـهَـا سُـعَـادَ وإنَّـهَـا ... بِـالـلَّـهِ جَـاهِـدَةَ الـيـمـيـنِ لَـتُـقْـسِـمُ
إنِّـي لأَوْجَـهُ مَـنْ تَـكَـلَّـمَ عِـنْـدَهَـا ... بـأَلِـيَّـةٍ ومُـخَـالِـفٌ مَـنْ يَـزْعُـمُ[2]
فَـلَـهـا لَـدَيْـنَـا بِـالَّـذِي بـذَلَـتْ لَـنَـا ... وُدٌّ يَـطُـولُ لَـهُ الـعَـنـاءُ ويَـعْـظُـمُ

عروضه من الكامل. الشعر لنصيْب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان. والغناء لابن جامع، له فيه لحنان ذكرهما إسحاق، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم في البيتين الأولين ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى. ولإسحاق وسِيَاطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو.

---

(١) مُجرَّم: منقطع ومنعدم.
(٢) الألية: اليمين.

ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

[توفي ١٩٢ هـ - ٨٠٨ م]

[اسمه ونسبه ولقبه]

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلِب بن أبي وَدَاعة بن ضُبَيرة [بن سُعَيد][١] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو][٢] بن هُصَيْص بن كعب بن لؤيّ ابن غالب.

أخبرني الطُّوسِيُّ عن الزُّبير بن بَكّار عن عمّه مصعَب، وأخبرنا محمد بن جَرير الطَّبريّ قال: حدّثنا محمد بن حُمَيد عن سَلَمة عن ابن إسحاق قالا جميعاً:

مات ضُبيرة السَّهْميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لِحْيته شَيْب. فقال بعض شعراء قريش يَرثيه: [مجزوء الكامل]

حُجّاجَ بَيْتِ اللّهِ إنَّ ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيَّ مَاتَا
سَبَقَتْ مَنِيّتُهُ المَشِيبَ وَكَانَ مِيتَتُهُ افْتِلاتَا
فَتَزَوَّدُوا لاَ تَهْلِكُوا مِنْ دُونِ أهلِكُمْ خُفَاتَا[٣]

قال: وأُسِر أبو وَدَاعة كافراً يوم بَدْر ففداه ابنُه المطَّلِب، وكان المطَّلب رجلَ صدق. وقد روى عن النبيّ ﷺ الحديث.

ويُكنى ابنُ جامع أبا القاسم. وأمه امرأة من بني سَهم، وتزوّجتْ بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن. فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عَوْن حاجب مَعْن بن زائدة قال: رأيتُ أمّ ابن جامع

(١) (٢) زيادة ليست في الأصل يقتضيها سياق الإسم كما في كتب التراجم.
(٣) خفت خُفاتاً: أي مات فجأة.

وابنُ جامع معها عند مَعْن بن زائدة وهو ضعيف يَتْبعُها ويَطأ ذيلَها وكانت من قريش، ومَعْن يومئذٍ على اليمن. فقالت: أَصْلَح الله الأمير، إنّ عمِّي زَوّجني زوجاً ليس بكُفْء ففرِّقْ بيني وبينه. قال: من هو؟ قالت: ابنُ ذي مناجب. قال: عليَّ به. قال: فدخل أقبحَ مَنْ خلق الله وأشوهَه خلْقاً. قال: مَنْ هذه منكَ؟ قال امرأتي. قال: خلِّ سبيلَها، ففعل. فأطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسه فقال: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ غَيرَ مُحَبَّبٍ ... وَلاَ حَسَنٍ فِي عَيْنِهَا ذَا مناجِبِ
فَمَا لُمْتُها لَمَّا تبيَّنَتْ وَجْهَهُ ... وَعَيناً لَهُ حَوْصاءَ مِنْ تَحْتِ حَاجِبِ[1]
وأنفاً كَأَنْفِ البَكْرِ يَقْطُرُ دَائِباً ... عَلَى لِحْيةٍ عَصْلاءَ شابَتْ وشارِبِ[2]
أَتَيْتَ بِهَا مِثْلَ المَهَاةِ تَسوقُهَا ... فَيَا حُسْنَ مَجلوبٍ وَيَا قُبْحَ جَالِبِ

وَأَمَرَ لَهَا بِمائتي دينار وقال لها: تجهزي بها إلى بلادك.

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى: قال أخبرني حَمّاد عن أبيه: أن الرشيد سأل ابنَ جامع يوماً عن نسبه وقال له: أيُّ بَنِي الإنسِ وَلَدَكَ يا إسماعيل؟ قال: لا أدري، ولكن سَلِ ابن أخي (يعني إسحاق) - وكان يُمَاظّ[3] إبراهيم الموصليّ ويميل إلى ابنه إسحاق - قال إسحاق: ثم التفت إليّ ابنُ جامع فقال: أخْبره يابنَ أخي بنسب عمك. فقال له الرشيد: قبَّحك الله شيخاً من قريش! تَجْهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم!

[ورعه وتقواه وحفظه القرآن]

قال هارون: حدّثني عبد الله بن عمرو قال: حدّثني أبو هشام محمد بن عبد الملك المخزومي قال: أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي فَرْوة بن أبي قُرَاد المخزومي قال:

كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ الله لكتاب الله وأعلمِه بما يحتاج إليه، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلِّي الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تطلع الشمس، ولا يصلي الناسُ الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله.

(١) الحَوص: ضيق في مؤخر العين.
(٢) العصلاء: المعوجة.
(٣) ماظّه: خاصمه.

[بعض أخباره وغنائه]

قال هارون وحدّثني عليّ بن محمد النَّوْفلي قال: حدّثني صالح بن عليّ بن عطيّة وغيرهُ من رجال أهل العسكر قالوا:

قدِم ابنُ جامع قَدْمةً له من مكة على الرشيد، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت[1] كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه، وكان يَعْتَمّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة، ويلبس لباسَ الفقهاء، ويركب حماراً مرِّيسيّاً[2] في زيّ أهل الحجاز. فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإِذنَ عليه، فوقف على ما كان يقف الناسُ عليه في القديم حتى يأذنَ لهم أو يَصْرِفَهم، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القَلاَنِس؛ فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه، فوقعتْ عينُه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له: أمْتع الله بك، توسَّمتُ فيك الحِجازيّة والقُرَشِيّة؛ قال: أصبتَ. قال: فمن أيّ قريش أنت؟ قال: من بني سَهْم. قال: فأيُّ الحرمين منزلُك؟ قال: مكة. قال: ومن لقيت من فقهائهم؟ قال: سَلْ عمن شئت. ففاتحه الفقه والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأُعجب به. ونظر الناسُ إليهما فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغنِّي، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع. فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه! ثم قالوا: لا، لعلّه لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم، فلم نَغُمَّه. فلما كان الإِذنُ الثاني ليحيى غدا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابن جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلاً كما فعل في المرة الأولى، فلما انصرف قال له بعضُ أصحابه: أيها القاضي، أتعرف هذا الذي تُواقِف وتحادث؟ قال: نعم، رجلٌ من قريش من أهل مكة من الفقهاء. قالوا: هذا ابن جامع المغنّي؛ قال: إنا لله!. قالوا: إن الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الإِذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذر به، فجاء فوقف فسلّم عليه، فردّ السلام عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه. فدنا منه ابن جامع، وعرف الناسُ القصة، وكان ابن جامع جهيراً فرفع صوته ثم قال: يا أبا يوسف، ما لك تنحرف عني؟ أيَّ

---

(١) السَّمت: حسن النحو في مذهب الدين.

(٢) الحمار المريسي: نسبة إلى مريسة وهي قرية بمصر من ناحية الصعيد. وإليها ينسب بشر المرسي (معجم البلدان ٥/١١٨).

شيءٍ أنكرتَ؟ قالوا لك: إني ابنُ جامع المغنِّي فكرِهتَ مواقفتي لك! أسألُك عن مسألة ثم اصنع ما شئتَ؛ ومال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون. فقال: يا أبا يوسف، لو أن أعرابياً جِلْفاً وقف بين يديك فأنْشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال:

[البسيط]

يا دار مَيَّة بالعَلْياءِ فَالسَّنَدِ[1] أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأبَدِ

أكنتَ ترى بذلك بأساً؟ قالا: لا، قد رُوي عن النبيّ ﷺ في الشعر قولٌ، وروي في الحديث. قال ابن جامع: فإِن قلتُ أنا هكذا، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه، ثم قال: يا أبا يوسف، رأيتني زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه؟ قال: عافاك الله، أعفنا من ذلك، قال: يا أبا يوسف، أنت صاحب فُتْيا، ما زدتُه على أن حسّنْتُه بألفاظي فحسُن في السماع ووصل إلى القلب. ثم تنحّى عنه ابن جامع.

قال: وحدّثني عبد الله بن شبيب قال: حدّثني إبراهيم بن المُنذِر عن سُفيان ابن عُيينة، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخَزّ، فقال لبعض أصحابه: بلغني أن هذا القرشيّ أصاب مالاً من بعض الخلفاء، فبأي شيء أصابه؟ قالوا: بالغناء. قال فمن منكم يذكر بعضَ ذلك؟ فأنشد بعضُ أصحابه ما يغنِّي فيه: [المتقارب].

وَأَصْحَبُ بِاللَّيلِ أَهْلَ الطَّوافِ وَأَرْفَعُ مِنْ مِئْزَرِي المُسْبَلِ

قال: أَحْسَن، هيه! قال:

وَأَسْجُدُ بِاللَّيلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَتْلُو مِنَ الْمُحْكَمِ المُنْزَلِ

قال: أحسن، هيه! قال:

عَسَى فَارِجُ الكَرْبِ عَنْ يُوسفٍ يُسَخِّرُ لِي رَبَّةَ المَحْمِلِ

قال: أمّا هذا فدعْه.

وحدّثني محمد بن الحسن العَتّابيّ قال: حدّثني جعفر بن محمد الكاتب قال: حدّثني طيّب بن عبد الرحمٰن قال: كان ابن جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن.

وحدّث محمد بن الحسن قال: حدّثني أبو حارثة بن عبد الرحمٰن بن سعيد بن سَلْم عن أخيه أبي معاوية بن عبد الرحمٰن قال: قال لي ابن جامع: لولا أن القِمَار

(١) السَّنَد: بلد معروف في البادية (معجم البلدان ٣/ ٢٦٧).

وحبَّ الكِلاب قد شغلاني لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبز.

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبَه قال: أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال: ما اسمُه؟ فقال: لا أدري، فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب، فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب.

قال هارون بن محمد: حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال: حدّثني محمد بن أحمد المكّي قال: حدّثتني حَوْلاءُ مولاةُ ابن جامع قالت: انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال: عليَّ بهشام (يعني ابنه) ادعُوه لي عجِّلوه، فجاء مسرِعاً. فقال: أيْ بُنَيّ، خذ العودَ، فإنّ رجلاً من الجن ألقى عليّ في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه. فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملاً لم أسمع له رملاً أحسن منه، وهو:

صوت

[المنسرح]

أَمْـسَـتْ رُسُـومُ الـدِّيَـارِ غَـيَّـرَهَـا هُـوجُ الـرِّيَـاحِ الـزَّعَـازِعِ الـعُـصُـفِ
وَكُـلُّ حَـنَّـانَـةٍ لَـهَـا زَجَـلٌ مِـثْـلُ حَـنِـيـنِ الـرَّوائِـمِ الـشُّـغُـفِ[١]

فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغنّاه وَيَنسُبه إلى الجن. وفي هذا الصوت للهُذَليّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه للغَريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن لعَبَادِلَ. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

قال هارون: وحدّثني أحمد بن بِشْر بن عبد الوهاب قال: حدّثني محمد بن موسى بن فُلَيح الخُزَاعيّ قال: حدّثنا أبو محمد عبد الله بن محمد المكّيّ قال: قال لي ابن جامع: أخذتُ من هارون ببيتَيْن غنّيتُهُ بهما عشرةَ آلاف دينار:

صوت

[السريع]

لاَ بُـدَّ لِـلْـعَـاشِـقِ مِـنْ وَقْـفَـةٍ تَـكُـونُ بَـيْـنَ الـوَصْـلِ والـصَّـرْمِ
يَـعْـتِـبُ أَحْـيَـانـاً وَفِـي عَـتْـبِـهِ إِظْـهَـارُ مَـا يُـخْـفِـي مِـنَ الـسُّـقْـمِ

(١) الروائم: واحدها رؤوم: وهي الأم العاطفة على ولدها.

إشفاقه داعٍ إلى ظنّه وظنّه داعٍ إلى الظُّلم
حتى إذا ما مضّه هجره راجع من يهوى على رغم

ـ هكذا رُوِّيتُه. الشعر للعبّاس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسُلَيم. وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ـ قال: ثم قال لي ابنُ جامع: فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً!.

وقال هارون: حدّثني أحمد بن زُهَير قال: حدّثني مُصْعَب بن عبد الله قال: خرج ابنُ أبي عمرو الغِفَاريّ وعبد الرحمٰن بن أبي قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّاراً[١] يريدون مكة؛ فلما كانوا بفَخّ[٢] نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها. قال: فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوت غناء، فقلنا: لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم! فأتيناهم، فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ[٣] لهم يشربون منه؛ فقالوا: تقدّموا يا فِتْيان، فتقدّم ابنُ أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسَهم، فجلسنا نشرب؛ وطرِب ابن أبي قباحة فغنّى. فقال ابن جامع: وابأبي وأمي! ابنُ أبي قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة. فقام ابن أبي عمرو فأخرج من وسطه هِمياناً[٤] فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابن أبي قباحة. فقال ابن جامع: امضوا بنا إلى المنزل، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك.

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدّثني عليّ بن سليمان عن محمد بن أحمد النَّوْفليّ عن جارية ابنِ جامع الحولاء قال: ـ وكانت تَتَبنّاني ـ فتغنّت يوماً وطربتْ وقالت: يا بُنيّ، ألا أُغنّيك هزجاً لسيِّدي في عَشيقة له سوداء؟ قلت: بلى. فتغنّت هزجاً ما سمعتُ أحسنَ منه، وهو:

صوت

[السريع]

أشبهكِ المِسْكُ وأشبهتِه قائمةً في لونه قاعدَهْ
لاَ شكَّ إذْ لونُكُما واحدٌ أنّكُما من طينةٍ واحدَهْ

---

(١) عُمّاراً: زُوّاراً.

(٢) فَخ: وادٍ بمكة (معجم البلدان ٤/ ٢٣٧).

(٣) الفضيخ: عصير العنب.

(٤) الهِميان: كيس تجعل فيه النفقة.

وقد رُوِي هذا الشعر لأبي حَفْص الشِّطْرَنْجِيّ يقوله في دنانِير مولاةِ البَرَامكة. ونُسب هذا الهَزَج إلى إبراهيم وابن جامِع وغيرِهما.

قال عبد الله بن عمرو: حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزّهْرِيّ قال: حدّثني محمد بن جعفر بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام - وكان يلقَّب الأبْلَه - قال: قال بَرْصوما الزَّامِر، وذكر إبراهيمَ الموصليّ وابنَ جامع، فقال: الموصليّ بستانٌ تَجِدُ فيه الحُلوَ والحامض وطريّاً لم يَنْضَج، فتأكل منه من ذا وذا. وابن جامع زِقّ عسلٍ، إن فتحتَ فمَه خرج عسل حلو، وإن خرقت جَنْبه خرج عسلٌ حلو، وإن فتحت يَدَه خرج عسل حلو، كلّه جيّد.

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه وحَمّاد عن إبراهيم بن المهديّ - وكان إبراهيم يفضّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحداً، وابنُ جامع يَميل إليه - قال: كنّا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ، فغنَّى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ الموصليّ فقال: قد خَرِي فيه؛ وفهمتُ صِدقه قال: فقلت لابن جامع: يا أبا القاسم، أعِدِ الصوت وتَحفَّظ فيه، فانتبه وأعاده فأصاب. فقال إبراهيم: **[الوافر]**

أُعـلِّـمُـه الـرِّمَـايَـةَ كُـلَّ يَـوْمٍ فَـلَـمَّـا اشْـتَـدَّ سَـاعِـدُهُ رَمـانِـي

وتنكَّر لمَيْلي مع ابنِ جامع عليه. فقلتُ للرَّشيد بعد أيام: إن لي حاجةً إليك. قال: وما هي؟ قلت: تسألُ إبراهيم الموصليّ أن يَرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه. فقال: إنما هو عبدُك، وقال له: قم إليه فقبِّلْ رأسَه. فقلتُ: لا ينفَعني رِضاه في الظاهر دون الباطن، فسَلْه أن يصحِّح الرِّضا. فقام إليّ ليُقبِّل رأسي كما أُمِر، فقال لي وقد أكبّ عليّ ليقبِّل رأسي: أتعود؟ قلتُ لا. قال: قد رضيتُ عنك رِضاً صحيحاً. وعاد إلى ما كان عليه.

وقال حمَّاد عن أبي يحيى العِبَادِيّ قال: قدِم حَوْراءُ غلام حَمّاد الشّعْراني وكان أحدَ المغنِّين المُجِيدين قال: حدّثني بعض أصحابنا قال: كنّا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنّين: من فيكم يعرف:

وَكَـعْـبَـةُ نَـجْـرانَ حَـتْـمٌ عَـلَـيْـ ـكِ حـتَّـى تُـنـاخِـي بـأبْـوابـهـا[1]

---

(١) نَجران: موضع في مخاليف اليمن. سمي بنجران نسبة إلى أول رجل نزل به (معجم البلدان ٥/ ٢٦٦).

ـ الشعر للأعشى ـ فبدَرهم إبراهيمُ الموصليّ فقال: أنا أُغنِّيه، وغنّاه فجاء بشيء عجيب. فغضِب ابنُ جامع وقال لِزَلْزَل: دَعِ العود، أنا من جِحَاش وَجْرة[١] لا أحتاج إلى بَيْطار؛ ثم غنَّى الصوتَ؛ فصاح إليه مسرور: أحسنتَ يا أبا القاسم! ثلاث مرات.

نسبة هذا الصوت

صوت

وكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْـ ... ـكِ حتَّى تُناخِي بأبوابِها
نَزُورُ يَزِيدَ وعَبْدَ المَسِيحِ ... وقَيْساً هُمُ خَيرُ أربابِهَا
وشاهِدُنَا الجُلُّ والياسَمِيْـ ... ـنُ والمُسْمِعَاتُ بقُصَّابِهَا[٢]
وبَرْبَطُنَا دائِمٌ مُعْمَلٌ ... فَأَيُّ الثَّلاثَةِ أَزْرَى بِهَا[٣]
تُنازِعُنِي إذ خَلَتْ بُرْدَها ... مُعَطَّرةً غَيرَ جِلْبابِهَا
فَلَمَّا التَقَيْنا عَلَى آلَةٍ ... ومَدَّتْ إلَيَّ بِأسبابِهَا

الشّعر للأعشى أعشى بني قَيْس بن ثَعْلبة. وهؤلاء الذين ذكرهم أسَاقِفةُ نَجْران، وكان يزورهم ويمدحهم، ويمدح العاقب والسيِّد، وهما ملكا نجران، ويقيم عندهما ما شاء، يَسْقونه الخمرَ ويُسمِعونه الغناء الرُّوميّ، فإذا انصرف أَجْزَلوا صلتَه.

أخبرنا بذلك محمد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمه عُبيد الله عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكر في مواضعها إن شاء الله. والغناء لحُنَين الحِيريّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مَجْراها عن إسحاق في الأربعة الأُوَل. وذكر عمرو أنه لابن مُحرِز. وذكر يونُس أن فيها لحناً لمالك ولم يُجَنِّسه. وذكر الهشاميّ أن في الخامس والسادس ثم الأوّل والثاني خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكيّ.

وقال حَمّاد عن مصعَب بن عبد الله قال: حدّثني الطّراز وكان بَريدَ الفضل بن

(١) وَجْرة: بين مكة والبصرة، بينها وبين مكة أربعون ميلاً، وفيها أقوال أُخرى (معجم البلدان ٥/ ٣٦٢).
(٢) الجُل: الورد. والقُصّابة: المزمار.
(٣) البربط: العود، فارسية معربة.

الرَّبيع قال: لما مات المهدي ومُلِّك موسى الهادي أعطاني الفضلُ دنانيرَ وقال: الْحَقْ بمكةَ فأْتِني بابن جامع واحْمِلْه في قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا أحداً؛ ففعلت فأنزلتُه عندي واشتريت له جاريةً، وكان ابنُ جامع صاحبَ نِساء. فذكره موسى ذاتَ ليلة ـ وكان هو والحَرّاني منقطعَيْن إلى موسى أيام المهديّ فضربهما المهديّ وطردهما ـ فقال لجلسائه: أما فيكم أحدٌ يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعَه منّي! فقال له الفضل بن الربيع: هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذي أردتَ. وبعَثَ إليه فأُتي به في الليل. فوصَل الفضل تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولاّه حِجابَتَه.

قال إسحاق عن بعض أصحابه: كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة: يابن جامع، تغنَّ ببيت السَّعْديّ: [الوافر]

فَلَو سَأَلَتْ سَراةَ الحَيِّ سَلْمَى	عَلَى أَنْ تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي
لَخَبَّرَهَا ذَوُو الأَحسابِ عَنِّي	وأعْدائِي فَكُلٌّ قَدْ بَلانِي
بِذَبِّي الذَّمَّ عَنْ حَسَبِي بِمالِي	وَزَبُّوناتِ أَشْوسَ تَيِّحَانِ[1]
وأَنِّي لاَ أزالُ أَخَا حُروبٍ	إذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مِجَنَّ جَانِي

قال: فحرك ابنُ جامع رأسه ـ وكان إذا اقترح عليه الخليفةُ شيئاً قد أحسنه وأكمله طار فرحاً ـ فغنّى به؛ فأربدَّ[2] وجهُ إبراهيم لمّا سمعه منه، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل؛ فقال له صاحبُ الستارة: أحسنت والله يا أميري! أعِدْ فأعاد؛ فقال: أنت في حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبداً. ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم: تغنَّ بهذا الشعر فتغنَّى؛ فلما فَرغ قال: «مَرْعىً وَلا كالسَّعْدان»[3]! أخطأتَ في موضع كذا وفي موضع كذا. فقال: نُفِي إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً، وقد علمتُ أني أغفلتُ في هذين الموضعين.

قال إبراهيم: فلما انصرفنا قلت لابن جامع: والله ما أعلم أنّ أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفةَ أمير المؤمنين. قال: حقٌّ والله، لهو إنسان يَسمع الغناءَ منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذي فيه.

---

(١) الزَّبونة من الرجال: الشديد المانع لما وراء ظهره. والأشوس: الذي ينظر بمؤخرة عينه من الكبر. والتَّيحان: الذي يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد.

(٢) تربد وجهه: تغيَّر من الغضب.

(٣) السَّعْدان: نبت ذو شوك، فإن رعته الإبل طاب لبنها.

قال إسحاق: كان ابن جامع إذا تغنّى في هذا الشعر:

صوت

[المجتث]

مَـنْ كَـانَ يَـبْـكِـي لِـمَـا بِـي ... مِـنْ طُـولِ سُـقْـمٍ رَسِـيـسِ[١]

فَـالآنَ مِـنْ قَـبْـلِ مَـوْتِـي ... لاَ عِـطْـرَ بَـعْـدَ عَـرُوسِ[٢]

بَـنَـيْـتُـمُ فِـي فُـؤَادِي ... أوكَـارَ طَـيْـرِ الـنُّـحُـوسِ

قَـلْـبِـي فَـرِيـسُ الـمَـنَـايَـا ... يَـا وَيْـحَـهُ مِـنْ فَـرِيـسِ[٣]

ـ الشعر لرجل من قريش، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل ـ لم يتغنّ في ذلك المجلس بغيره. وكان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يزمر عليه برْصوما. فلما كثُر ذلك سألوه فيه فقال: لا والله ولكنه إذا ابتدأتُ فغنّيتُ في الشعر عرف الغرض الذي يصلُح فما يجاوزه، وكنتُ معه في راحة؛ وذلك أن المغنّي إذا تغنّى بزمْر زامرٍ فأكثرُ العملَ على الزامر لأنه لا يقفو[٤] الأثر؛ فإذا زمر برْصوما فأنا في راحة وهو في تعب، وإذا زمَرَ عليّ غيره فهو في راحة وأنا في تعب. فإن شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل. فسألوهما عما قال فقالا: صدق.

قال: وحدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال: سمعت مُصعب بن عبد الله يقول: بلغ المهديّ أنّ ابن جامع والموصليّ يأتيان موسى، فبعث إليهما فجيء بهما، فضرب الموصليّ ضرباً مبرّحاً، وقال له ابن جامع: ارحم أمّي! فرقّ له وقال له: قبّحك الله! رجل من قريش يغنّي! وطرده. فلما قام[٥] موسى، وجّه الفضلُ خلفَه بريداً حتى جاء به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

قال: وحدّثني الزبير بن بكّار قال: قال لي فلفلة: تمنّى يوماً موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع، فدفع إليّ الفضلُ بن الربيع خَمْسَمائة دينار وقال: امض حتى تحملَ ابنَ جامع، وبعث إليه بما يُصلحه، فمضيتُ فحملتُه. فلما دخلنا أدخله

---

(١) الرسيس: الثابت الذي قد لزم مكانه.

(٢) هذا مثل قالته أسماء بنت عبد الله العذرية، وكان اسم زوجها عروس ومات عنها، فتزوجها رجل ذميم. فلما رحل بها قال: ضمي إليك عطرك، فقالت: لا عطر بعد عروس.

(٣) الفريس: القتيل.

(٤) يقفو: يتبع.

(٥) فلما قام موسى: يريد أصبح خليفة.

الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه. ودخل على موسى فغنّاه فلم يُعجبْه. فلمّا خرج قال له الفضلُ: تركت الخفيفَ وغنيتَ الثقيل، قال: فأَدْخِلْني عليه أُخرى؛ فأدخله فغنّى الخفيفَ؛ فقال: حاجتك، فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار.

قال: وحدّثني عبد الرحمٰن بن أيوب قال: حدّثنا أبو يحيى العِبَاديّ قال: حدّثني ابن أبي الرجال قال: حدّثنا زَلْزَل قال: أبطأ إبراهيم الموصليّ عن الرشيد، فأَمَر مسروراً الخادم يسأل عنه ـ وكان أمير المؤمنين قد صَيّر أَمْرَ المغنّين إليه ـ فقيل له: لم يأت بعدُ. ثم جاء في آخر النهار، فقعد بيني وبين بَرْصوما، فغنّى صوتاً له فأطربه وأطرب والله كلَّ من كان في المجلس. قال: فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال: أَمَا والله يا نَبَطيّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما. قال: ثم غنّى فنسينا أنفسَنا، والله لكأنّ العودَ كان في يده.

قال: وحدّثني عمر بن شبّة قال: حدّثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهِيك قال: دعا أبي الرشيدُ يوماً، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى، فأقاما عنده، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما. فلما كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر. قال: فدخل عليهم إبراهيم الموصلي فسأل جعفراً عن يومهم؛ فأخبره وقال له: لم يزل ابن جامع يغنّينا إلا أنه كان يخرج من الإيقاع ـ وهو في قوله يريد أن يطيب نفس إبراهيم الموصليّ ـ قال: فقال له إبراهيم: أتريد أن تطيّب نفسي بما لا تِطيب به! لا والله، ما ضرط ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع!.

قال: وحدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال: حدّثني أبي قال: كان سبب عزل العثمانيّ أنّ ابن جامع سأل الرشيد أن يأذن له في المُهارشة بالدُّيوك والكلاب ولا يُحدّ[1] في النبيذ، فأذن له وكتب له بذلك كتاباً إلى العثمانيّ. فلما وصل الكتاب قال: كذبت! أمير المؤمنين لا يُحِلّ ما حرَّم الله، وهذا كتاب مزوّر. والله لئن ثقِفْتك[2] على حال من هذه الأحوال لأُؤدِّبنَّك أدبك. قال: فحذِره ابنُ جامع، ووقع بين العثاني وحماد اليزيديّ، وهو على البريد، ما يقع بين العمال. فلما حجّ هارون، قال حماد لابن جامع: أعنّي عليه حتى أعزِله؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر واستشهدْني. فقال له ابن جامع: هذا لا يُقبل

(١) لا يُحَدّ في النبيذ: لا يُقام عليه حدّ شربه.

(٢) ثقفتك: صادفتك.

في العثمانيّ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبنا، ولكني أحتال من جهة ألطف من هذه. قال: فسأله هارون ابتداءً فقال له: يابن جامع، كيف أميركم العثماني؟ قال: خيرُ أميرٍ وأعدلُه وأفضلُه وأقومه بحق لولا ضعفٌ في عقله. قال: وما ضعفه؟ قال: قد أفنى الكلاب. قال: وما دعاه إلى إفنائها؟ قال: زعم أن كلباً دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقي على الكناس فأكل وجهَه، فغَضِب على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزلوه! فكان سببَ عزله.

قال هارون بن محمد: وحدّثني الحسن بن محمد الغِيَاثيّ قال: حدّثني أبي عن القَطِرانيّ قال: كان ابن جامع بارّاً بوالدته، وكانت مقيمةً بالمدينة وبمكة. فدعاه إبراهيم بن المهديّ وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته. قال: فجزع لذلك جزعاً شديداً، وجعل أصحابُه يُعزّونه ويؤنسونه؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب، وسألوه الغناءَ فامتنع. فقال له إبراهيم بن المهدي: إنك ستبذل هذا لأمير المؤمنين، فابذُله لإخوانك؛ فاندفع يُغنّي:

صوت

[البسيط]

كَـمْ بِـالـدُّروبِ وَأَرْضِ الـرُّومِ مِـنْ قَـدَمِ ... ومِنْ جماجِمَ صَرْعَى مَا بِها قُبِرُوا[1]

بـقُـنْـدُهَـارَ وَمَـنْ تُـقْـدَرْ مَـنِـيَّـتُـهُ ... بـقُـنْـدُهَـارَ يُـرَجَّـمْ دُونَـهُ الـخَـبَـرُ[2]

ـ الشعر ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ. والغناء لابن جامع رمل. وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشاميّ ـ قال: وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له. ثم قال: لا والله ما كان ممّا خبّرناك شيء إنما مزحْنا بك. قال: ثم قال له: رُدّ الصوت؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل في شيء. فقال له إبراهيم: خذه الآن على، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل. فقال له ابن جامع: أُحبّ أن تطرحه أنت على كذا.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني علي بن الحسن الشَّيْبانيّ عن أحمد بن يحيى المكّي قال: كان أبي

---

(١) أرض الروم: مشارقهم وشمالهم الترك والخزر والروس وجنوبهم الشام والاسكندرية ومغاربهم البحر والأندلس (معجم البلدان ٣/ ٩٨). والقَدَم: الشجاع. والجماجم: السادة والرؤساء.

(٢) قندهار: من بلاد السند، قريبة من كابل، فتحها عباد بن زياد (معجم البلدان ٤/ ٤٠٢).

بين يدي الرشيد وابنُ جامع معه يغنّي بين يدي الرشيد. فغنّاه: [المنسرح]

خَلِيفَةٌ لاَ يَخِيبُ سَائِلُهُ عَلَيْهِ تَاجُ الوَقَارِ مُعْتَدِلُ

قال: وغنّى من يتلوه، وهَوَّم[1] ابنُ جامع سكراً ونُعاساً. فلما دار الغناءُ على أصحابه وصارت النوبةُ إليه. حرّكه مَنْ بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغنّي: [المنسرح]

اسْلَمْ وَحُيِّيتَ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإنْ عَفَتْكَ الرِّيَاحُ والسَّبَلُ[2]

قال: وهو يتلو البيت الأوّل ـ فعجب أهلُ المجلس من ذكائه وفهْمه، وأعجب ذلك الرشيد.

نسبة هذا الصوت

صوت

[المنسرح]

اسْلَمْ وَحُيِّيتَ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإنْ عَفَتْكَ الرِّيَاحُ والسَّبَلُ
خَلِيفَةٌ لاَ يَخِيبُ سَائِلُهُ عَلَيْهِ تَاجُ الوَقَارِ مُعْتَدِلُ

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادي. والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى، من رواية الهشاميّ وأحمد بن يحيى المكّي.

قال هارون: وقد حدّثني بهذا الخبر عبد الرحمٰن بن أيوب قال: حدّثني أحمد بن يحيى المكّي قال: كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا حَزِن صوتُه. فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع: ابعَثْ خريطة[3] فيها نَعْيُ أمّ ابن جامع ـ وكان بارّاً بأمّه ـ ففعل. فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه. فقال: يابن جامع، جاء في هذه الخريطة نعيُ أمّك. فاندفع ابن جامع يغنّي بتلك الحُرْقة والحزن الذي في قلبه: [البسيط]

كَمْ بالدُّرُوبِ وأَرْضِ السِّنْدِ مِنْ قَدَمِ وَمِنْ جَمَاجِمَ صرْعَى مَا بهَا قُبِرُوا
بِقُنْدُهَارَ وَمَنْ تُكْتَبْ مَنِيَّتُهُ بِقُنْدُهَارَ يُرَجَّمْ دُونَهُ الخَبَرُ

---

(١) هَوَّم: هز رأسه من النعاس.
(٢) السَّبَل: المطر.
(٣) الخريطة: من كُتُب السلطان وعماله.

قال: فوالله ما ملكنا أنفسنا، ورأيتُ الغِلْمان يضربون برؤوسهم الحيطان والأساطين[1]. ـ قال هارون: لا أشك أن ابن المكيّ قد حدّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمٰن بن أيوب ـ قال: ثم غنَّى بعد ذلك:

يَـا صَـاحِـبَ الـقَـبْـرِ الـغَـرِيـبِ

ـ وهو لحن قديم. وفيه لحن لابن المكّي ـ فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

[مجزوء الكامل]

يَـا صَـاحِـبَ الـقَـبْـرِ الـغَـرِيـبِ ... بِـالـشَّـامِ فِـي طَـرَفِ الـكَـثِـيـبِ
بِـالـحِـجْـرِ بَـيْـنَ صَـفَـائِـحٍ ... صُـمٍّ تُـرَصَّـفُ بِـالـجَـبُـوبِ[2]
رَضْـفـاً ولَـحْـدٍ مُـمْـكِـنٍ ... تَـحْـتَ الـعَـجَـاجَـةِ فِـي الـقَـلِـيـبِ
فَـإِذَا ذَكَـرْتُ أَنِـيـنَـهُ ... وَمـغِـيـبَـهُ تَـحْـتَ الـمَـغِـيـبِ
هَـاجَـتْ لَـواعِـجُ عَـبْـرةٍ ... فِـي الـصَّـدرِ دَائِـمَـةِ الـدَّبِـيـبِ
أَسَـفـاً لِـحُـسْـنِ بَـلائِـهِ ... ولِـمَـصْـرعِ الـشَّـيْـخِ الـغَـرِيـبِ
أَقْـبَـلْـتُ أطْـلُـبُ طِـبَّـهُ ... وَالـمَـوْتُ يُـعْـضِـلُ بِـالـطَّـبِـيـبِ[3]

الشعر لمكين العُذريّ يرثي أباه، وقيل: إنه لرجل خرج بابنه إلى الشأم هرباً به من جارية هَوِيها فمات هناك. والغناء لحكم الوادي، رمل في مجرى البنصر. وقيل: إن الشعر لسَلاَّمة ترثي الوليدَ بن يزيد.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابن مَهْرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني الحسن بن محمد قال: حدّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال:

(١) الأساطين: واحدها أسطوانة: وهي السارية والعمود.
(٢) الحِجر: قرية قليلة السكان من وادي القرى، وبها كانت منازل ثمود (معجم البلدان ٢/ ٢٢٠). والجبوب: المدر (الطوب) المفتت.
(٣) أعضله الأمر: غلبه.

حدّثني عبد الله بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدّث أن أمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرِين؛ فأرسلت إليه: يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع. فأرسل إليها: عندي ابنُ جامع. فأرسلت إليه: أنت تعلم أني لا أتَهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تَشْرَكني فيه، فما كان عليك أن أشْرَكك في الذي أنت فيه! فأرسل إليها: إني سائر إليكِ الساعةَ. ثم قام وأخذ بيد ابن جامع، وقال لحسين الخادم: امضِ إليها فأعلمها أني قد جئت. وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجَّه إليها: إن معي ابن جامع؛ فعدلتْ إلى بعض المقاصير[1]. وجاء الرشيد وصيّر ابن جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم. وجاءت أمّ جعفر فدخلت على الرشيد وأهوَتْ لتنكبَّ على يده؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقتْه. ثم أمر ابن جامع أن يغنّي فاندفع فغنّى:

صوت

مَا رَعَدَتْ رَعْدَةً ولا بَرَقَتْ ... لٰكِنَّهَا أُنْشِئَتْ لَنَا خَلِقَهْ[2]

المَاءُ يَجْرِي عَلَى نِظَامٍ لَهُ ... لَو يَجِدُ المَاءُ مَخْرِقاً خَرَقَهْ

بِتْنَا وَباتَتْ عَلى نَمارِقِهَا ... حتّى بَدا الصُّبْحُ عَيْنُها أَرِقَهْ

أنْ قِيلَ إنَّ الرَّحِيلَ بَعْدَ غَدٍ ... والدَّارُ بَعْدَ الجَمِيعِ مُفترِقَهْ

ـ الشعر لعَبيد بن الأبرص. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق. وفيه لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه. وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشاميّ. ولمخارق في هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ. وذكر حبش أن الثقيل الأوّل للغريض. وذكر الهشاميّ أن لمُتَيَّم فيها ثاني ثقيل بالوسطى ـ قال: فقالت أمّ جعفر للرشيد: ما أحسن ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين!. ثم قالت لمُسلم خادمها: ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائةَ ألف درهم. فقال الرشيد: غلبتِنا

---

(١) المقاصير: واحدها مقصورة وهي الحُجْرة.

(٢) يقال: نشأت لهم سحابة خَلِقة: أي فيها أثر المطر.

يا بنتَ أبي الفضل وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا. فلما خرج، حمل إليها مكان كلّ درهم ديناراً

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حدّثني محمد بن ضُوين الصَّلْصال التَّيْمِيّ قال: حدّثني إسماعيل بن جامع السَّهْمِيّ قال: ضَمَّني الدهر[١] ضماً شديداً بمكة، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة، فأصبحتُ يوماً وما أملك إلا ثلاثةَ دراهم. فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرّة تريد الرَّكِيّ[٢] تسعى بين يديّ وتُرَنِّم بصوت شَجِيّ تقول:

[الطويل]

شَكَوْنَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا ... فَقَالُوا لَنا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِندنَا

وَذَاكَ لأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عُيُونَهُمْ ... سِراعاً وَمَا يَغْشَى لَنَا النَّومُ أَعْيُنا

إِذَا مَا دَنَا اللَّيلُ المُضِرُّ لِذِي الهَوَى ... جَزِعْنَا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ إذا دَنَا

فَلَوْ أَنَّهُم كَانُوا يلاقُونَ مِثْلَ مَا ... نُلاقِي لَكَانُوا فِي المَضَاجِعِ مِثْلَنا

قال: فأخذ الغناءُ بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف. فقلت: يا جارية، ما أدري أوجهُك أحسن أم غناؤك! فلو شئت أعدتِ؛ قالت: حُبّاً وكرامةً. ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب منها ورفعتْ إحدى رجليها فوضعتْها على الأُخرى، ووضعت الجَرّة على ساقيها ثم انبعثت تغنّيه؛ فوالله ما دار لي منه حرف؛ فقلتُ: أحسنتِ! فلو شئتِ أعدتيه مرّةً أُخرى!. ففطنَتْ وكَلَحتْ وقالت: ما أعجب أمرَكم! أحدُكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها! فضربتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها إليها، وقلت: أقيمي بها وجهَك اليومَ إلى أن نلتقي. قال: فأخذتْها كالكارهة وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ منّي صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: وانبعثتْ تغنّي؛ فأعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمتُه، وانصرفتُ مسروراً إلى منزلي أُردِّده حتى خفّ على لساني ثم إني خرجتُ أريد بغداد فدخلتها، فنزل بي المكاري على باب مُحَوَّل[٣]؛ فبقيتُ لا أدري أين أتوجّه ولا مَنْ أقصِد. فذهبتُ أمشي مع الناس، حتى أتيت

(١) ضمني الدهر: ضايقني.

(٢) الرَّكِيّة: البئر تحفر، والجمع ركي.

(٣) باب مُحَوَّل: محلة كبيرة بجنب الكرخ (معجم البلدان ٥/ ٦٦).

الجسر فعبرت معهم، ثم انتهيت إلى شارع المدينة، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً؛ فقلت: مسجد قوم سراة؛ فدخلتُه، وحضرتُ صلاة المغرب وأقمت بمكاني حتى صلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب. وانصرف أهل المسجد وبقي رجل يصلّي، خلفه جماعة خدم وخول[١] ينتظرون فراغه؛ فصلّى مليّاً ثم انصرف؛ فرآني فقال: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل. قال: فمتى كنت في هذه المدينة؟ قلت: دخلتها آنفاً، وليس لي بها منزل ولا معرفة، وليستْ صناعتي من الصنائع التي يُمتّ بها إلى أهل الخير. قال: وما صناعتك؟ قلت: أَتَغنّى. قال: فوثب مبادراً ووكل بي بعض من معه. فسألتُ الموكَّل بي عنه فقال: هذا سلاّم الأبرش. قال: وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة، وجاوز بي مقصورة إلى مقصورة، ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز؛ ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك، فأكلتُ حتى امتلأت. فإني لكذلك إذ سمعت ركْضاً في الدهليز وقائلاً يقول: أين الرجل؟ قيل: هو هذا. قال: ادعوا له بغسول[٢] وخِلْعة وطِيب، ففُعل ذلك بي فحُملت على دابّة إلى دار الخلافة ـ وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران ـ فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة، حتى صِرتُ إلى دارٍ قَوْراء فيها أسِرّة في وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض. فأمرني الرجل بالصعود فصعِدتُ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوارٍ في حجورهنّ العيدان، وفي حجر الرجل عود. فرحّب الرجل بي، وإذا مجالسُ حِيالَه كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تَغَنَّ؛ فانبعث يغنّي بصوت لي وهو: [البسيط]

لَمْ تَمْشِ مِيلاً وَلَمْ تَركَبْ على قَتَبِ ... ولَمْ تَرَ الشَّمْسَ إلاَّ دونَها الكِلَلُ[٣]

تَمْشِي الهُوَيْنَى كَأَنَّ الرِّيحَ تَرْجِعُها ... مَشْيَ اليَعافِيرِ فِي جيئاتِها الوَهَلُ[٤]

فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَسَاتِينَ[٥] مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها: تَغَنَّيْ فغنّتْ أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن

(١) الخَوَل: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، واحده خولي.
(٢) الغسول: الماء يغتسل به.
(٣) القَتَب: رَحْل صغير على قدر السنام.
(٤) اليعافير: الظباء. والوَهَل: الفزع.
(٥) الدساتين: هي الرباطات من العود توضع الأصابع عليها، واحدها دستان.

حالاً من الرجل، وهو قوله: [البسيط]

يَـا دَارُ أَضْـحَـتْ خَـلاَءً لاَ أَنِـيـسَ بِـهَـا ... إلاّ الـظِّـبَـاءُ وإلاّ الـنَّـاشِـطُ الـفَـرِدُ[١]

أَيْـنَ الَّـذِيـنَ إِذَا مَـا زرتُـهُـمْ جَـذِلـوا ... وَطَارَ عَنْ قَلبِي التَّشْواق والكَمَدُ[٢]

ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنّت به ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعثت تغنّي بصوت لحكم الواديّ وهو: [الطويل]

فَـوَاللَّـهِ مَـا أدري أيـغـلِـبُـنِـي الـهَـوَى ... إذا جَـدَّ وَشْـكُ الـبَـيْـنِ أم أنَـا غَـالِـبُـهْ

فَإنْ أسْتَطِعْ أَغْلِبْ وإنْ يَغْلِبِ الهَوَى ... فَمِثْلُ الذِي لاَقَيْتُ يُغْلَبُ صَاحِبُهْ

قال: ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنّت بصوتٍ لحُنَيْن وهو قوله[الطويل]

مَـرَرْنَـا عَـلَـى قَـيْـسِـيَّـةٍ عَـامِـرِيَّـةٍ ... لَـهَـا بَـشَـرٌ صَـافِـي الأَدِيـمِ هِـجَـانِ[٣]

فَقَالَتْ وَأَلْقَتْ جانِبَ السِّتر دُونَـهـا ... مِـنَ ايَّـةِ أرْضٍ أَوْ مَـنِ الـرَّجُـلانِ

فَـقُـلْـتُ لَـهَـا أَمَّـا تَـمِـيـمٌ فَـأُسْـرَتِـي ... هُـدِيـتِ وأمَّـا صَـاحِـبِـي فَـيَـمَـانِ

رَفِـيـقَـانِ ضَـمَّ الـسَّـفْـرُ بـيـنِـي وبَـيـنَـهُ ... وَقَـدْ يَـلْـتَـقِـي الـشَّـتَّـى فَـيَـأتَـلِـفَـانِ

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتاً فشبّه فيه[٤]. والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله: [البسيط]

أَمسى بِأَسْماءَ هذا القَلْبُ مَعْمودا ... إذَا أَقُـولُ صَـحَـا يَـعْـتَـادُهُ عِـيـدَا

كَـأَنَّ أحْـوَرَ مِـنْ غِـزْلانِ ذي بَـقَـرٍ ... أَعَـارَهَـا شَـبَـهَ الـعَـيـنَـيْـنِ والـجِـيـدَا[٥]

بِـمُـشْـرِقٍ كَـشُـعَـاعِ الـشَّـمْـسِ بَـهْـجَـتُـهُ ... ومُـسْـبَـكِـرٌ عَـلَـى لَـبَّـاتِـهَـا سُـودَا[٦]

ثم عاد إلى الجارية فتغنّت بصوت لحكم الواديّ: [الطويل]

تُـعَـيِّـرُنَـا أَنَّـا قَـلِـيـلٌ عَـدِيـدُنَـا ... فَـقُـلْـتُ لَـهَـا إنَّ الـكِـرَامَ قَـلِـيـلُ

وَمَـا ضَـرَّنَـا أنَّـا قَـلِـيـلٌ وَجَـارُنَـا ... عَـزِيـزٌ وجَـارُ الأكْـثَـرِيـنَ ذَلِـيـلُ

وَإِنَّـا لَـقَـوْمٌ مـا نَـرَى الـقَـتْـلَ سُـبَّـةً ... إذَا مَـا رَأَتْـهُ عَـامِـرٌ وسَـلُـولُ

---

(١) الناشط: الثور الوحشي وكذلك الحمار الوحشي. والفرد: المنفرد.
(٢) جَذِل: فرح، سُرَّ.
(٣) الهجان: الأبيض.
(٤) شَبّه فيه: لم يُحسِن أداءه.
(٥) ذو بقر: وادٍ بين أخيلة الحمى (معجم البلدان ١/ ٤٧١).
(٦) شعر مُسبَكر: مسترسل.

يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجالَنا لَنا وَتَكْرَهُهُ آجالُهُمْ فَتَطُولُ

وتغنّت الثانية: [الطويل]

وَدِدْتُكِ لَمَّا كَانَ وُدُّكِ خالِصاً وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرْتِ نَهْباً مُقَسَّمَا
ولا يَلْبَثُ الحَوْضُ الجَدِيدُ بِناؤُهُ إذا كَثُرَ الوُرّادُ أَنْ يَتَهَدَّمَا

وتغنّت الثالثة بشعر الخَنْساء: [الطويل]

وَمَا كَرَّ إلاّ كَانَ أوّلَ طَاعِنٍ وَلاَ أَبْصَرَتْهُ الخَيْلُ إلاّ اقْشَعَرَّتِ
فيُدْرِكُ ثَأراً وَهْوَ لَمْ يُخْطِهِ الغِنَى فَمِثْلُ أخِي يَوماً بِهِ العَيْنُ قَرّتِ
فَلَسْتُ أُرَزَّا بَعْدَهُ بِرَزِيَّةٍ فَأَذْكُرَهُ إلاّ سَلَتْ وَتَجَلَّتِ

وغنّى الرجل في الدور الثالث: [الطويل]

لَحَى اللَّهُ صُعلُوكاً مُناهُ وَهَمُّهُ مِنَ الدَّهرِ أَنْ يَلقَى لَبُوساً ومَطْعَمَا
يَنَامُ الضُّحَى حتَّى إذَا لَيلُهُ انتهى تَنَبَّهَ مَثْلُوجَ الفُؤادِ مُورَّمَا[1]
ولكِنَّ صُعلوكاً يُساوِرُ هَمَّهُ وَيَمْضِي عَلَى الهَيْجاءِ لَيْثاً مُقَدِّما
فَذلِكَ إنْ يَلْقَ الكَرِيهَةَ يَلْقَها كَرِيماً وإنْ يَسْتَغْنِ يَوْماً فَرُبَّما

قال: وتغنّت الجارية: [الطويل]

إذَا كُنْتَ رَبّاً لِلْقَلُوصِ فَلا يَكُنْ رَفيقُكَ يَمشِي خَلْفَهَا غيرَ رَاكِبِ
أَنِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإنْ حَمَلَتْكُمَا فَذاكَ وإنْ كَانَ العِقَابُ فَعاقِبِ[2]

قال: وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معديكرب: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ لَمَّا ضَمَّنِي البَلَدُ القَفْرُ سَمِعْتُ نداءً يَصْدَعُ القَلْبَ يَا عَمْرُو
أَغِثْنَا فَإنَّا عُصْبَةٌ مَذْحِجِيَّةٌ نُزارُ عَلَى وَفْرٍ وَلَيْسَ لنَا وَفْرُ[3]

قال: وتغنّت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

فَلَمَّا تَواقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَسْفَرَتْ وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعا

---

(١) مُورّماً: منتفخاً لعدم ما يشغله من شؤون الحياة.
(٢) العقاب: أن تركب الدابة مرة ويركبها صاحبك مرة.
(٣) الوَفْر: المال الموفّر.

تَبَالَهْنَ بِالعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنَنِي وقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعَا[١]
وَلَمَّا تَنَازَعْنَ الأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي أَخِفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ ونُخْدَعَا

قال: وتوقّعتُ مجيءَ الخادم إليّ، فقلت للرجل: بأبي أنت! خُذِ العود فشُدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحُطَّ دُسْتانَ كذا؛ ففعل ما أمرتُه. وخرج الخادم فقال لي: تَغَنّ عافاك الله؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه، فإذا جماعة من الخدم يحضُرون حتى استندوا إلى الأَسِرّة وقالوا: وَيْحَك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي؛ فانصرفوا عنّي بتلك السرعة، وخرج إليّ الخادم وقال: كذبتَ! هذا الغناء لابن جامع. ودار الدورُ؛ فلما انتهى الغناءُ إليّ قلتُ للجارية التي تَلي الرجل: خذي العود، فعلمتْ ما أريد فَسَوّت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنّيتُ به. فخرجتْ إليّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا: ويحك! لمن هذا؟ قلت: لي؛ فرجعوا وخرج الخادم. فتغنيتُ بصوت لي فلا يُعرف إلا بي، وسقَوْني فتزيّدت، وهو:

[الكامل]

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمِي جَبْرُ فِيمَ الصُّدُودُ وأَنْتُمُ سَفْرُ[٢]
مَا نَلْتَقِي إلاّ ثَلاثَ مِنًى حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ[٣]

قال: فتزلزلتْ والله الدار عليهم. وخرج الخادم فقال: وَيْحَك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي. فرجع ثم خرج فقال: كذبتَ! هذا غناء ابن جامع. فقلت: فأنا إسماعيل بن جامع. فما شَعَرتُ إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم. فقال لي الفضلُ بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك. فلما صَعِد السريرَ وثَبتُ قائماً. فقال لي: أَبنُ جامع؟ قلت: ابن جامع، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين. قال: وَيْحَك! متى كنتَ في هذه البلدة؟ قلت: آنِفاً، دخلتُها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين. قال: اجلس وَيْحَك يابنَ جامع! ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي: أَبْشِر وابسُط أَمَلَك؛ فدعوت له. ثم قال: غنّني يابنَ جامع. فخطر بقلبي

---

(١) أكلّ: أعيا. وأوضع: أسرع. يريد أنه أوضع فَأَكَلّ.
(٢) السّفر: الجماعة المسافرون.
(٣) مِنى: في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمى فيه الجمار، وهو على فرسخ من مكة (معجم البلدان ١٩٨/٥).

صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردتُ من الطبقة، فعرف ما أردتُ، فوَزَن العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها، وانبعثتُ أغنّي بصوت الجارية الحُمَيْراء. فنظر الرشيد إلى جعفر وقال: أسمعت كذا قطُّ؟ فقال: لا والله ما خرق مسامعي قطُّ مثله. فرفع الرشيد رأسه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار فجاء به فرمى به إليّ، فصيَّرتُه تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين. فقال: يابن جامع، رُدّ على أمير المؤمنين هذا الصوت، فرددتُه وتزيّدت فيه. فقال له جعفر: يا سيِّدي، ما تراه كيف يتزيّد في الغناء! هذا خلاف ما سمعناه أولاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً. قال: فرفع الرشيد رأسه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار، فجاءني به فصيّرته تحت فخذي. وقال: تغنَّ يا إسماعيل ما حضرك. فجعلت أقْصِد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشترى عليه الجواري فأُغنّيه؛ فلم أزلْ أفعل ذلك إلى أن عسْعس[1] الليلُ. فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك، فأَعِدْ على أمير المؤمنين الصوت (يعني صوت الجارية) فتغنّيتُ. فدعا الخادم وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألفُ دينار. قال: فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسّمتُ، ولحظني فقال: يابن الفاعلة، ممّ تبسمت؟ فجثوتُ على ركبتيّ وقلت: يا أمير المؤمنين، الصدقُ منْجاة. فقال لي بانتهار: قل. فقصصتُ عليه خبر الجارية. فلما إستوعبه قال: صدقتْ، قد يكون هذا وقام. ونزلت من السرير ولا أدري أين أقْصِد، فابتدرني فرّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أميرُ المؤمنين؛ ففُرِشتْ وأُعِدّ فيها جميعُ ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم، ومن كل آلة وخول إلى جوارٍ ووُصفاء. فدخلتها فقيراً وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم.

وذكر لي هذا الخبر عبد الله بن الرَّبيع عن أبي حفْص الشَّيْبانيّ عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال: ضمّني الدَّهرُ بمكة ضمّاً شديداً فانْتَقَلت إلى المدينة ـ فبينا أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدث، إذ قال لي رجل حضرنا: والله لقد بلغنا يابن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت في هذا البلد ضائع! فقلت: والله ما بي نهوض. قال بعضهم: فنحن نُنهضك. فاحتلتُ في شيء وشَخَصت إلى

(١) عسعس الليل: إذا أقبل وكذلك إذا أدبر.

العراق، فقدِمتُ بغداد، ونزلت عن بغل كنت اكتريتُه. ثم ذكر باقي الحديث نحوَ الذي قبله في المعاني، ولم يذكر خبر السوداء[١] التي أخذ الصوتَ عنها. وأحسِبه غلط[٢] في إدخاله هذه الحكاية هاهنا، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا. قال في هذا الخبر: إن الدَّوْر دار مرّةً أُخرى حتى صار إليّ، فخرج الخادم فقال: غنّ أيها الرجل! فقلت: ما أنتظر الآنَ! ثم اندفعتُ أغنّي بصوت لي وهو: [الطويل]

فَلَو كَانَ لِي قَلْبانِ عِشْتُ بِواحِدٍ ... وَخَلَّفْتُ قَلْباً فِي هَواكِ يُعذَّبُ
وَلٰكِنَّمَا أحيَا بِقَلْبٍ مُرَوَّعٍ ... فَلا العَيْشُ يَصْفُو لِي ولاَ المَوْتُ يَقرُبُ
تَعَلَّمْتُ أَسْبابَ الرِّضَا خَوْفَ سُخْطِهَا ... وعَلَّمَهَا حُبِّي لَهَا كَيْفَ تَغْضَبُ
وَلِي ألفُ وَجْهٍ قدْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ ... وَلَكِنْ بِلاَ قلبٍ إلَى أيْنَ أَذْهَبُ

فخرج الرشيد حينئذٍ.

نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني

صوت

شَكَونَا إلَى أحْبابِنَا طُولَ لَيْلِنَا ... فَقالُوا لَنَا ما أقْصَرَ اللَّيْلَ عِندَنا
وذاكَ لأنَّ النَّومَ يَغْشَى عُيُونَهمْ ... سِراعاً ومَا يَغْشَى لنَا النَّومُ أعْيُنَا
إذَا مَا دَنَا اللَّيلُ المُضِرُّ بذِي الهَوَى ... جَزِعْنَا وَهُم يَسْتَبْشِرُونَ إذَا دَنَا
فَلَو أنَّهمْ كَانُوا يُلاقونَ مِثْلَ مَا ... نُلاقِي لَكانُوا فِي المَضاجِعِ مِثْلَنا

عروضه من الطويل. وذكر الهشاميّ أن الغناء لابن جامع هزج بالوسطى، وفي الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها بمكة.

ومنها:

صوت

[البسيط]

يَا دَارُ أضْحَتْ خَلاءً لاَ أَنِيسَ بِهَا ... إلاَّ الظِّباءُ وإلاَّ النَّاشِطُ الفَرِدُ
أيْنَ الَّذِينَ إذَا ما زرتُهُمْ جذِلُوا ... وَطَارَ عَنْ قَلْبِيَ التَّشْوَاقُ والكَمَدُ

---

(١) تقدم ذِكر الجارية التي أخذ عنها أنها كانت حميراء

(٢) يريد محمداً التيمي الذي ذكَر الخبر.

في هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش. ولحن ابن جامع رمل.

ومنها:

صوت

[البسيط]

لَمْ تَمْشِ مِيلاً ولَمْ تركَبْ عَلَى جَمَلٍ وَلَمْ تَرَ الشَّمسَ إلاَّ دُونَهَا الكِلَلُ

أقُولُ لِلرَّكْبِ في دُرْنَا وقَدْ ثَمِلُوا شِيمُوا وكيفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ[1]

الشعر للأعشى. والغناء لابن سُريج رَمَلٌ بالبنصر، وقد كُتب فيما يغنّى فيه من قصيدة الأعشى التي أوّلها:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرتَحِلُ

ومنها:

صوت

[الطويل]

مَرَرْنَا عَلَى قَيْسِيَّةٍ عَامِرِيَّةٍ لَهَا بَشَرٌ صَافِي الأدِيمِ هِجَانِ

فَقَالَتْ وألْقَتْ جَانِبَ السِّتْرِ دُونَهَا مِنَ ايَّةِ أرْضٍ أوْ مَنِ الرَّجُلاَنِ

فَقُلْتُ لَهَا أمَّا تَمِيمٌ فَأُسْرَتِي هُدِيتِ وأمَّا صَاحِبِي فَيَمَانِي

رَفِيقَانِ ضَمَّ السَّفْرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَّى فَيَأْتَلِفَانِ

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر.

ومنها:

صوت

[البسيط]

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هذا القَلْبُ مَعْمُودَا إذَا أقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدَا

أَجْرِي عَلَى مَوْعِدٍ مِنْهَا فتُخْلِفُنِي فَمَا أَمَلُّ ولا تُوفِي المَوَاعِيدَا

كأنَّنِي حِينَ أُمْسِي لاَ تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، وله فيه ثقيل أوّل بالبنصر. وذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أول بالوسطى على مذهب إسحاق.

---

(١) دُرْنا: ناحية باليمامة. وكان يقال لأثافت التي باليمن دُرْنا (معجم البلدان ٢/ ٤٥٢).

ومنها : **صوت** [الطويل]

فَـوالله مَـا أدرِي أيَـغْـلِـبُـنِـي الـهَـوَى إذا جَـدَّ وَشْـكُ الـبَـيـنِ أمْ أنَـا غَـالـبُـهْ
فإنْ أسْتَطِعْ أَغلِبْ وَإنْ يَغْلِبِ الهَوَى فَـمِـثْـلُ الَّذِي لاقَـيتُ يُـغْـلَـبُ صَاحِبُـهْ

عروضه من الطويل. الشعر لابن مَيّادة، والغناء للحجبيّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش.

ومنها : **صوت** [الطويل]

تُـعَـيِّـرُنَـا أنَـا قَـلـيـلٌ عَـدِيـدُنَـا فَـقـلْـتُ لَـهَـا إنَّ الـكِـرَامَ قـلـيـلُ
وَمَـا ضَـرَّنَـا أنَّـا قَـلِـيـلٌ وَجَـارُنَـا عَـزِيـزٌ وَجَـارُ الأكْـثَـرِيـنَ ذَلِـيـلُ
وإنَّـا لَـقَـومٌ مَـا نَـرَى الـقَـتْـلَ سُـبّـةً إذا مـا رَأَتْـهُ عَـامِـرٌ وسَـلُـولُ
يُـقَـرِّبُ حُـبُّ الـمَـوْتِ آجـالَـنَـا لَـنَـا وَتَـكْـرَهُـهُ آجـالُـهُـمْ فَـتَـطُـولُ

عروضه من مقبوض[1] الطويل. والشعر للسموأل بن عادياء اليهوديّ. والغناء لَحَكم الوادي.

ومنها : **صوت**

وَدِدْتُـكِ لَـمَّـا كَـانَ وُدُّكِ خَـالِـصـاً وَأعْـرَضْـتُ لـمَّـا صَـارَ نَـهْـباً مُـقَـسَّـمَـا
وَلَـنْ يَـلْـبَـثَ الـحَـوْضُ الـجَـدِيـدُ بِـنَـاؤُهُ عَـلَـى كَـثْـرَةِ الـوُرّادِ أَنْ يَـتَـهَـدَّمَـا

عروضه من الطويل. وفيه خفيفُ ثقيل قديم لأهل مكة. وفيه لعرِيب ثقيلٌ أوّل.

ومنها : **صوت**

وَمَـا كَـرَّ إلاّ كَـانَ أوَّلَ طَـاعِـنٍ وَلاَ أَبْـصَـرَتْـهُ الـخَـيْـلُ إلاَّ اقْـشَـعَـرَّتِ
فَـيُـدرِكُ ثَـأراً ثُـمَّ لَـمْ يُـخْـطِـهِ الـغِـنَـى فَـمِـثْـلُ أخِـي يَـوماً بِـهِ الـعَـيْـنُ قَـرَّتِ
فَـإنْ طَـلَـبُـوا وِتْـراً بَـدَا بِـتِـراتِـهِـمْ وَيَـصْـبِـرُ يَـحْـمِـيـهِـمْ إذا الـخَـيْـلُ وَلَّـتِ

عروضه من الطويل. الشعر للخَنْساء، والغناء لابن سُريج ثقيل أوّل بالبنصر وذكر علي بن يحيى أنه لمَعْبد في هذه الطريقة.

---

(١) القَبض: هو حذف الخامس الساكن فيصير فعولُ (من فعولن).

ومنها:

صوت

لَحَا اللَّهُ صُعْلُوكاً مُنَاهُ وَهَمُّهُ ... مِنَ الدَّهرِ أنْ يَلْقَى لَبُوساً ومَطْعَمَا
يَنَامُ الضُّحَى حَتَّى إذَا لَيْلُهُ انتَهَى ... تَنَبَّهَ مَثْلُوجَ الفُؤادِ مُوَرَّمَا
وَلٰكِنَّ صُعْلُوكاً يُسَاوِرُ هَمَّهُ ... وَيَمْضِي على الهَيْجاءِ لَيثاً مُصَمِّمَا
فَذٰلِكَ إنْ يَلْقَ الكَرِيهَةَ يَلْقَها ... كَرِيماً وإنْ يَسْتَغْنِ يَوْماً فَرُبَّمَا

عروضه من الطويل. الشعر يقال إنه لعُرْوة بن الوَرْد، ويقال: إنه لحاتم الطائي وهو الصحيح. والغناء لطُوَيس خفيفُ رمل بالبنصر.

ومنها:

صوت

إذَا كُنْتَ رَبّاً لِلقَلوصِ فَلا يَكُنْ ... رَفيقُكَ يَمْشِي خَلْفَها غيْرَ رَاكِبِ
أنِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإنْ حَمَلَتْكُمَا ... فَذاكَ وإنْ كانَ العِقَابُ فَعَاقِبِ

عروضه من الطويل: والشعر لحاتم طيِّئ.

ومنها:

صوت

أَلَمْ تَرَ لَمَّا ضَمَّنِي البَلَدُ القَفْرُ ... سَمِعْتُ نِداءً يَصْدَعُ القَلْبَ يا عمرُو
أغِثْنَا فإنَّا عُصْبَةٌ مَذْحِجِيَّةٌ ... نُزارُ عَلى وَفْرٍ وَلَيْسَ لنَا وَفْرُ

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن معديكرب. والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن حَبَش.

ومنها:

صوت

فَلَمَّا تَواقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلَتْ ... وُجُوهٌ زَهاهَا الحُسْنُ أن تَتَقَنَّعا
تَبالَهْنَ بالعِرْفَانِ لَمَّا رَأيْنَنِي ... وَقُلْنَ امْرُؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا
ولَمَّا تَنازَعْنَ الأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي ... أخِفْتَ عَلَينَا أنْ نُغَرَّ ونُخْدَعَا
وقَرَّبْنَ أَسْبَابَ الهَوَى لِمُتَيَّمٍ ... يَقِيسُ ذِراعاً كُلَّمَا قِسْنَ إصْبَعَا

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدّة ألحان، قد كُتبتْ مع الخبر في موضع غير هذا.

ومنها: **صوت** [الكامل]

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمِي جَبْرُ ... فِيمَ الصُّدودُ وأنتمُ سَفْرُ
مَا نَلْتَقِي إلا ثلاثَ مِنًى ... حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النَّفْرُ
الحَوْلُ ثُمَّ الحَوْلُ يَتْبَعُهُ ... ما الدَّهْرُ إلاَّ الحَوْلُ وَالشَّهرُ

الشعر للعَرْجيّ. والغناء للأبجر ثقيل أوّل عن الهشاميّ، ويقال إنه لابن محرز ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر. وفيه رمل يقال إنه لابن جامع، وهو القول الصحيح، وذكر حبش أنه لابن سريج، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل.

ومنها: **صوت** [الطويل]

فَلَو كَانَ لِي قَلْبانِ عِشْتُ بِواحدٍ ... وَخَلَّفْتُ قَلْباً فِي هَواكِ يُعَذَّبُ
ولكِنَّمَا أَحْيَا بِقَلْبٍ مُرَوَّعٍ ... فَلا العَيْشُ يَصْفُو لِي ولا المَوْتُ يَقْرُبُ
تَعلَّمْتُ أسْبَابَ الرِّضَا خَوفَ هَجْرِها ... وَعَلَّمَهَا حُبْي لَها كَيْفَ تَغْضَبُ
وَلِي أَلْفُ وَجْهٍ قَدْ عَرَفْتُ مَكانَهُ ... وَلكِنْ بلا قَلْبٍ إلَى أيْنَ أذهَبُ

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو الوَرّاق. والغناء لابن جامع خفيف رمل، ويقال إنه لعبد الله بن العبّاس. وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّل. وفيه لرَذَاذ خفيفُ ثقيل. وفيه هَزَج يقال إنه لعَريب، ويقال إنه لنمرة، ويُقال إنه لأبي فارة، ويقال إنه لابن جامع.

حدّثني مصعب الزبيريّ قال: قدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً في أيام الرشيد؛ فسمعته يوماً يغنّي في بعض بساتين المدينة: [الطويل]

ومَا لِيَ لاَ أبْكِي وأنْدُبُ ناقَتِي ... إذا صَدَرَ الرُّعيانُ وِردَ المَناهِلِ[1]
وكُنْتُ إذا ما اشْتَدَّ شَوْقِي رَحَلْتُها ... فَسارَتْ بمَحْزونٍ كَثيرِ البَلابِلِ[2]

وكان رجلاً صَيِّتاً[3]، فكاد صوته يذهب بي كلَّ مذهب، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله.

(١) الصَّدْر: الرجوع عن الماء.
(٢) البلابل: مفردها البلبال: الهم والوسواس في الصدر.
(٣) الصَّيِّت: الجهير الصوت.

نسبة هذا الصوت

صوت

وَمَا لِي لاَ أَبْكِي وأَنْدُبُ نَاقَتِي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ وِرْدَ المَنَاهِلِ
وَكُنْتُ إذَا ما اشْتَدّ شَوقِي رَكَبْتُها فَسَارَتْ بِمَخْزُونٍ كَثيرِ البَلابِلِ

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ.

أخبرني وكيع قال: حدّثني هارون بن محمد الزّيات قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: كنتُ في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور، فَفُرّقْنا في خدمته، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه. فكنت أراه يفعل شيئاً أعلم أنه خطأ: يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح. وقال لي يوماً: كن مكاني في آخر المستراح. فكنت أُعطيه الإبريق وأخرج مبادراً، فإذا سمعت حركته بادرت إليه. فقال لي: ما أخفّك على قلبي ياغلام! ويحك! ثم دخل قصراً من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها. فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد، فقرأه فإذا هو: [الطويل]

ومَا لِيَ لاَ أبْكِي وأنْدُبُ نَاقَتِي إذا صَدَرَ الرُّعيانُ نَحوَ المَنَاهِلِ
وَكُنْتُ إذا ما اشْتَدَّ شَوقِي رَحَلْتُها فَسَارَتْ بِمَخْزُونٍ طَوِيلِ البَلابِلِ

وتحته مكتوب: آه آه، فلم يَدْر ما هو. وفطنتُ له فقلت: يا أمير المؤمنين، قد عرفت ما هو. فقال: قل؛ فقلت: قال الشعر ثم تأوّه فقال: آه آه! فكتب تأوّهه وتنفُّسه وتأسُّفه. فقال: ما لك قاتلك الله! قد أعتقتُكَ وولّيتكَ مكانَ ياسر.

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرّقة في الأخبار وإنما أفردتها عنها لئلا تنقطع

خبر

أَمسَى بأَسْماءَ هذا القَلْبُ مَعْمودَا

أخبرني الحُسين بن يحيى: قال حماد: قرأت على أبي، وذكر جعفر بن سعيد

عن عبد الرحمٰن بن سليمان المكّي قال: حدّثني المخزوميّ (يعني الحارثَ بن خالد) قال: بلغني أن الغريض خرج مع نِسْوة من أهل مكة من أهل الشَّرَف ليلاً إلى بعض المتحدَّثات من نواحي مكة، وكانت ليلة مقمرة؛ فاشتقتُ إليهنّ وإلى مجالستهنّ وإلى حديثهنّ وخِفتُ على نفسي لجنايةٍ كنت أُطالَب بها، وكان عمر مَهيباً معظَّماً لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره، وكان منِّي قريباً؛ فأتيتُه فقلت له: إنّ فلانة وفلانة وفلانة ـ حتى سميتهنّ كُلَّهنّ ـ قد بعثْنَنِي، وهنّ يقرأنَ عليك السلام، وقلن: تشوّقن إليك في ليلتنا هذه لصوتٍ أنشدَنَاه فُوَيْسِقُك الغريض ـ وكان الغريض يغنِّي هذا الصوتَ فيُجيده، وكان ابن أبي ربيعة به مُعْجَباً، وكان كثيراً ما يسأل الغريض أن يغنّيه، وهو قولُه: [البسيط]

أَمْسَى بأَسْماءَ هَذَا القَلْبُ مَعْمودَا ... إذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدَا
كأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلانِ ذي نَفَرٍ ... أَهْدَىٰ لَهَا شَبَه العَينينِ والجِيدا[1]
قَامَتْ تَراءَى وَقَدْ جَدَّ الرَّحيلُ بِنَا ... لِتَنْكَأَ القَرْحَ مِنْ قَلْبٍ قدِ اصْطِيدَا
كَأَنَّنِي يَوْمَ أُمْسِي لاَ تُكَلِّمُنِي ... ذُو بُغْيةٍ يَبْتَغِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
أَجْرِي علَى مَوْعِدٍ مِنْهَا فتُخْلِفُنِي ... فَمَا أَمَلُّ وَمَا تُوفِي المَوَاعِيدا
قَدْ طَالَ مَطْلِي، لوَ انَّ اليأْسَ يَنفَعُنِي ... أَوْ أَنْ أُصادِفَ مِنْ تِلْقَائِهَا جُودَا[2]
فَلَيسَ تَبْذُلُ لِي عَفْواً وأُكرِمُها ... مِنْ أَنْ تَرَى عِندَنَا فِي الحِرْصِ تَشْدِيدَا

ـ فلما أخبرتُه الخبرَ قال: لقد أزعجتَني في وقت كانت الدَّعَةُ أحبَّ فيه إليّ؛ ولكنّ صوتَ الغريض وحديثَ النِّسوة ليس له مُتَّرَك ولا عنه مَحيص. فدعا بثيابه فلبِسها، وقال: امضِ؛ فمضينا نمشي العجلَ حتى قَرُبنا منهنّ. فقال لي عمر: خَفِّضْ عليك مَشْيَك ففعلتُ، حتى وقفنا عليهنّ وهنّ في أطيب حديث وأحسن مجلس، فسلّمنا، فتهيّبْننا وتخفَّرن منّا. فقال الغريض: لا عليكنّ! هذا ابن أبي ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكنّ وغنائي. فقالت فلانة: وعليك السلامُ يابنَ أبي ربيعة، والله ما تَمّ مجلسُنا إلا بك، فجلسنا غيرَ بعيدٍ، وأخذْنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأخمِرتهنّ وأقبلن علينا

(١) ذو نفر: موضع على ثلاثة أميال من السليلة (معجم البلدان ٥/ ٢٩٦).
(٢) مطل حقه: سوّفه بوعد الوفاء مرة بعد مرة.

بوجوههنّ وقُلْن لعمر: كيف أَحْسَسْتَ بنا وقد أخفينا أمرَنا؟ فقال: هذا الفاسقُ جاءني برسالتكنّ وكنتُ وقيذاً[١] من علّة وجدتُها، فأسرعت الإِجابَة، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسنَ الإِثابة. فردَدْن عليه: قد وجب أجْرُك، ولم يَخِبْ سعيُك، ووافق منّا الحارثُ إرادةً. فحدّثهنّ بما قلتُ له من قصّة غناء الغريض، فقال النِّسوة: والله ما كان ذلك كذلك، ولقد نبّهتنا على صوت حسن، يا غريضُ هاتِه، فاندفع الغريضُ يغنّي ويقول:

أَمْسَى بأَسْمَاءَ هذا القَلْبُ مَعْمُودَا ... إذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدَا

حتى أتى على الشعر كلِّه إلى آخره، فكلٌّ استحسنه. وأقبل عليَّ ابنُ أبي ربيعة فَجَزاني الخيرَ، وكذلك النِّسوة. فلم نَزَلْ بأنعم ليلةٍ وأطيبها حتى بدأ القمرُ يغيب، فقُمنا جميعاً، وأخذ النّسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريضُ معنا.

وقال عمر في ذلك:

صوت

[المنسرح]

هَلْ عِنْدَ رَسْمٍ بِرَامَةٍ خَبَرُ ... أَمْ لاَ فَأَيَّ الأشْيَاءِ تَنْتَظِرُ[٢]

قَدْ ذَكَّرتْنِي الدِّيارُ إذْ دَرَسَتْ ... وَالشَّوْقُ مِمَّا يَهِيجُهُ الذِّكَرُ

مَمْشَى رَسُولٍ إلَيَّ يُخْبِرُنِي ... عَنْهُمْ عِشاءً بِبَعْضِ ما ائْتَمَرُوا

ومَجْلِسَ النِّسوةِ الثَّلاثِ لَدَى الْـ ... ـخَيْمَاتِ حَتَّى تَبَلَّجَ السَّحَرُ

فِيهِنَّ هِنْدٌ والهَمُّ ذِكْرَتُهَا ... تِلْكَ التِي لاَ يُرَى لَهَا خَطَرُ

ثُمَّ انْطَلَقْنَا وعِنْدَنَا وَلَنَا ... فِيهِنَّ لَو طَالَ لَيْلُنَا وَطَرُ

وَقَولَهَا لِلْفَتَاةِ إذْ أزِفَ الْـ ... ـبَيْنُ أَغَادٍ أمْ رَائِحٌ عُمَرُ

عَجْلانَ لَمْ يَقْضِ بَعْضَ حَاجتِه ... هَلاَّ تَأَنَّى يَوماً فَيَنْتَظِرُ

اللهُ جَارٌ لَهُ وَإنْ نَزَحَتْ ... دَارٌ بِهِ أَو بَدَا لَهُ سَفَرُ

غنّاه الغريض ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لابن سُرَيج

---

(١) الوقيذ: المريض.

(٢) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة. وقيل غير ذلك (معجم البلدان ٣/ ١٨).

رمل بالوسطى. وفيه لعبد الرحيم الدَّفَّاف ثقيلٌ أوّل بالبنصر في البيتين الأوّلين. وبعدهما:

هَـلْ مِـنْ رَسُـولٍ إلـيَّ يُـخـبِـرُنِـي بَـعْـدَ عِـشَـاءٍ بِـبَـعْـضِ مَـا ائْـتَـمَـرُوا
يَـوْمَ ظَـلِـلْـنَـا وعِـنْـدَنَـا وَلَـنـا فِـيـهِـنَّ لَـوَ طـالَ يَـومُـنَـا وَطَـرُ

فلما كانت الليلةُ القابلةُ بعث إليّ عمر فأتيتهُ وإذا الغريضُ عنده. فقال له عمر: هاتِ؛ فاندفع يغنّي:

هَـلْ عِـنْـدَ رَسْـمٍ بِـرَامَـةٍ خَـبَـرُ أَمْ لاَ فَـأَيَّ الأشْـيـاءِ تَـنْـتَـظِـرُ
ومَـجْـلِـسَ الـنِّـسْـوةِ الـثَّـلاثِ لَـدَى الْـ ـخَـيْـمـاتِ حَـتَّـى تَـبَـلَّـجَ الـسَّـحَـرُ

فقلتُ في نفسي: هذا والله صفةُ ما كنّا فيه، فسكتُّ حتى فرغ الغريضُ من الشعر كلّه؛ فقلت: يا أبا الخَطّاب، جُعِلتُ فِداك! هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النّسوة. فقال: إن ذلك ليُقال.

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد قال: إنّ موسى بن مُصْعَب كان على المَوْصل[1]، فاستعمل رجلاً من أهل حَرّان[2] على كُورة باهُذْار، وهي أجلّ كُوَرِ الموصل، فأبطأ عليه الخراجُ؛ فكتب إليه:

هَـلْ عِـنْـدَ رَسْـمٍ بِـرَامَـةٍ خَـبَـرُ أَمْ لاَ فَـأَيَّ الأَشْـيـاءِ تَـنْـتَـظِـرُ

احْمِل ما عندك يا ماصَّ بَظْرِ أمه وإلا فقد أمرتُ رسولي بشدّك وَثَاقاً ويأتي بك. فخرج الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فَلحق بحرَّان، وكتب إليه: يا عاضّ بَظْرِ أمّه! إلي تكتب بمثل هذا! [الخفيف]

وَإِذَا أَهْـلُ بَـلْـدَةٍ أَنْـكَـرونِـي عَـرفـتْـنِـي الـدَّوِّيَّـةُ الـمَـلْـسـاءُ[3]

فلما قرأ موسى كتابَه ضَحِك وقال: أحسن ـ يعلم الله ـ الجوابَ، ولا والله لا

(١) المَوصل: قيل سميت بذلك لأنها نقطة وصل بين عدة مناطق، ومن بغداد إلى الموصل أربعة وسبعون فرسخاً (معجم البلدان ٥/ ٢٢٤).
(٢) حرّان: مدينة على طريق الموصل والشام والروم، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان (معجم البلدان ٢/ ٢٣٥).
(٣) الدوّيّة: الفلاة الواسعة.

أطلبه أبداً، وفي غير هذه الرواية أنه كتب إليه في آخر رقعة: [البسيط]

إنَّ الخَليطَ الأُلى تَهْوَى قَدِ ائتَمرُوا ... لِلبَيْنِ ثُمَّ أَجَدُّوا السَّيْرَ فانْشَمَرُوا

يابن الزّانية! والسلام. ثم هرب، فلم يَطْلُبه.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال: قال أبي:

غنّاني رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض: [المنسرح]

هَلْ عِنْدَ رَسْمٍ بِرَامَةٍ خَبَرُ ... أَمْ لاَ فَأَيَّ الأَشْيَاءِ تَنْتَظِرُ

فسألتُه أن يُلْقيَه عليّ، فقال: لا إلا بألف درهم، فلم أسمح له بذلك. ومضى فلم أَلْقَه. فوالله يا بنيّ ما نَدِمْتُ على شيء قطُّ نَدَمي على ذلك، ولَوَدِدْت أنّي وجدتُه الآن فأخذتُه منه كما سمعتُه وأخذَ منّي ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم.

خبر

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْأل بن عادِياء. ويقال: إنه للسموأل. وكان من يهود يَثْرِب؛ وهو الذي يُضرب به المثلُ في الوفاء فيقال: «أوفى من السّموأل».

وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ وأبو عُبيدة وحدّثني به محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا يحيى بن سعيد الأُمويّ عن محمد بن السائب الكَلْبيّ قال:

[وفاء السموأل بن عادياء]

كان امرؤ القيس بن حُجْر أَوْدع السموأل بن عادياء أدراعاً؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم ـ ويقال: الحارث بن أبي شَمر ـ الغَسّاني ـ ليأخذَها منه، فتحصّن منه السموألُ، فأخذ ابناً له غلاماً وناداه: إمّا أن تُسلّم الأدراع وإما أن قتلتُ ابنَك؛ فأبى السموألُ أن يُسَلِّم الأدراعَ إليه؛ فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام بالسيف فقطعه اثنين. فقال السموأل: [الوافر]

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إنِّي ... إذَا مَا خَانَ أَقْوامٌ وَفَيْتُ

وَأَوْصَى عَادِيَا يَوماً بِألاَّ ... تُهَدِّمَ يَا سَمَوْأَلُ مَا بَنَيْتُ

بَنَى لِي عَادِيا حِصْناً حَصِيناً وَمَاءً كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أَعَاذِلَتِي أَلاَ لاَ تَعْذُلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذِلَةٍ عَصَيْتُ
دَعِينِي وارْشُدِي إنْ كُنْتُ أَغْوَى ولا تَغْوَيْ ـ زَعَمْتِ ـ كَمَا غَوَيْتُ
أعاذِلَ قَدْ طَلَبْتِ اللَّومَ حتَّى لَوَ انِّي مُنْتَهٍ لَقَدِ انْتَهَيْتُ
وَصفراءِ المَعَاصِمِ قَدْ دَعَتْنِي إلَى وَصْلٍ فَقُلْتُ لها أَبَيْتُ
وزِقٍّ قَدْ جَرَرْتُ إلَى النَّدامَى وَزِقٍّ قَدْ شَرِبْتُ وَقَدْ سَقَيْتُ
وَحَتَّى لَو يَكونُ فَتَى أُناسٍ بَكَى مِنْ عَذْلِ عَاذِلَةٍ بَكَيْتُ

عروضُه من الوافر. والشعر للسَّمَوْأَل بن عادِياء. والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني والرابع والخامس خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر في الأوّل والثاني. وغنّى دَحْمانُ أيضاً في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى. وغنّى عبد الرحيم الدَّفاف في الأوّل والثاني رملاً بالبنصر. وفي هذه الأبيات لابن سُرَيج لحنٌ في الرابع وما بعده. ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم يَنْسُبه. ولإبراهيم الموصلي فيها لحن غيرُ منسوب أيضاً.

حدّثني محمد بن العبّاس اليَزيدي قال: حدّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال: حدّثنا يحيى بن سَعيد الأُموي قال: حدّثني محمد بن السائب الكلبيّ قال: هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال: [الوافر]

بنو الشَّهرِ الحَرامِ فَلَسْتَ مِنهُمْ وَلَسْتَ مِنَ الكِرَامِ بَنِي عُبَيْدِ[1]
وَلاَ مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطٍ وَلاَ مِنْ رَهْطِ حارِثَةَ بْنِ زيدِ

ـ قال: وهؤلاء كلهم من كلب ـ فقال الكلبيّ: أنا، لا أبا لك، أشرفُ من هؤلاء؛ قال: فَسبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان متغيّظاً عليه. فأغار الكلبي

(١) بنو عبيد ورهط جبار بن قرط ورهط حارثة بن زيد: رجال من أشراف كلب.

على قوم قد بات بهم الأعشى فأَسَرَ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموأل بن عادياء الغَسّاني صاحب تَيْماء بحصنه الذي يقال له الأبْلَق[١] فمرّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله: [البسيط]

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ حِبالَكَ اليَوْمَ بَعْدَ القَدِّ أظفارِي[٢]

قَدْ جُلْتُ مَا بَيْنَ بانِقيا إلى عَدَنٍ فَطالَ في العُجْم تَرْدادِي وتَسْيارِي[٣]

فَكَانَ أكْرَمَهُمْ عَهْداً وَأوْثَقَهُمْ عَقْداً أبُوكَ بِعُرفٍ غَيْرِ إنكارِ

كَالغَيْثِ مَا اسْتَمطروهُ جادَ وَابِلُهُ وَفِي الشَّدائدِ كالمُسْتأسِدِ الضَّارِي

كُنْ كالسَّموألِ إذْ طَافَ الهُمَامُ بِهِ فِي جَحْفَلٍ كَسَوادِ اللَّيلِ جَرَّارِ

إذْ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ قُلْ مَا تَشَاءُ فإنِّي سَامِعٌ حَارِ[٤]

فَقَالَ غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بَيْنَهُمَا فَاخْتَرْ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمختارِ

فَشَكَّ غَيرَ طَويلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ أُقْتُلْ أسِيرَكَ إنِّي مَانِعٌ جَارِي

وَسَوفَ يُعْقِبُنيهِ إنْ ظَفِرتَ بِهِ رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذاتُ أطْهارِ

لاسِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدَراً وَحافظاتٌ إذا اسْتُودِعْنَ أَسرارِي

فاخْتَارَ أدراعَهُ كَي لاَ يُسَبَّ بِهَا وَلَمْ يَكنْ وَعْدُهُ فِيهَا بِخَتَّارِ[٥]

قال: فجاء شُرَيح إلى الكَلْبيّ فقال له: هَبْ لي هذا الأسيرَ المَضْرورَ؛ فقال: هو لك، فأطلقه. وقال له: أقِمْ عندي حتى أُكرمَك وأحْبُوَك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إليّ أن تعطِيني ناقةً ناجِيةً[٦] وتُخْلِيني الساعةَ. قال: فأعطاه ناقةً، فركِبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أن الذي وَهَب لشُريح هو الأعشى، فأرسل إلى شُريح: ابعث إليّ بالأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوه وأُعطيه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيُّ في أثَره فلم يَلْحقْه.

---

(١) الأبلق: حصن السموأل بن عادياء اليهودي، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام (معجم البلدان ١/ ٧٥١).

(٢) القِدّ: القيد.

(٣) بانِقيا: ناحية من الكوفة (معجم البلدان ١/ ٣٣١).

(٤) الخسف: الظلم: وسامه الخسف: ظلمه. وحارِ: يا حارث وهو منادى مرخم.

(٥) الختار: الغادر.

(٦) ناقة ناجية: سريعة السير.

وأما خبر:

وَمَـــا كَـــرَّ إلاّ كَـــانَ أوّلَ طَـــاعِـــنٍ

ـ والشعر للخنساء ـ فإنَّه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفْرداً عن المائة الصوت المختارةِ في أخبار الخنساء.

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

وأمّا خبرُ الجارية التي أخذ عنها ابن جامع الصوتَ وما حكيناه من أنّه وقع في حكاية محمد بن ضوين الصَّلْصال فيها خطأ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي محمد العامريّ قال: حدّثني عُكّاشة اليزيدي بجرجان قال: حدّثني إسماعيل بن جامع قال:

بَيْنا أنا في غُرْفة لي باليمن وأنا مُشْرِف على مَشْرَعةٍ[1] إذ أقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ، فملأتْها ووضعتْها على المَشْرعة لتستريح، وجلست فغنّت:

صوت

فَـرُدِّي مُـصَـابَ الـقَـلْـبِ أنـتِ قَـتَـلْـتِـهِ   وَلاَ تَـبْـعِـدِي فِـيـمَـا تَـجَـشَّـمْـتِ كُـلْـثُـمَـا

ـ وَيُروى «وَلاَ تَتْرِكِيهِ هَائِمَ القلبِ مُغْرَمَا» ـ

إِلَى الـلَّـهِ أشْـكُـو بُـخْـلَـهَـا وسَـمَـاحَـتِـي   لَـهَـا عَـسَـلٌ مِـنِّـي وتَـبْـذُلْ عَـلْـقَـمَـا

أَبَـى الـلَّـهُ أَنْ أُمـسِـي ولاَ تـذكُـرِيـنَـنِـي   وَعَـيْـنَـايَ مِـنْ ذِكْـرَاكِ قَـدْ ذَرَفَـتْ دَمَـا

أَبِـيْـتُ فَـمَـا تَـنـفَـكُّ لِـي مِـنْـكِ حَـاجَـةٌ   رَمَـى الـلَّـهُ بـالـحَـبِّ الـذِي كَـانَ أَظْـلَـمَـا

ـ غنّاه سِيَاطٌ ثقيل أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ـ قال: ثم أخذتْ قِربتَها لتمضَي. فاستفزني من شهوة الصوت ما لا قِوَامَ لي به، فنزلتُ إليها فقلت لها: أَعِيديه. فقالت: أنا عنك في شغل بخَراجي. قلتُ: وكم هو؟ قالت: درهمان في كل يوم. قلتُ: فهذان درهمان، ورُدِّيه عليّ حتى آخذه منك، وأعطيتُها درهمين؛ فقالت: أمّا الآن فنعم. فجلستْ، فلم تَبْرح حتى أخذتُه

(١) المشرعة: مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها. وتكون مستمرة كماء الأنهار.

منها وانصرفت؛ فلهوتُ يومي به، وأصبحتُ من غدٍ لا أذكر منه حرفاً، فإذا أنا بالسوداء قد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأمس. فلما وضعتِ القربة تغنّت غيرَه، فَعَدَوْتُ في أثرها وقلت: يا جارية، بحقّي عليك رُدّي عليّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّي منه نَغَمةٌ. فقالت: لا والله، ما مثلُك تذهب عنه نغمةٌ، أنت تَقيسُ أوّلَه على آخره. ولكنك قد أُنْسِيتَه، ولستُ أفعل إلا بدرهمين آخرين. فدفعتُهما إليها وأعادته عليّ حتى أخذتُه ثانيةً. ثم قالت: إنّك تَسْتكثر فيه أربعة دراهم، وكأني بك قد أصبتَ به أربعة آلاف دينار. فكنتُ عند هارون يوماً وهو على سريره؛ فقال: من غنّاني فأطربني فله ألفُ دينار. وقدّامَه أكياسٌ في كل كيس ألفُ دينار. فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ، حتى دار الغِناء إليّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السوداء، فرمى إليّ بكيس فيه ألفُ دينار، ثم قال: أعِدْه فغنّيتُه، فرمى إليّ بثانٍ ثم قال: أعِدْه فرمى إليّ بثالث وأمسك. فضحِكتُ، فقال: ما يُضْحكك؟ فقلت: لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فحدّثتُه به وقصصتُ عليه القصّة؛ فرمى إليّ برابع وقال: لا نكذّب قولَها.

خبر

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمِي جَبْرُ

الشعر للعَرْجِيّ وقد ذكرنا نسبة الصوت.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقدِيّ عن ابن أبي الزِّناد قال: حدّثني محمد بن إسحاق قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: إن بالمدينة مُخنَّثاً قد أفسد نساءَها. فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحملَه فأُدخِل عليه، فإذا شيخٌ خضيبُ اللّحية والأطرافِ مُعْتَجِرٌ بِسَبَنِيّة[1] قد حمل دُفاً في خريطته[2]. فلما وقف بين يَدي عمر صعّد بصرَه فيه وصوَّبه وقال: سوأةً لهذه الشَّيْبة وهذه القامةِ! أتحفظ القرآن؟ قال: لا والله يا أبانا، قال: قبّحك الله! وأشار إليه مَنْ حضَره فقالوا: اسكُتْ فسكتَ. فقال له عمر: أتقرأ من المفصَّل شيئاً؟ قال: وما المُفَصَّل؟ قال: ويلك!

(١) السبنية: منسوب إلى سبن: بلدة ببغداد؛ وهي إزار أسود من الحرير يلبسه النساء (معجم البلدان ٣/ ١٨٦).

(٢) الخريطة: هنة مثل الكيس تكون من الخِرق والأدم.

أتقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأُخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة، وأقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس﴾ وأُخطئ فيها، وأقرأ ﴿قُلْ هو الله أَحَدٌ﴾ مثلَ الماء الجاري. قال: ضَعوه في الحبس ووكِّلوا به مُعَلِّماً يعلّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطَّهارة والصلاة وأَجْرُوا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهم أُخَر، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ. فكان كلَّما عُلِّم سورةً نَسِي التي قبلها. فبعث رسولاً إلى عمر: يا أمير المؤمنين، وجِّه إليّ من يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلاً فأوّلاً، فإني لا أقدر على حمله جملةً واحدةً. فيئس عمرُ من فلاحه وقال: ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعةً، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عُرْياناً لكان أصلحَ. ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له: اقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّها الْكَافِرون﴾. قال: أسأل الله العافيةَ! أدخلتَ يَدك في الجراب، فأخرجتَ شرّ ما فيه وأصعَبه. فأمر به فَوُجِئَتْ[1] عنقُه ونفاه. فاندفع يغنّي وقد توجّهوا به: [الكامل]

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمِي جَبْرُ ... فِيمَ الوُقُوفُ وأنتُمُ سَفْرُ

مَا نَلْتَقِي إلاّ ثَلاثَ مِنًى ... حتَّى يفرِّقَ بَيْنَنَا النَّفْرُ

فلما سمِع المُوكَّلون به حسنَ ترنّمه خلَّوْه وقالوا له: اذهب حيث شئتَ مُصَاحَباً بعد استماعهم منه طرائف غنائه سائرَ يومهم وليلتهم.

أخبرني الحسين قال: قال حماد: قرأتُ على أبي عن المدائنيّ قال: أحَجّ خالدُ بن عبد الله ابنَه محمداً وأصحبه رِزاماً[2] مولاه وأعطاه مالاً، وقال: إذا دخلتَ المدينةَ فاصرفه فيما أحبَبْتَ. فلما صِرْنا بالمدينة سأل محمد عن جاريةٍ حاذقةٍ، فقيل: عند محمد بن عِمْران التَّيْمي القاضي. فصلّينا الظهرَ في المسجد ثم مِلنا إليه فاستأذنّا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْد[3] ونعلاه في آخر اللِّبْد؛ فسلّمنا عليه فردّ؛ ونَسَب[4] محمداً فانتسب له، فقال: خيراً ثم قال: هل من حاجة؟ فلَجْلَج. فقال: كأنك ذكرتَ فلانة! يا جاريةُ اخْرُجِي؛

---

(١) الوَجْء: اللكز.
(٢) رزام: اسم شخص.
(٣) اللِّبد: البساط من صوف أو شعر.
(٤) نَسَب: سأله عن نسبه.

فخرجتْ فإذا أحسنُ الناس، ثم تغنّت فإذا أحذق الناس؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويجيء، إلى أن غنّت قوله:

عَـوجِـي عَـلَـيَّ فَـسَـلِّـمِـي جَـبْـرُ

فلما بلغتْ

حـتَّـى يُـفـرِّقَ بَـيـنَـنَـا الـنَّـفْـرُ

وثب الشيخُ إلى نعله فعلَّقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أُذنه والنّعل فيها وجعل يقول: أهدوني[١] أنا بَدَنَةٌ، أَهدوني أنا بَدَنَةٌ. ثم أقبل عليهم فقال: كم قيل لكم إنها تساوي؟ قالوا: ستمائة دينار. قال: هي وحقِّ القبر خيرٌ من ستة آلاف دينار، ووالله لا يملِكها عليّ أحدٌ أبداً، فانصرِفوا إذا شئتم.

أخبرنا وَسْواسةُ بن الموصليّ ـ وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ ـ قال: حدّثني حماد بن إسحاق قال: وجدتُ في كتب أبي عن عثمان بن حَفْص الثَّقفيّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال: حدّثني سُلَيْم الحساب عن داود المكّي قال: كنّا في حَلْقة ابن جُرَيْج وهو يحدّثنا وعنده ابنُ المبارَك وجماعةٌ من العراقيّين، إذ مرّ به ابن تَيزَن ـ قال حمّاد: ويقال ابن بيرن ـ وقد ائتزر بمئْزرَة على صدره، وهي إزْرَةُ الشُّطّار[٢] عندنا. فدعاه ابن جُرَيج؛ فقال له: إني مستعجِل، وقد وعدتُ أصحاباً لي فلا أقدِر أن أَحتبس عنهم. فأقْسم عليه حتى أتاه، فجلس وقال له: ما تريد؟ قال: أُحِبّ أن تُسمِعني. قال: أنا أجيئك إلى المنزل، فلِمَ تُجْلِسني مع هؤلاء الثقلاء!. قال: أسألك أن تفعل؛ قال: امرأتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات. قال: ويحك! ما أعجلكَ باليمين؟! قال: أكره أن أحتبس عن أصحابي. فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال: اعْقِلوا رحمكم الله. ثم قال له: غنِّني الصوتَ الذي أخبرتني أن ابنَ سريج غنّاه في اليوم الثالث من أيام مِنىً على جمرة العَقَبة[٣] فقطع الطريق على الذاهب والجائي حتى تكسّرت المحاملُ. فغنّاه:

(١) الإهداء: سوق الحيوان إبلاً أو بقراً أو شاة إلى البيت الحرام هَدْياً.

(٢) الشُّطّار: أهل البطالة والفساد، وأُطلق الاسم عليهم أيام الدولة العباسية.

(٣) العَقَبَة: بويع فيها [illegible] صلى الله عليه وآله وسلم وهي عقبة بين منى ومكة بينها وبين مكة نحو ميلين ومنها ترمى جمرة العقبة (معجم البلدان ٤/ ١٣٤).

عُـوجِـي عَـلَـيَّ فَـسَـلِّـمِـي جَـبْـرُ

فقال ابن جُرَيْج: أحسنَت والله! ـ ثلاثَ مرّات ـ ويحك أعِدْه. قال: أمِن الثلاثة؟ فإني قد حلَفتُ. قال: أعِدْه فأعاده؛ فقال: أحسنتَ! أعِده من الثلاثة؛ فأعاده وقام فمضى. فقال ابن جريج لأصحابه: لعلكم أنكرتم ما فعلتُ! قالوا: إنا لنُنْكِره بالعراق. قال: فما تقولون في الرَّجَر؟ (يعني الحُدَاء) قالوا: لا بأس به. قال: فما الفرق بينهما!.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المَديني قال: ثلاثةٌ من المُغَنين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقاً: ابن تَيْزن، وابن عائشة، وابن أبي الكَنّات.

صوت

من المائة المختارة

سَـقـانِـي فَـروَّانِـي كُـمَـيْـتـاً مُـدامَـةً عَـلَـى ظَـمَـأٍ مـنِّـي سَلامُ بـنُ مِـشْـكَـمِ
تَـخَـيَّـرْتُـهُ أهْـلَ الـمَـدِيـنـةِ وَاحِـداً سِـواهُـمْ فَـلَـمْ أُغْـبَـنْ وَلَـمْ أتَـنَـدَّمِ

عروضُه من الطويل والشعر لأبي سفيان بن حرب. والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفي مولى الأشاعثة، خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى.

ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

[٥٧ قبل الهجرة ـ ٣١ هـ/٥٦٧ ـ ٦٥٢ م]

[اسمه ونسبه وكنيته]

هو صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد منَاف. وأمُّ حَرب بن أميّة بنتُ أبي هَمْهَمةَ بن عبد العُزّى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كنانة. وأُمّ أبي سفيان صفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة، وهي عمّة ميمونة أم المؤمنين وأمّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أُمّ بني العباس بن عبد المطلب. وقد مضى ذكرُ أكثر أخبارِ ولد أميّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنابس[١] منهم وجُمَلٌ من أخبارهم في أوّل هذا الكتاب.

وكان حربُ بن أميّة قائدَ بني أميّة ومن مالأهم في يوم عُكاظ. ويقال: إن سبب وفاته أن الجنّ قتلته وقتلت مِرْداسَ بن أبي عامر السُّلَميّ لإحراقهما شجرَ القُرَيّة[٢] وازدراعِهما[٣] إيّاها. وهذا شيءٌ قد ذكرتْه العربُ في أشعارها وتواترت الرّوايات بذكره فذكرتُه، والله أعلم.

أخبرني الطّوسيّ والحرَميّ بن أبي العلاء قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال:

---

(١) الأعياص والعنابس: أولاد أمية وكان كل واحد يكنى باسم صاحبه فالأعياص: العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويص والعنابس: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو. وشبهوا بالعنابس وهي الأسود لصبرهم في القتال.

(٢) القُريّة: تصغير القرية: وهو اسم لأكثر من موضع، ولعله يريد القُرية التابعة لنواحي المدينة (معجم البلدان ٤/ ٣٤١).

(٣) ازدرع: زرع.

حدّثني عمّي مُصْعَب، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيْد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ، أنْ حربَ بن أميّة لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوتُه مرّ بالقُرَيّة، وهي إذا ذاك غَيْضةُ شجرٍ ملتفّ لا يُرام. فقال له مِرداسُ بن أبي عامر: أمَا ترى هذا الموضع؟ قال بلى. قال: نِعْم المُزْدَرَعُ هو، فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرّق هذه الغَيْضةَ ثم نَزْدَرِعه بعد ذلك؟ قال نعم. فأضرما النّار في الغَيْضة. فلما استطارت وعلا لَهَبُها سُمِع من الغَيْضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بيضٌ تطير حتى قَطَعَتْها وخرجت منها. وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك: [البسيط]

إنِّي انْتَخَبْتُ لَهَا حَرْباً وإخْوتَهُ ... إنِّي بِحَبْلٍ وَثيقِ العَقْدِ دَسّاسُ
إنِّي أُقَوِّمُ قَبْلَ الأَمْرِ حُجَّتَهُ ... كَيْمَا يُقَالَ وَلِيُّ الأَمْرِ مِرداسُ

قال: فسمِعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغَيْضَةُ: [مجزوء البسيط]

وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارِسَا ... مُطَاعِناً مُخَالِسَا
وَيْلٌ لِعَمْرٍو فَارِسا ... إذْ لَبِسُوا القَوَانِسا[1]
لَنَقْتُلَنَّ بِقَتْلِهِ ... جَحَاجِحاً عَنَابِسَا

ولم يلبث حربُ بن أميّة ومرداسُ بن أبي عامر أن ماتا. فأمّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيّة. ثم ادّعاها بعد ذلك كليبُ بن أبي عَهْمةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ. فقال في ذلك عبّاس بن مرداس: [الكامل]

أَكُلَيبُ مَا لَكَ كُلَّ يَوْم ظَالِماً ... وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهُهُ مَلْعونُ
قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّداً ... وإخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيونُ

ـ المعيونُ: الذي أصابته العين، وقيل: المعيون: الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له ـ

فَإذَا رَجَعْتَ إلَى نِسائِكَ فَادَّهِنْ ... إنَّ المُسَالِمَ رأسُهُ مَدْهونُ
وَافْعَلْ بِقَومِكَ مَا أرادَ بِوائلٍ ... يَومَ الغَدِيرِ سَمِيُّكَ المَطْعونُ[2]
وإخَالُ أَنَّكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا ... فِي صَفْحَتَيْكَ سِنانُهَا المَسْنونُ

---

(١) القوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة، والبيضة: من آلات الحرب قديماً.

(٢) يوم الغدير: يشير إلى تحكم كليب في موارد الماء.

إنَّ الـقُـرَيَّـةَ قَـدْ تَـبَـيَّـنَ أَمـرُهَـا ... إنْ كَـانَ يَـنْـفَـعُ عِـنْـدَكَ الـتَّـبْـيِـيـنُ
حَيْثُ انْطَلَقْتَ تَخُطُّهَا لِي ظَالِماً ... وَأَبُـو يَـزِيـدَ بِـجَـوِّهـا مَـدفـونُ

أبو يزيد: مرداس بن أبي عامر.

[منزلته في قريش]

وكان أبو سفيان سيِّداً من سادات قريش في الجاهليّة ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول اللهﷺ في حياته وكَهْفاً للمنافقين في أيامه، وأسلم يوم الفَتْح. وله في إسلامه أخبارٌ نذكرها هنا. وكان تاجراً يجهِّز التجار بماله وأموالِ قريش إلى أرض العجم. وشهِد مع رسول اللهﷺ مُشَاهَدَةَ الفتح، وفُقِئَتْ عينُه يومَ الطائف[١]، فلم يزل أعْورَ إلى يوم اليَرْموك[٢]، ففُقِئَت عينُه الأُخرى يومئذٍ فَعمِي.

أخبرني الطُّوسيّ والحَرَميّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكيّ عن أبي الهيثم عمّن أخبره، أنّه سمِع أبا سفيان يمازح رسول اللهﷺ في بيت بنته أُمّ حبيبة ويقول: والله إنْ هو إلا أنْ تركتُكَ فتركَتْكَ العربُ فما انتطحت جماءُ[٣] ولا ذاتُ قَرْنٍ، ورسول اللهﷺ يضحك ويقول: **«أنت تقول ذاك يا أبا حَنْظَلة»!**

قال الزُّبير وحدّثني عمّي مصعب: أنّ رسول اللهﷺ تزوّج أُمّ حَبِيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذٍ مُشركٌ يحارب رسول اللهﷺ، وقيل له: إن محمداً قد نكح ابنتَك؛ فقال: ذلك الفحلُ لا يُقْدَعُ[٤] أنفُه. واسمُ أمّ حبيبة رملة، وقيل: هند، والصحيح رملةُ.

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز قال: حدّثنا المدائنيّ عن مَسْلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمٰن بن جَوْشَن قال:

---

(١) يوم الطائف: رماه سعيد الثقفي فأصاب عينه.
(٢) اليرموك: وادٍ بناحية الشام في طرف الغور كانت به حرب بين المسلمين والروم (معجم البلدان ٥/ ٤٣٤).
(٣) الجماء: الشاة التي لا قرن لها.
(٤) لا يُقدع أنفه: أي لا يضرب لأنه كريم.

أذِن رسولُ اللهﷺ يوماً للناس، فأبْطأ بإذن أبي سفيان. فلما دخل قال: يارسولَ الله، ما أذِنْتَ لي حتى كِدْتَ تأذَنُ للحجارة. فقال له: **«يا أبا سفيان كلُّ الصيد في جوف الفَرَا»**[١].

حدّثنا محمد بن العباس قال: حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجاني قال: حدّثنا عطاءُ بن مُصْعَب قال: حدّثني سفيان بن عُيَيْنة عن جعفر بن يحيى البرمكيّ قال:

أذِن رسول اللهﷺ للناس، فكان آخرِ من دخل عليه أبا سفيان بن حرب. فقال: يا رسول الله، لقد أذِنْتَ للناس قبلي حتى ظننتُ أن حجارةَ الخَنْدَمةِ[٢] لَيؤذن لها قبلي. فقال رسول اللهﷺ: **«أما والله إنّك والناس لكما قال الأوّلُ: كلُّ الصيدِ في بطن الفَرَا»**. أيّ كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدك مثل ما لهم كلّهم.

حدّثني عمر بنُ إسماعيل بن أبي غَيْلان الثَّقَفيّ قال: حدّثنا داود بن عمرو الضَّبيّ قال: حدّثنا المثنّى بن زُرْعَة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال: حدّثني الزُّهْري عن عبد الله بن عبد الله عن عُتْبة عن ابن عبّاس قال: حدّثني أبو سفيان بن حرب قال: كُنّا قوماً تِجَاراً، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول اللهﷺ قد حصَرتْنا حتى نَهكتْ أموالنَا. فلما كانت الهدنةُ[٣] بيننا وبين رسول اللهﷺ، خرجتُ في نفر من قريش إلى الشأم، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزَّة[٤]، فقدِمناها حين ظَهَرَ هِرَقْلُ على من كان بأرضه من الفرس، فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبَه الأعظمَ وكانوا قد استلبوه إيّاه. فلما بلَغه ذلك منهم وبلغَه أن صليبَه قد استُنْقِذ منهم، وكانت حمص منزلَه، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين ردّ عليه ما ردّ ليصلّي في بيت المقدس تُبْسَط له البسُطُ وتُلْقَى عليها الرّياحين. فلما انتهى إلى إيلياء[٥] فقضى فيها صلاتَه وكان معه بطارقتُه وأشراف الروم، أصبح ذاتَ غُدْوة مهموماً يقلِّب طرفَه إلى السماء. فقال له بطارقتُه: والله لكأنّك أصبحتَ الغداةَ

(١) هذا المثل يُضرب لمن يفضُلُ أقرانه. وأصله أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظبياً والثالث حماراً (وهو الفرا) ولما تطاولا على الثالث قال: «كل الصيد في جوف الفرا» أي هذا الذي رزقت يشتمل على ما عندكما.

(٢) خندمة: جبل بمكة، منه حجارة بنيانها (معجم البلدان ٢/ ٣٩٢).

(٣) الهدنة أي صلح الحديبية.

(٤) غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان (معجم البلدان ٤/ ٢٠٢).

(٥) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت المقدس وقيل غير ذلك.

مهموماً. فقال: أجل! رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الختان ظاهر. فقالوا: أيّها الملك، ما نعلَم أمّةً تختتن إلا اليهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث إلى كلّ من لك عليه سلطانٌ في بلادك فمُرْهُ فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدِك منهم من يَهُود واستَرِح من هذا الهمّ. فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبِّرونه إذ أتاه رسولُ صاحِبِ بُصْرَى[1] برجلٍ من العرب يقوده ـ وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم ـ فقال: أيها الملك، إن هذا رجلٌ من العرب من أهل الشَّاء والإبل يحدِّث عن أمر حدَث فاسأله. فلما انتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى، قال هرقلُ لمن جاء به: سَلْه عن هذا الحديث الذي كان ببلده؛ فسأله، فقال: خرج بين أظْهُرنا رجلٌ يزعُم أنه نبيٌّ، وقد اتّبعه ناسٌ فصدّقوه وخالفَه آخَرون، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ في مواطنَ كثيرةٍ، وتركتُهم على ذلك. فلما أخبره الخبرَ قال: جرِّدوه فإذا هو مختونٌ؛ فقال: هذا والله النبيّ الذي رأيت لا ما تقولون، أعطوه ثيابه ويَنْطلق. ثم دعا صاحبَ شُرْطته فقال له: اقلب الشأمَ ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل. فإنّا لَبِغَزّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ قلنا نعم. قال: انطلِقوا إلى الملك، فانطلقوا بنا. فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجلِ الذي بالحجاز؟ قلنا نعم. قال: فأيُّكم أمَسُّ به رَحِماً؛ قال: قلت أنا ـ قال أبو سفيان: وأيمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف[2] (يعني هِرَقل) ـ ثم قال: أَدْنِه، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي، وقال: إني سأسأله، فإن كذَب فرُدّوا عليه.

ـ قال: فوالله لقد علِمتُ أن لو كذَبتُ ما ردّوا عليّ، ولكنّي كنتُ أمرأ سيّداً أتبرَّم عن الكذب؛ وعرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن كذَبْتُهُ أن يَحفظوه عليّ ثم يحدِّثوا به عني، فلم أكْذبه ـ قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يَدّعي ما يَدّعي. فجعلتُ أُزَهِّد له شأنَه وأُصغِّر له أمورَه، وأقول له: أيها الملك، ما يهمّك من شأنه! إنّ أمره دون ما بَلغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّي. ثم قال: أنْبِئْني فيما أسألُك عنه عن شأنه. قال: قلت: سَلْ عمّا بدا لك. قال: كيف نسبُه فيكم؟ قلت: محضٌ، هو أوْسطُنا[3] نسباً. قال: أخبرني هل كان أحدٌ في أهل بيته يقول

(١) بصرى: مدينة بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران (معجم البلدان ١/٤٤١).
(٢) الأغلف: الذي لم يَخْتَن.
(٣) أوسطنا نسباً: أي أفضلنا نسباً.

ما يقول فهو يتشبّه به؟ قال: قلت لا. قال: هل كان له فيكم مُلك فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث لتَردّوا عليه مُلكَه؟ قال: قلت لا. قال: أخبرني عن أتباعه منكم من هُمْ؟ قال: قلت: الضعفاءُ والمساكينُ والأحداثُ من الغِلْمان والنساء، فأمّا ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يَتْبعه منهم أحدٌ. قال: فأخبرني عمّن يتبعه أيُحبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه ويفارقه؟ قال: قلت: قلّما يتبعه أحدٌ فيفارقه. قال: فأخبرني كيف الحربُ بينكم وبينه؟ قال: قلت: سجالٌ يُدال علينا ونُدَال عليه. قال: فأخبرني هل يَغْدِر؟ فلم أجد شيئاً سألني عنه أغتمِز فيه غيرَها. قال: قلت: لا، ونحن منه في مدّة[1] ولا نأمَن غدرَه. قال: فوالله ما التفت إليها منّي. ثم كرّر عليّ الحديث فقال: سألتُك عن نسبه فيكم، فزعمتَ أنه محضٌ من أوسطكم نسباً؛ فكذلك يأخذ الله النبيَّ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً. وسألتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو يتشبّه به، فزَعمتَ أن لا. وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكَه، فزعمتَ أنْ لا. وسألتُك عن أتباعه، فزعمتَ أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنّساء، وكذلك أتباعُ الأنبياء في كل زمان. وسألتُك عمّن يتبعه أيُحبّه ويَلزمه أم يَقْلِيه ويفارقه، فزعمتَ أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرجُ منه. وسألتُك عن الحرب بينكم وبينه فزعمتَ أنها سِجالٌ تُدَالون عليه ويُدال عليكم، وكذلك حربُ الأنبياء، ولهم تكون العاقِبةُ. وسألتُك هل يَغْدِر، فزعمتَ أن لا. فلئن كنتَ صَدَقْتَني عنه فَلَيغْلِبَنّ عليّ ما تحت قَدَميّ هاتين، ولَوددْتُ أنّي عنده فأغسِلُ قدميه! انطلِقْ لشأنك. فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يَدَيّ على الأُخرى وأقول: يا لعبادِ الله! لقد أمِر[2] أمْرُ ابن أبي كَبْشة! أصبحتْ ملوكُ بني الأصفر[3] يَهابُونه في ملكهم وسلطانِهم.

[كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم]

قال ابن إسحاق: فقدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ مع دِحْيَةَ بن خليفة الكلبيّ، فيه:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. من محمد رسول الله ﷺ إلى هِرَقْل عظيم الروم.

---

(١) في مدة: يعني بها مدة صلح الحديبية، وقيل: يعني بالمدة انقطاعه ﷺ وغيبته عن أبي سفيان.

(٢) أمر أمرُه: عَظُم.

(٣) ملوك بني الأصفر: ملوك الروم.

السلامُ على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فأَسْلِم تَسْلَم يُؤْتِكَ الله أجرَك مرّتين، وإن تتولّ فإن إثمَ الأكابر عليك»[١].

قال ابن شهاب: فأخبرني أُسْقُفُ النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول اللهﷺ وأمرِ هرقل وعَقَله، قال: فلمّا قدِم عليه كتابُ رسول اللهﷺ من قِبَل دِحْيَة بن خليفة، أخَذه هرقلُ فجعله بين فخذيه وخاصِرته، ثم كتب إلى رجل برُومِية[٢] كان يقرأ العبرانيّة ما تقرأونه، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء به منه. فكتب إليه صاحبُ رُومِيَة: إنه النبيّ الذي كنّا ننتظره لا شكّ فيه، فاتّبِعْه وصدِّقه. قال: فأمر هرقل ببطارقة الرّوم فجُمِعُوا له في دَسْكَرة[٣] ملكه، وأمر بها فأُغلِقت عليهم أبوابُها، ثم اطّلع عليهم من عِلّية وخافهم على نفسه فقال: يا معشر الرّوم، قد جمعتُكم لخبر، أتاني كتابُ هذا الرجل يدعو إلى دينه، فوالله إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره ونجده في كتابنا؛ فهلمّ فلنبايعه ولنصدِّقه فتسلم لنا دنيانا وآخِرتُنا. قال: فنخَرَتِ[٤] الرومُ نَخْرةَ رجلٍ واحد وابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرة ليخرجوا فوجدوها قد أُغْلِقَتْ دونهم. فقال: كُرّوهم عليَّ وخافهم على نفسه؛ فكَرُّوهم عليه. فقال: يا معشر الرّوم، إنما قلتُ لكم المقالةَ التي قلتُ لأنظُرَ كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدث؛ فقد رأيتُ منكم الذي أُسَرّ به؛ فَخَرُّوا سُجَّداً. وأمر بأبواب الدَّسْكرة ففتحت لهم فانطلقوا.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن زكريا الغَلاَبيّ قال: حدّثني أبو بكر الهُذَليّ عن عِكْرمة عن ابن عباس قال: قال لي العبّاس:

خرجتُ في تِجارة إلى اليمن في رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب، فقدِمتُ اليمن. فكنتُ أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفر، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك. فقال لي في يومي الذي كنتُ أصنع فيه: هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وتُرسل إلى غدائك؟ فقلتُ: نعم. فانصرفتُ أنا والنَّفَرُ إلى بيته وأرسلت إلى الغداء. فلما تغدّى القوم قاموا واحتبسني فقال لي: هل

---

(١) الأكابر: علية القوم.

(٢) رومية هي روما اليوم.

(٣) الدسكرة: بناء كالقصر حوله منازل الحاشية.

(٤) نخر: مد الصوت من خياشيمه.

علمتَ يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعمُ أنه رسول الله؟ قلت: وأيُّ بنِي أخي؟ قال أبو سفيان: إيّاي تكتُم! وأيُّ بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجلٌ واحد! قلت: وأيُّهم هو على ذلك؟ قال: محمد بن عبد الله. قلت: ما فَعل! قال: بلى قد فعل. ثم أخرج إليّ كتاباً من ابنه حَنْظَلة بن أبي سفيان: إني أُخبرك أن محمداً قام بالأبْطَح[1] غُدوةً فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله. قال: قلت: يا أبا حنظلة، لعلّه صادق. قال: مهلاً يا أبا الفضل، فوالله ما أُحِبّ أن تقولَ مثلَ هذا، وإني لأخشى أن تكون على بَصَر من هذا الأمر ـ وقال الحسن بن عليّ في روايته: على بصيرة من هذا الحديث ـ ثم قال: يا بَني عبد المطّلب، إنه والله ما بَرِحَتْ قريشٌ تزعُم أن لكم يُمْنةً وشؤمة كلّ واحدة منهما عامّةٌ، فنشدتُك الله يا أبا الفضل هل سمِعتَ ذلك؟ قلت: نعم. قال: فهذه والله إذاً شُؤمتُكم. قلت: فلعلّها يُمنتنا. فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ حتى قدِم عبد الله بن حُذافة السَّهْمِيّ بالخبر وهو مؤمِنٌ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها. وكان أبو سفيان يجلس إلى حَبْرٍ[2] من أحبار اليمن؛ فقال له اليهوديّ: ما هذا الخبر الذي بلغني؟ قال: هو ما سمعتَ. قال: أين فيكم عَمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيان: صَدَقوا وأنا عمّه. قال اليهوديّ: أأخو أبيه؟ قال: نعم. قال: حدّثني عنه. قال: لا تسألْني، فما كنتُ أحسب أن يَدّعي هذا الأمر أبداً، وما أحِبّ أن أعيبَه، وغيرُه خيرٌ منه. قال اليهوديّ: فليس به أذىً، ولا بأس على يهودَ وتوراة موسى منه. قال العباس: فتأدّى إليّ الخبرُ فَحَمِيتُ، وخرجتُ حتى أجلسَ إلى ذلك المجلس من غَدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ. فقلت للحبر: بلَغني أنك سألتَ ابن عمّي هذا عن رجل منّا يزعمُ أنه رسول الله، فأخبركَ أنه عمُّه، وليس بعمّه ولكنّه ابن عمّه، وأنا عمّه أخو أبيه. فقال: أأخو أبيه؟ قلتُ: أخو أبيه. فأقبل على أبي سفيان فقال: أصدَق؟ قال: نعم صَدَق. قال فقلت: سلْني عنه، فإن كذَبتُ فليردد علي. فأقبل عليّ فقال: أنشُدُك الله، هل فشَتْ لابن أخيك صَبْوة أو سَفهة[3]؟ قال: قلت: لا وإله عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان، وإن كان اسمُه عند قريش الأمينَ. قال: فهل كتب بيده؟ قال عبّاس: فظننتُ أنه خيرٌ له أن يكتب بيده، فأردتُ أن أقولها، ثم ذكرتُ مكان أبي

---

(١) الأبطح: كل مسيل. وأبطح مكة مسيل واديها (معجم البلدان ١/ ٧٤).

(٢) الحَبْر: العالم، رتبة دينية.

(٣) الصَبْوة: والسَفهة: جهلة الفتوة.

سفيان وأنّه مُكَذِّبي ورادٌّ عليّ، فقلت: لا يكتب. فذهب الحبرُ وترك رداءه وجعل يصيح: ذُبِحتْ يهود! قُتِلت يهود!

قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان: يا أبا الفضل، إنّ اليهوديّ لفَزِعٌ من ابن أخيك. قال: قلت: قد رأيت ما رأيت، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمِن به، فإن كان حقّاً كنتَ قد سبقت، وإن كان باطلاً فمعك غيرُك من أكفائك؟ قال: لا والله ما أُومن به حتى أرى الخيل تطلعُ من كداء (وهو جبل بمكة). قال قلت: ما تقول؟! قال: كلمةٌ والله جاءت على فمي ما ألقيتُ لها بالاً، إلا أني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلعُ من كَدَاء. قال العباس: فلما فتح رسول اللهﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل قد طَلَعت من كَداء، قلتُ: يا أبا سفيان، أتذكر الكلمة؟ قال لي: والله إني لذاكرها، فالحمد لله الذي هداني للإسلام.

حدّثنا محمد بن جرير الطَّبريّ قال: حدّثنا البَغَويُّ قال: حدّثنا الغَلاَبيّ أبو كُرَيْب محمد بن العلاء قال: حدّثنا يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق قال: حدّثني الحسين بن عبيد الله بن العبّاس عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال:

لمّا نزل رسول اللهﷺ مَرّ الظَّهْرانِ[١] (يعني في غَزاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطلب وقد خرج رسول اللهﷺ من المدينةِ: يا صَبَاحَ[٢] قريش! والله لئن بَغَتَها رسولُ اللهﷺ إنها لهلاكُ قريش آخر الدهر. فجلس على بغلة رسول اللهﷺ البيضاء وقال: أَخْرُج إلى الأَراك[٣]، لعلي أرى حطَّاباً أو صاحبَ لَبَن أو داخلاً يدخل مكةَ فيخبرهم بمكان رسول اللهﷺ؛ فيَسْتأمِنونه. فوالله إني لأطوفُ في الأَراك ألتمس ما خرجتُ له إذ سمِعتُ صوتَ أبي سفيان وحَكيم بن حِزام وبُدَيْل بن وَرْقاء يتجسّسون الخبرَ عن رسول اللهﷺ؛ فسمعت أبا سفيان وهو يقول: والله ما رأيتُ كالليلة قطُّ نِيراناً. فقال بُدَيْل بن ورقاء: هذه والله نيرانُ خُزَاعة حَمَشَتها[٤] الحربُ. فقال أبو سفيان: خزاعةُ ألأمُ من ذلك وأذَلّ. فعرَفتُ صوتَه فقلت: أبا حنظلَة! فقال: أبا الفضل! قلت نعم؛ فقال: لبّيْك، فِداؤك أبي وأمي! فما وراءك؟ فقلت هذا رسولُ

(١) الظهران: وادٍ قرب مكة وعنده قرية مر تنسب إليه فيقال: مر الظهران.
(٢) يا صباح، ويا صباحاه: مما يستعمل عند الإنذار بالغارة.
(٣) الأراك: وادٍ قرب مكة (معجم البلدان ١/ ١٣٥).
(٤) حمش الشيء: جمعه وفلاناً هيّجه.

الله ﷺ قد دلَف[١] إليكم بما لا قِبَلَ لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال: فما تأمرني؟ فقلت: تركب عَجُزَ هذه البغلة فأستأمِنُ لك رسول الله ﷺ، والله لئن ظفِر بك ليَضْرِبنّ عنُقك. فَردفَني فخرجتُ به أَرْكُض بغلَة رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ. فكلما مررتُ بنار من نيران المسلمين فنظَروا إليّ قالوا: عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله ﷺ؛ حتى مَرَرْنا بنار عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ فقال: أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهدٍ، ثم اشتدّ نحو النبيّ ﷺ، وركَضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان ـ قال العباس: ـ حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبَقتُ عمر بما تَسْبِق به الدَّابةُ البطيئةُ الرجل البطيءَ فدخل عمرُ على رسول الله ﷺ: فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرِبْ عنقَه. قلت: يا رسول الله، إني قد أجَرْتُه. ثم جلستُ إلى رسول الله وأخذتُ برأسه وقلت: والله لا يُناجيه اليومَ أحدٌ دوني. فلما أكثر فيه عمرُ قلت: مَهْلا يا عمر! فوالله ما تصنع هذا إلاّ لأنّه رجل من عبد مناف، ولو كان من بني عدِيّ بن كعب ما قلت هذا! قال: مهلاً يا عبّاسُ! فوالله لإسلامُك يوم أسلمت كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم؛ وذلك لأني أعلم أن إسلامك أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ: «إذهب فقد أمَّنّاه حتى تَغْدوَ به عليّ الغَداة» فرجع به إلى منزله فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ. فلما رآه قال: **«ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلا الله»! فقال**: بأبي أنتَ وأمي! ما أوْصَلَك وأحلَمَك وأكْرَمك! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّي شيئاً. فقال: **«ويحك تشهّد بشهادة الحقّ قبل والله [أن][٢] تُضْرَب عنقُك»**. قال: فتشهّد. فقال رسول الله ﷺ للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان: «انصرف يا عبّاس فاحْتَبِسْه عند خَطْم الجبل بمَضيق الوادي حتى يمرّ عليه جنود الله». فقلت: يا رسول الله، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر، فاجعلْ له شيئاً يكون في قومه. فقال: **«نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ ومن دخل المسجد فهو آمنٌ ومن أغلَق عليه بابَه فهو آمنٌ»**. فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطْم الجبل بمَضيق الوادي، فمرّت عليه القبائل، فجعل يقول: مَنْ هؤلاء يا عبّاس؟ فأقول: سُلَيْم، فيقول: ما لي

(١) دَلَف: تقدم.

(٢) زيادة ليست في الأصل يقتضيها سياق الكلام.

ولسُلَيْم! ثم تمرّ به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسْلَمْ، فيقول: ما لي ولأسْلَم! وتمرّ به جُهَيْنة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: جهينة، فيقول: ما لي ولجهينة! حتى مرّ رسول الله ﷺ في الخَضْراء، كَتِيبة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرى منهم إلا الحَدَقُ، فقال: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلتُ: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك! إنها النبوّة؛ قال: نعم إذاً. فقلتُ: الْحَق الآن بقومك فحذِّرْهم. فخرج سريعاً حتى أتى مكةَ فصرَخ في المسجد: يا معشر قريش، هذا محمدٌ قد جاءكم بما لا قِبلَ لكم به. قالوا: فَمَهْ! قال: مَنْ دخل داري فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تُغْنِي عنّا دارُك! قال: ومن دخل المسجدَ فهو آمن ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن.

حدّثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا: حدّثنا محمد بن حُمَيد قال: حدّثنا سَلَمةُ بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد الله بن الزبير قال: لمّا كان يومُ اليَرْموك خلّفني أبي، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهم، فكانت الرّومُ إذا هَزَمَتِ المسلمين قال أبو سفيان: إيه بَني الأصْفَر، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان:

وَبَنُو الأَصْفَرِ الكِرامُ مُلوكُ الرّو ... مِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكورُ

فلما فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبي فقال: قاتله الله! يأبَى إلاّ نِفاقاً؛ أوَلَسْنا خيراً له من بني الأصفر! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول: حدِّثْهم، فأُحدِّثهم فيَعجبون من نفاقه.

حدّثني أحمد بن الجَعْد قال: حدّثني ابن حميد قال: حدّثنا جرير عن عمرو ابن ثابت عن الحسن قال: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفّ بصرُه، فقال: هل علينا من عَيْن؟ فقال له عثمانُ: لا. فقال: يا عثمان، إن الأمرَ أمرُ عالميّة، والمُلْكَ ملكُ جاهليّة، فاجعل أوتاد الأرض بَنِي أُميّة.

حدّثني محمد بن حَيّان الباهليّ قال: حدّثنا عمر بن عليّ الفَلاّس قال: حدّثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مِغْوَل عن أشعث بن أبي الشَّعْثاء عن مَيْسَرة الهَمْدانيّ عن أبي الأَبْجَر الأكبر قال: جاء أبو سفيان إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلّها! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلاً ورَجْلاً. فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أبا

سفيان، طالما عادَيْتَ الله ورسولَهﷺ والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئاً، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزِيديّ قال: حدّثنا الرِّيَاشيّ قال: أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّا ولي أبو بكر قال: [الطويل]

وَأَضْحَتْ قُرَيشٌ بَعْدَ عَزٍّ وَمَنْعَةٍ ... خُضُوعاً لِتَيْمٍ لاَ بِضَرْبِ القَوَاضِبِ[1]
فَيَا لَهْفَ نَفْسِي لِلَّذِي ظَفِرَتْ بِهِ ... وَمَا زَالَ مِنْهَا فَائِزاً بِالرَّغَائِبِ

وحدّثني أحمد بن الجعد قال: حدّثني محمد بن حُميد قال: حدّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال: لمّا ولي عثمانُ الخلافَة، دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أُميّة، إن الخلافَة صارت في تَيْم وعَدِيّ حتى طمِعَتْ فيها، وقد صارت إليكم فَتَلقّفوها بينكم تَلَقُّفَ الكُرَةِ، فوالله ما من جنّة ولا نار ـ هذا أو نحوه ـ فصاح به عثمان: قُمْ عنّي فعل الله بك وفعل. ولأبي سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكرُها، وفيما ذكرتُ منها مقنع.

والأبياتُ التي فيها الغِناء يقولها في سَلاَم بن مِشْكَم اليهوديّ ويُكنى أبا غُنْم، وكان نزل عليه في غزوة السَّويق، فقَرَاه وأحسن ضيافَته. فقال أبو سفيان فيه:

[الطويل]

سَقَانِي فَرَوَّانِي كُمَيْتاً مُدامَةً ... عَلَى ظَمَأٍ مِنِّي سَلاَمُ بْنُ مِشْكَمِ
تَخَيَّرتُهُ أَهْلَ المدينَة واحِداً ... سِواهُمُ فَلَمْ أُغْبَنْ وَلَمْ أَتَنَدَّمِ
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيلُ قُلْتُ ولمْ أكنْ ... لأُفْرِحَهُ أَبْشِرْ بِعُرْفٍ ومَغْنَمِ
وإنَّ أبا غُنْمٍ يَجُودُ ودارُهُ ... بِيَثْرِبَ مَأْوَى كُلِّ أبْيَض خِضْرِمِ[2]

ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق ونزول أبي سفيان على سَلاَم بن مِشْكم

كانت هذه الغَزَاةُ بعد وقعة بَدْر[3]. وذلك أن أبا سفيان نَذَر ألاّ يَمَسَّ رأسه

(١) القواضب: السيوف المسنونة.
(٢) الخِضرم: الجواد الكثير العطية.
(٣) بدر: موضع غزوة بدر المشهورة وفيها نصر الله سبحانه الإسلام وفرق بين الحق والباطل (معجم البلدان ١/ ٣٥٧).

ماء من جَنابة[١] ولا يشربَ خمراً حتى يغزو رسولَ اللهﷺ. فخرج في عِدّة من قومه ولم يصنع شيئاً؛ فعيّرته قريشٌ بذلك وقالوا: إنما خرجتم تشربون السَّويق[٢]؛ فسُمّيت غزوةَ السَّوِيق.

حدّثنا محمد بن جرير، قرأتُه عليه، قال: حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال: حدّثنا سَلَمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك ـ وكان من أعلم الأنصار ـ قال:

كان أبو سفيان حين رجَع إلى مكة ورَجع قبل قريش من بَدْر، نذر ألاّ يمسَّ ماءً من جنابة حتى يغزو محمداًﷺ. فخرج في مائتي راكب من قريش ليُبِرّ يمينه، فسلَك النَّجديّة حتى نزل بصدر قناةٍ إلى جبل يقال له تيت[٣] (من المدينة على بريد أو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أتى بَنِي النَّضير تحت الليل، فأتى حُيَيّ بن أخْطَب بيَثْرب فدقّ عليه بابَه فأبى أن يفتح له وخافه؛ وانصرف إلى سَلام بن مِشْكم ـ وكان سيّدَ بني النَّضير في زمانه ذلك وصاحبَ كَنْزهم ـ فاستأذن عليه فأذِن له، فقَراه وسقَاه ونظر له خبرَ الناس. ثم خرج في عقب ليلته حتى جاء أصحابه؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتَوْا ناحيةً منها يقال لها العُرَيْض[٤]، فحرّقوا في أصْوارٍ[٥] من نخل لها، أتوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين. فنذِر[٦]، بهم الناسُ؛ فخرج رسول اللهﷺ في طلبهم حتى بلغ قَرْقَرة الكُدْر[٧]، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوْا من مَزَاوِد القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخفَّفُون منه للنَّجاء[٨]. فقال المسلمون حين رَجع بهم رسول اللهﷺ: أنطمَع أن تكون غزوةً، قال «نعم». وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجاً من مكة إلى المدينة أبياتاً من شعر يحرِّض فيها قريشاً فقال:

---

(١) الجنابة: النجاسة.

(٢) السويق: شراب يؤخذ من الحنطة والشعير.

(٣) تيت: جبل قريب من المدينة (معجم البلدان ٢/ ٦٥).

(٤) العُريض: هو وادٍ بالمدينة (معجم البلدان ٤/ ١١٤).

(٥) الصَّور: شجيرات من النخل.

(٦) نذر: علم.

(٧) قرقرة الكُدر: موضع بينه وبين المدينة ثمانية بُرُد (معجم البلدان ٤/ ٤٤١).

(٨) النجاء: الخلاص.

[المنسرح]

كُرُّوا عَلَى يَثْرِبٍ وجَمْعِهِمُ ... فَإِنَّ مَا جَمَّعُوا لَكُمْ نَفَلُ[١]

إنْ يَكُ يَوْمُ القَلِيبِ كَانَ لَهُمُ ... فَإِنَّ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ دوَلُ[٢]

آلَيْتُ لاَ أَقْرَبُ النِّسَاءَ وَلاَ ... يَمَسُّ رَأسِيَ وجِلْدِيَ الغُسُلُ

حتَّى تُبِيدوا قبائِلَ الأوْسِ والـ ... ـخَزْرَجِ إنَّ الفُؤادَ مُشْتَعِلُ

فأجابه كَعْبُ بن مالك:

[المنسرح]

يا لَهْفَ أُمِّ المُسَبِّحِينَ عَلَى ... جَيْشِ ابنِ حَرْبٍ بالحَرَّةِ الفَشِلِ[٣]

أَتَطْرَحونَ الرِّجالَ مِن سَنَمِ الظَّهْـ ... ـرِ تَرَقَّى في قُنَّةِ الجَبَلِ

جَاءُوا بِجَمْعٍ لَو قِيسَ مَنْزِلُهُ ... مَا كَانَ إلاَّ كَمُعْرَسِ الدُّئِلِ[٤]

عَارٍ مِنَ النَّصْرِ والثَّراءِ ومِنْ ... نَجْدةِ أَهْلِ البَطْحاءِ والأَسَلِ[٥]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: أخبرنا الحارث بن أبي أُسامة قال: حدّثنا سليمان بن سعد عن الواقِدي أن غَزْوة السَّوِيق كانت في ذي القعدة من سنة ثِنْتين من الهجرة.

حدّثني عمّي قال: حدّثنا الحارث بن أبي أُسَامة قال: حدّثنا ابن سعد عن الواقِدِيّ عن ابن أبي الزِّناد عن عبد الله بن الحارث قال: شرِب حسّان بن ثابت يوماً مع سَلاَم بن مِشْكم، وكان له نديماً، معهم كعبُ بن أسد وعبد الله بن أُبَيّ وقيسُ بن الخَطيم؛ فأسرع الشرابُ فيهم وكانوا في مُوادَعةٍ وقد وضعت الحربُ أوزارها بينهم. فقال قيس بن الخطيم لحسّان: تَعَالَ أُشارِبْك؛ فتشارَبا في إناء عظيم فأبقى حسّانُ من الإناء شيئاً؛ فقال له قيس: اشرب. فقال حَسّان وعرَف الشرّ في وجهه: أو خَيْراً من ذلك أجعلُ لك الغَلَبَةَ. قال: لا! إلاّ أن تشربه؛ فأبى حسّان. وقال له سَلاَم بن مِشْكم: يا أبا يزيد، لا تُكْرِهه على ما لا يَشتهي، إنما دعوتَه لإكرامه ولم تَدْعُه لتَسْتخِفَّ به وتُسيءَ مجالستَه. فقال له قيس: أفتدعوني أنت

(١) النفل: العطاء.

(٢) القليب: يوم بدر.

(٣) والفشِل: الجبان الضعيف.

(٤) المعرس: المكان الذي ينزل فيه. والدُئِل: دويبة كالثعلب وقيل: شبيهة بابن عرس.

(٥) الأسل: الرماح.

على أن تُسِيء مجالستي! فقال له سَلام: ما في هذا سوءُ مجالسة، وما حملتُ عليك إلاّ لأنك منّي وأني حليفك، وليست عليك غضاضةٌ في هذا، وهذا رجلٌ من الخَزْرَج قد أكرمتُه وأدخلتُه منزلي؛ فيجب أن تكرم لي من أكرمتُه. ولعمري إن في الصحو لمَا تَكْتَفُون به من حروبكم؛ فافترقوا. وآلى سَلاَمُ بن مِشْكم على نفسه ألاّ يشرب سنةً؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً.

صوت

من المائة المختارة

[السريع]

مَـنْ مُـبـلِـغٌ عَـنّـي أَبَـا كـامِـلِ ... أَنّـي إِذَا مـا غَـابَ كـالـهـامِـلِ[1]

قَـدْ زَادَنِـي شَـوقـاً إلـى قُـربِـهِ ... مَـعْ مَـا بَـدَا مِـنْ رَأْيِـهِ الـفَـاضِـلِ

الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لأبي كامل. ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَش أن لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

انتهى بحمد الله الجزء السادس من كتاب الأغاني

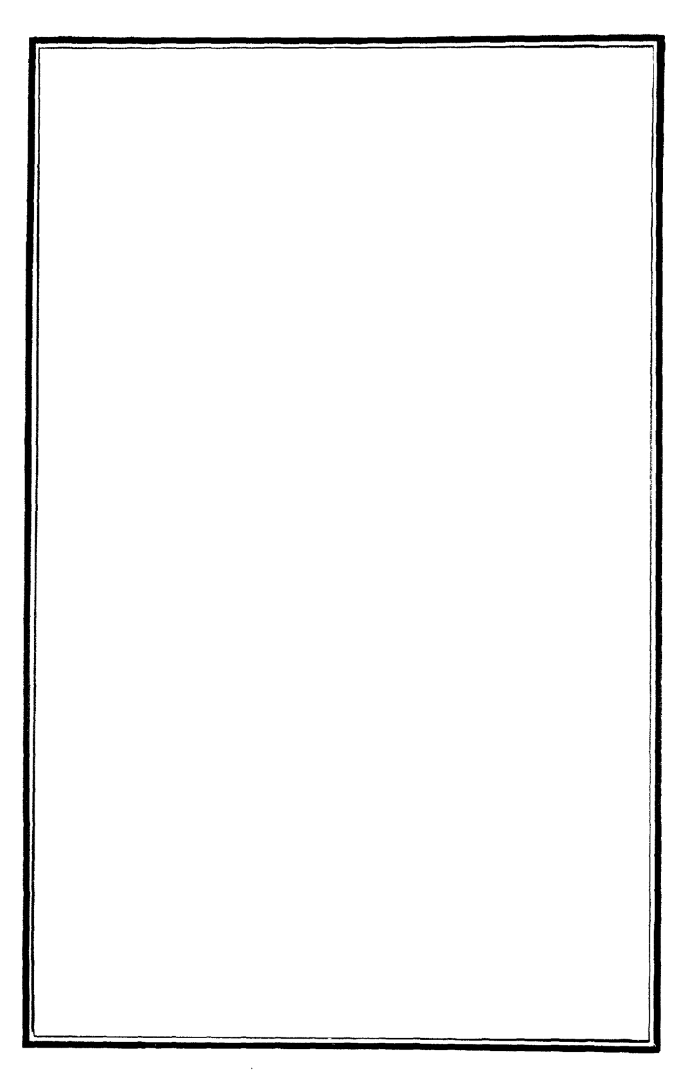
ويليه الجزء السابع وأوّله أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

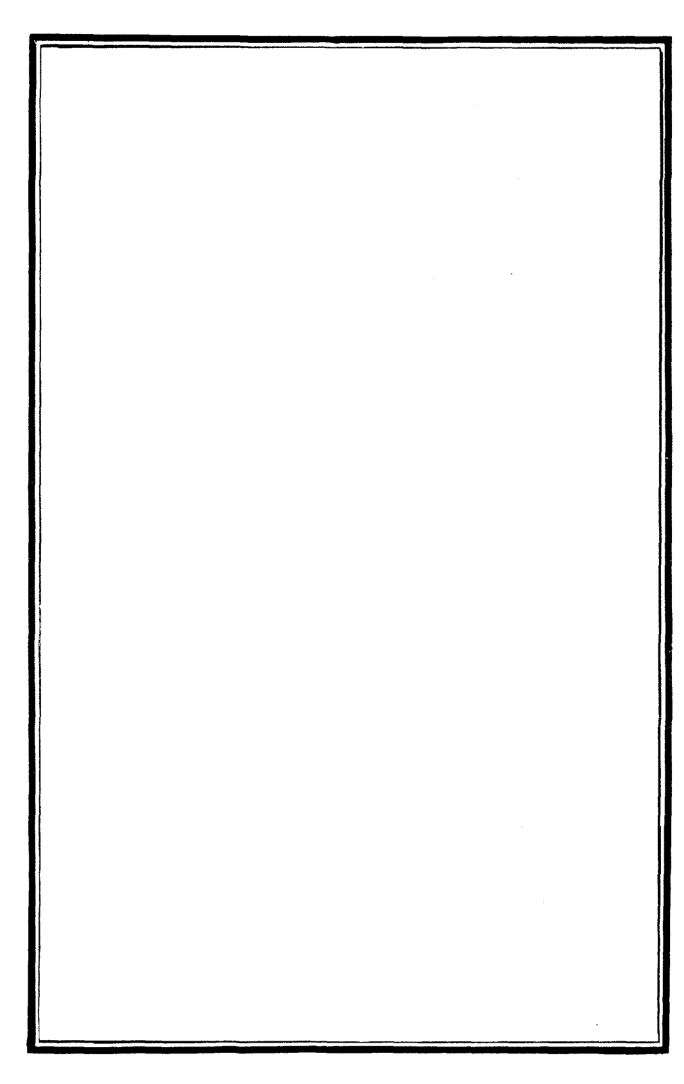
---

(١) هُمِلَت الإبل: تُركت سدًى فهي هامل.

الفهرست

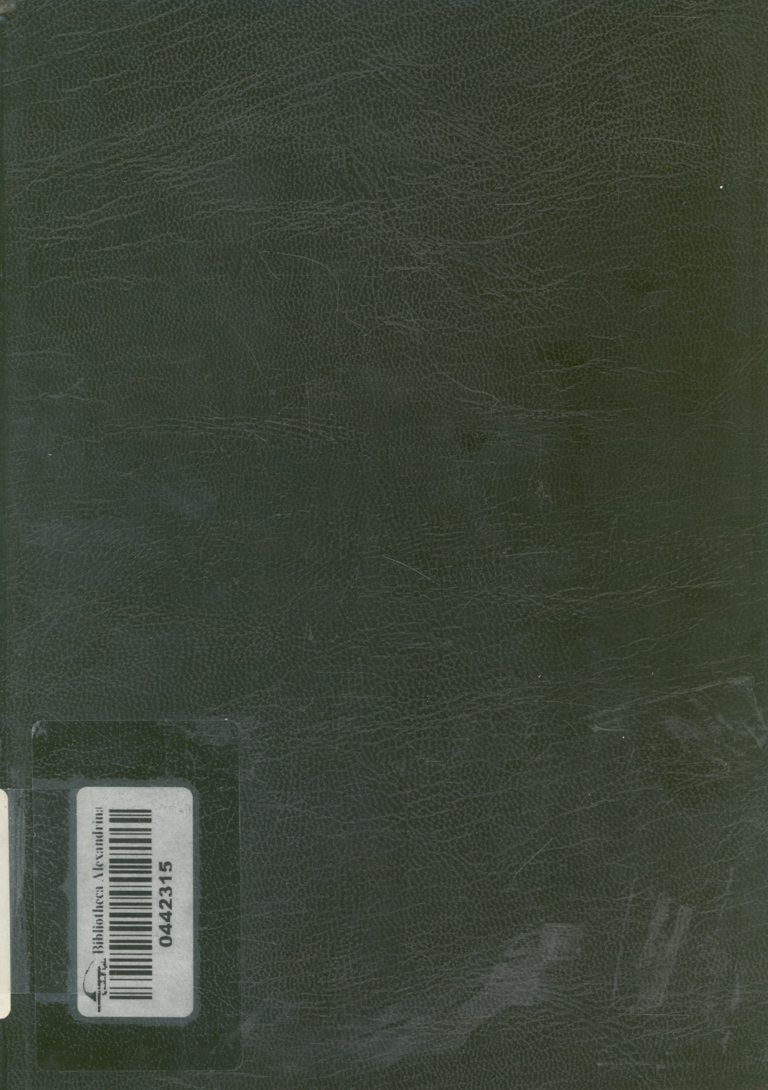
الموضوع	الصفحة










Bibliotheca Alexandrina
0442315